مصر وآل سعود

الحب المستحيل

دكتور أحمد راسم النفيس

المنصورة مصر
نوفمبر ٢٠١٦
صفر ١٤٣٨هـ

مصر وآل سعود
الحب المستحيل
المؤلف: دكتور أحمد راسم النفيس

تصميم الغلاف : أحمد بلال

الطبعة الأولي : يناير 2017
رقم الإيداع : 2016/27903
الترقيم الدولي : 978-977-769-171-0

توزيع السودان: أماني أبو الريش
00249118776697

جميع حقوق الطبع محفوظه

الناشر: أوراق للنشر والتوزيع
awraaq@live.com
القاهرة – 2 شارع شريف
– الدور الخامس – مكتب 57
م : 01010490247
ت : 23963002(02)

مقدمة لازمة

في العقود الأخيرة أصبح ملف الوهابية مثار جدل ونقاش باعتبارها الأيديولجيا الناظمة لجماعات الإرهاب التي تناسلت وتكاثرت بفضل الدعم المالي والسياسي الذي وفره آل سعود لها وبرغم عمليات الاستغفال والتضليل الواسع التي قامت بها النظم الحاكمة ومؤسساتها في محاولة لصرف النظر عن هذه الحقيقة وإبقاء الإرهاب كحالة لقيطة ليس لها أب أو أم يسمونها (تطرف مرفوض) بينما تقول الحقيقة الساطعة كقرص الشمس أن الإرهاب ابن الوهابية والوهابية سعودية!!.

قضي الأمر الذي فيه تستفيان....

يبدو الآن واضحا أن محاولة هضم الوهابية والتعايش معها وصلت إلى طريق مسدود، ليس لأن القوم أدركوا المثالب النظرية لهذه المنظومة التكفيرية بل لأسباب عملية بحتة بعد الكوارث التي ألحقتها بنا تلك الجماعات ورعاتها السعوديون الذين دمروا وبدم بارد عدة دول عربية مثل سوريا وليبيا والعراق في محاولة منهم لاستكمال مشروعهم التوسعي القديم الذي بدأه الأب المؤسس محمد بن عبد الوهاب.

ليس فقط دمروا هذه البلدان وشنوا حربا قذرة على اليمن بل أصروا على استلحاق بلد وازن وكبير هو مصر كتابع طيع وذليل ضمن مشروعهم الأكثر جنونا في التاريخ والذي لا يختلف كثيرا عن مشاريع الغزو التتري والسلجوقي.

في العقود الثلاثة الأخيرة بلغ الاختراق الوهابي أوجه تحضيرا للقفزة الأخيرة التي بدأت مع انطلاق ما يسمى بالربيع العربي في محاولة لتأسيس وهابستان الكبرى التي يفترض لها أن تتقاسم النفوذ مع إسرائيل الكبرى لتعيش المنطقة في تبات ونبات وينجب العزيزان إسرائيل وآل سعود أولاد وبنات وهكذا ينتهي التاريخ وفقا للتصور الصهيووهابي أو

هكذا زين الشيطان لهؤلاء البهائم أعمالهم وإجرامهم.

من الواضح الآن أن القفزة الكبرى ستنتهي قريبا نهاية كارثية لهؤلاء وهؤلاء وإنا لمنتظرون فرجا قريبا يمن به اللطيف الخبير.

المثير للسخرية والدهشة تلك التصريحات التي لا يكف إعلام لميس وعمرو وبكري وحشاشين عن تكرارها عن عمق الصداقة والمودة التي يكنها آل سعود لمصر حكومة وشعبا وهي الصداقة التي بدت واضحة جلية في مشاركة هؤلاء في التآمر على مصر وسوريا.

أخيرا نقول ليس في هذا الكتاب أسرار بل مجرد تحليل منطقي لحوادث رآها بأم أعينهم مئات الملايين من البشر إلا أننا (فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ).

أحمد راسم النفيس

٢٠١٦/١١/٢٢

الثلاثاء ٢٢ صفر ١٤٣٨

مصر وآل سعود

2016 /09 /14

الأربعاء، 12 ذو الحجة، 1437

متأخرا جدا أدرك آل سعود حجم الخطأ الكارثي الذي ارتكبوه عندما أيدوا إزاحة جماعة الإخوان من السلطة في مصر وعندما حاولوا تدارك خطأهم كان الوقت قد فات!!.

قبل بضعة أسابيع عقد مؤتمر الشيشان الشهير الذي شارك فيه شيخ الأزهر والمفتي السابق الدكتور علي جمعة وآخرون وأصدر بيانا عنوانه (من هم أهل السنة والجماعة؟)، جاء فيه:

مساء الخميس 25 من ذي القعدة، سنة 1437هـ/ 25 أغسطس 2016، وفي ظل محاولات اختطاف لقب (أهل السنة والجماعة) الشريف من قبل طوائف من خوارج العصر والمارقين الذين تُسْتَغل ممارساتهم الخاطئة لتشويه صورة الدين الإسلامي، عقد المؤتمر العالمي لعلماء المسلمين إحياء لذكرى الشيخ الشهيد الرئيس أحمد حاج قديروف رحمه الله تحت عنوان: (من هم أهل السنة والجماعة؟! بيان وتوصيف لمنهج أهل السنة والجماعة اعتقادا وفقها وسلوكاً، وأثر الانحراف عنه على الواقع)، برعاية كريمة من فخامة الرئيس رمضان أحمد قديروف حفظه الله، وحضور رفيع لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والمفتين وأكثر من مئتي عالم من علماء المسلمين من أنحاء العالم. وقد خَلُص المؤتمر إلى الآتي:

*اعتماد كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وثيقة أساسية للمؤتمر.

* أهل السنة والجماعة هم الأشاعرة والماتريدية «ومنهم أهل الحديث المفوضة» في الاعتقاد، وأهل المذاهب الأربعة الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة في الفقه، وأهل التصوف الصافي علماً وأخلاقاً وتزكيةً على مسلك الإمام الجنيد وأمثاله من أئمة الهدى، وهو المنهج الذي يحترم دوائر العلوم الخادمة للوحي، ويكشف بحق عن معالم هذا الدين ومقاصده في حفظ الأنفس والعقول وحفظ الدين من تحريفه والعبث به وحفظ الأموال والأعراض وحفظ منظومة الأخلاق الرفيعة [1].

لو قارنا بين الحدث الشيشاني الذي شاركت فيه الدولة المصرية ممثلة بشيخ الأزهر والمفتي الحالي والسابق علي جمعة بحدث آخر هو زيارة الرئيس الإخواني/ محمد مرسي للمملكة السعودية بتاريخ الجمعة 23 شعبان 1433هـ - 13 يوليو 2012م والتي أعلن فيه تنصيب قادة الدولة الوهابية أئمة (لأهل السنة والجماعة) وعين مصر وجيشها (عساكر للدولة الوهابية) قائلا أن السعودية هي الراعية ومصر هي الحامية فكان أن عاجلته ثورة حامية أسقطته بضربة قاضية حيث يقول موقع الCNN ما نصه:

((CNN) -- قال الرئيس المصري، محمد مرسي، إن السعودية «حاضنة الحرمين الشريفين وراعية مشروع الإسلام الوسطي السني، مضيفاً أن مصر «هي الحامية لهذا المشروع، وما بين الراعي والحامي أنساب وصهر مشيراً إلى أن الاتفاق بين الشعبين والبلدين «سيحقق نهضة حقيقية بالعالم العربي .... وهو تصريح يحمل الكثير من الدلالات أطلقه من السعودية) [2].

أقل من أربعة أعوام شكلت الفارق بين التاريخين انقلبت فيها الأمور رأسا على عقب ويبدو أن تطورات الأحداث والمياه التي سالت في الأنهار كانت كافية لتحويل النظام الوهابي من (راعي القطيع وقائده الروحي) إلى حالة منبوذة يتبرأ منها أهل السنة بل وتوجه لهم أخطر الاتهامات مثل اختطاف الإسلام وأنهم شرذمة من الخوارج يشكلون

(1) http://khabaragency.net/news70879.html

(2) http://archive.arabic.cnn.com/2012/middle_east/7/12/mursi.saudi.visit/

خطرا داهما، حيث وصفهم البيان (بالفكر المضطرب والمنحرف، الذي يدعي الانتساب إلى الوحي الشريف، ويتمرد على المنهج العلمي الصحيح ويروم تدميره، ويزعزع أمن الناس واستقرارهم، وكانت أولى تلك الموجات الضالة الضارة، الخوارج قديما وصولا إلى خوارج العصر الحديث من أدعياء السلفية التكفيرية وداعش ومن سار على نهجهم من التيارات المتطرفة والتنظيمات المُسيَّسة التي يعتبر القاسم المشترك بينها هو التحريف الغالي والانتحال المبطل، والتأويل الجاهل للدين، مما ولَّدَ عشرات من المفاهيم المضطربة المغلوطة، والتأويلات الباطلة التي تناسل منها التكفير والتدمير، وإراقة الدماء والتخريب وتشويه اسم الإسلام، والتسبب في محاربته والعدوان عليه، وهو ما استوجب انبراء العدول من حملة هذا الدين الحنيف لتبرئته من كل ذلك) [3] .

حتى تلك الكلمة التي حاول الشيخ الطيب أن يتنصل بها من اتهام الوهابيين بالمروق عن الحق وهو أنه ذكر (أهل الحديث المفوضة) ضمن المنتمين لأهل السنة فالمقصود بها الحنابلة الأصليون على عهد أحمد بن حنبل وليس أبدا وهابيي ياسر برهامي ومن باب أولى وهابيي آل سعود!!.

هل كان هناك أي إمكانية لصدور مثل هذا البيان واتخاذ هكذا موقف بزعامة وتصدر مصري لو بقي الإخوان على رأس السلطة حتى اليوم مثلما كانوا يحلمون؟؟!!!.

الجواب هو النفي القطعي.

السؤال التالي: كيف ذبح السعوديون الوهابيون عجلهم العزيز الغالي الذي أرضعوه وفطموه وأطعموه وحافظوا على وجوده إبان الصراع العنيف الذي اشتعل بين عبد الناصر والنظام السعودي؟!.

عندما نشرت جريدة الشرق الأوسط المملوكة لسلمان بن عبد العزيز خبر الزيارة وضعته تحت عنوان (زيارة مرسي للسعودية تعيد تاريخ علاقة الرياض بجماعة الإخوان المسلمين في مصر)، ثم قالت (وتعيد زيارة الرئيس المصري للسعودية إلى الواجهة طبيعة العلاقة بين جماعة الإخوان المسلمين في مصر والسعودية مع اختلاف الزمان والمكان،

(3) بيان المؤتمر. http://khabaragency.net/news70879.html

حيث كانت الزيارة الأولى لمؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا للسعودية عام 1936م عندما التقى مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز آل سعود، الذي كان حريصا (ومن بعده أبناؤه الملوك)، على استقبال كبار الشخصيات والمسؤولين وعلماء الدين من جميع الدول الإسلامية للسلام عليه بعد انتهاء موسم الحج، في حينها كان حسن البنا من الشخصيات الموجودة في هذا المحفل الديني وتعرف عن قرب بالملك عبد العزيز.

وكان الملك عبد العزيز قرّب حسن البنا وكانت تدور بينهما أحاديث ودية عن مستقبل العلاقة بين مصر والسعودية بصفة السعودية رائدة التضامن الإسلامي ولم يخف حسن البنا إعجابه بالملك عبد العزيز حينما طلب من الملك عبد العزيز فتح فرع للجماعة في السعودية ليكون جواب الملك المؤسس: «كلنا إخوان مسلمون»، ليشير البنا في مذكراته بعد اللقاء إلى أن السعودية «هي أمل من آمال الإسلام والمسلمين، شعارها العمل بكتاب الله وسنة رسوله وتحري سيرة السلف الصالح» وهو التوجه ذاته للملك عبد العزيز الذي أكد في أكثر من محفل أن المملكة العربية السعودية تقوم على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

وكان البنا معجبا بالملك عبد العزيز وبالسعودية؛ إذ كان والده يقوم بشرح ونشر «الفتح الرباني» في مسند الإمام أحمد بن حنبل، وابن حنبل هو الإمام الأكبر للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب، وكان والده على صلة بعلماء ومشايخ السعودية، وتصله منهم رسائل؛ نشر جمال البنا بعضا منها في كتاب له، وفيها التحيات مزجاة إلى الشيخ حسن وجماعته، وكلمات الإعجاب له وبه، وكانت نشرات جماعة «الإخوان» تصل إليهم في السعودية وكانت محل تقدير منهم [4].

الكلمات الرنانة التي أطلقها مرسي عن الراعية والحامية تعني امتثالا وإذعانا للخط السياسي السعودي الذي كان وقتها قبل أربعة أعوام ما زال في اندفاعته الأولى نحو الحرب في سوريا من أجل إسقاط النظام (العلوي) ويبدو أن هذا التصريح جاء إثر اتفاق

(4) http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&article=685584&issueno=12277#.V9lV7TVh4yQ

على مشاركة مصر في هذه الحرب ولذا قال السفير السعودي في القاهرة أحمد القطان (لا يمكن حصر العلاقات السعودية – المصرية فقط في موضوع التعاون الاقتصادي بين البلدين، مؤكدا أن العلاقات بين البلدين أكبر من هذا بكثير) [5] .

ورأى الدكتور فهد الخريجي أستاذ الإعلام السياسي في جامعة الملك سعود أن هذه الزيارة ستعيد التوازن مجدداً للمنطقة لكون الدولتين فاعلتان في مشاريع السلام الإقليمية» [6].

كما يلاحظ أيضا –والكلام موجه لمدمني نفي الارتباط بين الإخوان وآل سعود– علاقة التابع الإخواني بالمتبوع الوهابي التي تميزت بها لغة التغطية الصحفية لزيارة مرسي لقيادة عموم الوهابية، (لم يخف حسن البنا إعجابه بالملك عبد العزيز.. البنا في مذكراته السعودية «هي أمل من آمال الإسلام والمسلمين، شعارها العمل بكتاب الله وسنة رسوله وتحري سيرة السلف الصالح».. كان البنا معجبا بالملك عبد العزيز وبالسعودية؛.. كان والده يقوم بشرح ونشر «الفتح الرباني» في مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل هو الإمام الأكبر للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب، والده على صلة بعلماء ومشايخ السعودية، وتصله منهم رسائل).

كما يتعين علينا التنبه لمنطق (القطيع) الذي يختزل أهل الجزيرة العربية في آل سعود (طال عمرهم ودام ملكهم!!)، ويختزل مصر بكل تاريخها وعمقها في جماعة حسن البنا التي آلت ملكيتها لمرسي والشاطر خيرت!!.

الموضوع إذا موضوع كبير ومهم وهي زيارة كان من المفترض أن تعيد (التوزان) مجددا للمنطقة –في مواجهة إيران– والعلاقات بين الطرفين علاقة قوية وعريقة بل علاقة نشأة وتأسيس بين عبد العزيز آل سعود و(الإمام الشهيد حسن البنا)!!.

ورغم مرور قرابة قرن من الزمان على بداية العلاقة بين الإخوان وآل سعود، لا تزال أغلب أسرارها طي الكتمان ولا زال البعض مصرا على ان نشأة الجماعة على يد مؤسسها نشأة مصرية خالصة، إلا أن بعض الأسرار تتسرب بين الفينة والأخرى.

(5) نفس المصدر جريدة الشرق الأوسط.

(6) http://www.alarabiya.net/articles/2012/07/13/226179.html

من بين تلك الأسرار التي عثرت عليها ما ورد في الدراسة التي أصدرها (مركز الخليج لدراسات التنمية) عام 2014 في فصل بعنوان (العلاقات الخليجية المصرية وتطورات ما بعد الإنتفاضات العربية)، جاء فيه: تؤرخ أدبيات جماعة الإخوان المسلمين للعلاقة مع السعودية بإستضافة المملكة لحسن البنا، مؤسس الجماعة، في موسم الحج عام 1938[7]. وبغض النظر عن مدى أهمية هذه الزيارة التي غالبًا ما تُرمَّز في هذا السياق، إلا أن الزيارات المتكررة في مواسم الحج والدعوة التي تلقاها مؤسس الجماعة عام 1948 بعد تهديدات من النظام المصري وصلت إليه، تعكس علاقات طيبة بين الطرفين [8]. نمت هذه العلاقة وإكتسبت أهمية إستراتيجية عقب حملة الإعتقالات الثانية التي تعرض لها الإخوان المسلمون من نظام جمال عبد الناصر عام 1965، إذ إستقبل الملك فيصل العديد من قيادات الإخوان الفارين من حملة الإعتقالات لتتم الإستفادة من خبراتهم في خدمة البيروقراطية السعودية الناشئة والمؤسسات التعليمية [9]. والترحيب نفسه لقيه عدد آخر من كوادر الإخوان الذين إستقروا في الكويت [10] . هذه العلاقات الجيدة إستمرت خلال سبعينيات القرن الماضي رغم غياب الخصم المشترك (حكومة عبد الناصر). فعلى سبيل المثال، عُقد أحد أهم إجتماعات التأسيس الثاني للإخوان المسلمين، بعد تراخي قبضة الإعتقالات، في مكة المكرمة في موسم الحج عام 1973 [11] .

ولم تستمر هذه العلاقة الطويلة من دون أن تتعكر مع حرب الخليج، حين عارضت الجماعة في مصر تدخل القوات الأمريكية لتحرير الكويت [12] . وأخذ التأزم في التنامي

(7) محمود عبد الحليم. الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ (القاهرة: دار الدعوة، 2004).

(8) محمد أبو الإسعاد، السعودية والإخوان المسلمون (القاهرة: مركز الدراسات القانونية، 1995).

(9) Stephane Lacroix، Awakening Islam: The Politics of Religious Dissent in Contemporary Saudi (Massachusetts: Harvard University Press، 2011)

(10) Guido Steinberg، «Islamism in the Gulf» in «The Gulf States and the Arab Uprisings» ed. Ana Echague، Fride and Gulf Research Center، 2013 <http://www.fride.org/download/The_Gulf_States_and_the_Arab_Uprisings.pdf>

(11) حسام تمام، «الإخوان والسعودية: هل دقت ساعة الفراق،» صحيفة القاهرة، 3 ديسمبر 2002

(12) انظر البيان الرسمي للإخوان المسلمين الثاني من مارس 1991. الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين

بعد أحداث 11 سبتمبر حين أطلق وزير الداخلية السعودي الأسبق نايف بن عبد العزيز عام 2002 تصريحات حادة ضد الإخوان المسلمين معتبرًا إياهم أصلًا للتطرف الديني. انتهى النقل.

المعنى أن حسن البنا كان تحت الحماية السعودية وأنهم سعوا لتجنيبه القتل على يد النظام الملكي - رأسا برأس النقراشي والخازندار حسب الرواية المشهورة- وربما لسبب أبعد من هذا بكثير حسب ما نعتقده نحن.

أما المعلومة الأخرى التي لا تقل أهمية عن سابقتها: أن آل سعود هم من رعى (التأسيس الثاني) للجماعة عقب خروج أغلب قياداتها من السجون عام 1973 مـ، ومن البديهي أن من رعى التأسيس الثاني هو من رعى التأسيس الأول وهو صاحب المصلحة والمستفيد الأول من الدور الذي قامت ولا تزال تقوم به الجماعة!!.

بالعودة إلى اللحظة الراهنة وتحديدا لحظة تأسيس العلاقة بين (الرعاة) وهو ذات الوصف الذي استخدمه محمد مرسي في إشارة واضحة لأنه يرى نفسه وجماعته الممثل الشرعي لأهل السنة والجماعة، كان المطلوب سعوديا استئناف علاقة التابع بالمتبوع، والراعي بالرعية التي بدأها (فخر الأمة حسن البنا) والتي اعتراها من وجهة النظر السعودية خللا واضطرابا تتحمل الجماعة المسئولية الكاملة عنه، ورغم ذلك كان السعوديون (ط. ع. اختصار طال عمرهم!!) مستعدون للعفو والصفح - بشروط - أهمها أن يبدي الإخوان الندم على ما (ارتكبوا من أخطاء) في حق سيدهم ومولاهم المؤسس السعودي!!.

كان المطلوب سعوديا استئناف علاقة الراعي بالرعية، إلا أن الإخوان قرروا ترقية أنفسهم إلى مرتبة (الحامي) فكان الشقاق ووقعت الواقعة التي لم يعد لوقعتها كاشفة!!.

الاندفاعة السعودية في محاربة الإخوان وصلت حد إدراجهم على لائحة أسماها

آل سعود (مؤسسوا الإرهاب الكوني) لائحة الإرهاب في مارس 2014 حيث وضعتهم مع حزب الله وأنصار الله وداعش والنصرة في خانة واحدة رغم أنه لم يمض على المدائح التي أشرنا إليها سابقا سوى عام ونصف تقريبا.

وقبل أن نناقش أسباب انهيار العلاقة نورد ما كتبناه قبل ثلاثة أعوام في تأصيل العلاقة بين آل سعود والإخوان كفصل في كتابنا (الإخوان المسلمون: شعب الله المختار):

حسن البنا: تمصير الوهابية

لسنا ممن يؤمنون بأن كل ما يجري في هذا الكون هو سلسلة من (المصادفات السعيدة) أو حتى حاصل جمع عدد من الإرادات البشرية المنفردة التي تجمعت في عملية حسابية بسيطة أوصلت العالم لما يعانيه الآن من حروب ومجاعات وهيمنة للقوى الغربية الاستكبارية على دول العالم الإسلامي أو ما يسمى بالعالم الثالث.

نؤمن ونعتقد أن هناك مخططون ومتآمرون كبار يديرون اللعبة، وأن هؤلاء يدبرون لأعمالهم عبر قرون وقرون فينجحون غالبا ويفشلون أحيانا اعتمادا على نقص أو انعدام الوعي لدى الطرف المقابل أو الضحية الأبدية.

إنها نظرية التفاعلات المتسلسلة والتي يعتمد نجاحها على غياب الفطنة والسذاجة المفرطة لدى الشعوب الضحية التي تصدق كل ما يقال لها أو تكتفي بموقف المتفرج ولا تبدي أي نوع من الشك ولا تحاول أن تفتش عن مغزى ما يفعله البعض أو أن تمحص تاريخ هؤلاء النجوم الذين يجري تلميعهم وإبرازهم وإحاطتهم بهالات من النور ولماذا برز هؤلاء ولم يبرز غيرهم؟!.

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) الأنعام. (123)

هؤلاء المتآمرون الكبار ليسوا آلهة ولا يمتلكون قوة أسطورية ولا يوظفون الجان وليس لهم ملك سليمان عليه السلام (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ). سبأ 13-12، بل هم بشر عاديون

مصدر قوتهم الأساس هي الخبث والدهاء الذي يقابله بلاهة وسذاجة جموع الدهماء التي لا تفكر ولا تفتش عما وراء الأشياء وتفرح بكل ما يعرض عليها لا لشيء إلا لأنها زاهية الألوان، ناهيك عن دناءة الطبقة المثقفة أو العلماء الذين لا يؤدون فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا والدين عند هؤلاء لا يعدو لعقا على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون!!.

تتساءل الآن جماعة البلهاء: لماذا ليس لدينا في عالمنا الإسلامي حركة إصلاح كتلك الحركة البروتستانتية التي والتي والتي!!.

لو تأمل هؤلاء لاكتشفوا أن تهليلهم للحركة البروتستانتية لا يعبر عن معرفة حقيقية بها وما قادت إليه من كوارث للعالم الإسلامي والعالم المسيحي بغض النظر عن النوايا الحسنة لجمهور هذه الحركة، كما أن كراهية البعض للمسيحية لا يغني عن التأمل في مضمون هذا التيار الذي أنتج الآن الدولة الصهيونية.

الأمر الثاني: من قال أن الغرب البروتستانتي لم يؤسس لنا حركة من هذا النوع هي الحركة الوهابية التي سعت لتحقيق أهداف مشابهة لما أنتجه النموذج الأم وهو ضرب وتقويض الأسس التي قامت عليها المرجعية الدينية في عالمنا الإسلامي أو ما تبقى منها؟!.

لو كان لأتباع المذاهب الأربعة الآن مرجعية قوية وصلبة بخلاف الواقع الآن لأمكن للمسلمين أن يتوحدوا ويتفقوا فيما بينهم سنة وشيعة.

أيضا فإن المرجعية الدينية في الإسلام ليست مرجعية كهنوتية تملك وحدها حق تقرير ما يجوز الإيمان به وما لا يجوز حتى لو حاول بعضهم التزيد وممارسة هذا الدور ومن ثم فإن ضرب دورها الإرشادي والتوجيهي يعد كارثة بكل المعايير وهو ما نجحت الوهابية الآن في تحقيقه ولو جزئيا إلا أنها فشلت في حسم الصراع لوجود مقاومة ما تزال ضارية من قبل العلماء الواعين والمفكرين.

لذا فإني أعجب أشد العجب من وقوف الأزهر هذا الموقف العدائي من الشيعة رغم الاتفاق الجوهري بين الفريقين على احترام العلم والعلماء والمرجعية الفقهية ورغم عدم

وجود دليل واحد على الرغبة في تقويضها.

ومثلما نجح المخططون الصهاينة الكبار في تحويل المسيحية من خلال البروتستانتية إلى مسيحية صهيونية فقد نجحوا في تحويل قطاع عريض من المسلمين من خلال الوهابية إلى تيار مستأنس فيما يخص الحركة الصهيونية يرفع شعار (الشيعة أخطر من اليهود) الغاصبين للقدس أو ما يمكن تسميته بثقة وطمأنينة بالصهيووهابية.

الهدف في حالتنا الإسلامية هو القضاء على أي مرجعية دينية وازنة يمكن لها غربلة ما يطرح من أفكار وتمييز الغث من الثمين وفرز السم من العسل.

من أجل تحقيق هذا الهدف كان متعينا على المخططين الكبار أن يزرعوا مجموعة من الأفكار مستخدمين بعض الأدوات.

أفكار وأدوات.....

لنبدأ بالأدوات...

محمد رشيد رضا حلقة الوصل بين الإنجليز والحركات (الإسلامية)

كان الإنجليز وما زالوا متواجدين حتى الآن ومعهم ورثة الاستكبار الأمريكيين في أغلب بقاع العالم الإسلامي وخاصة في القلب منه يخططون وينفذون بواسطة عملائهم وأدواتهم لإعادة رسم خريطة المنطقة ليس فقط على المستوى الجغرافي بل على المستوي الفكري لزرع نماذج وأفكار تخدم خططهم المستقبلية.

كانوا في الجزيرة العربية عبر المستر همفر أولا ثم الكابتن شكسبير رضي الله عنه الذي (استشهد) في إحدى المعارك جنبا إلى جنب مع آل سعود في سبيل (نصرة عقيدة التوحيد الأنجلو سكسونية) قبل أن يخلفه الحاج سانت جون فيلبي كما كانوا جنبا إلى جنب مع الشريف حسين من خلال لورانس العرب.

لا يمنع هذا من توظيف بعض العملاء من أمثال الشيخ رشيد رضا خدمة لأهداف التاج البريطاني دفاعا عن التوحيد الأنجلوسكوسوني ولإعطاء المتآمرين الصهاينة

الأنجلوسكسون غطاء إسلاميا ولسانا عربيا ينطق باسم هؤلاء الشياطين.

كان ولا زال الإنجليز وخلفاؤهم الأمريكان يلعبون الثلاث ورقات أو لعبة التطرف والاعتدال (كده تسليك كده توليع)، ليقنعوا الحمقى والعملاء أنهم ليسوا ضد الدين بل (ضد التطرف العلماني) و(ضد التطرف الإسلامي) وهم مع جماعة المعتدلين من أمثال رشيد رضا وجماعة الإخوان المسلمين الآن.

نحن لسنا ضد الإسلام ولكننا ضد التطرف الإسلامي ودليلنا على ذلك أننا ندعم (المعتدلين) من محمد رشيد رضا وصولا إلى محمد مرسي العياط!!.

وقبل أن ننقل كلمات الحب والغرام التي أطلقها محمد رشيد رضا في مدحه سيده الإنجليزي اللورد كرومر ننقل أبياتا لأمير الشعراء أحمد شوقي في حق سفاح دنشواي الذي يجله رشيد رضا (شيخ الوسطية والاعتدال)، الأب الروحي لحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان:

يا دِنشِوايَ عَلى رُباكِ سَلامُ **** ذَهَبَت بِأُنسِ رُبوعِكِ الأَيّامُ
شُهَداءُ حُكمِكِ في البِلادِ تَفَرَّقوا **** هَيهاتَ لِلشَملِ الشَتيتِ نِظامُ
مَرَّت عَلَيهِم في اللُحودِ أَهِلَّةٌ **** وَمَضى عَلَيهِم في القُيودِ العامُ
كَيفَ الأَرامِلُ فيكِ بَعدَ رِجالِها **** وَبِأَيِّ حالٍ أَصبَحَ الأَيتامُ
عِشرونَ بَيتاً أَقفَرَت وَإِنتابَها **** بَعدَ البَشاشَةِ وَحشَةٌ وَظَلامُ
يا لَيتَ شِعري في البُروجِ **** حَمائِمٌ أَم في البُروجِ مَنِيَّةٌ وَحِمامُ
نَيرونُ لَو أَدرَكتَ عَهدَ كَرومِرٍ **** لَعَرَفتَ كَيفَ تُنَفَّذُ الأَحكامُ
نوحي حَمائِمَ دِنشِوايَ وَرَوِّعي **** شَعباً بِوادي النيلِ لَيسَ يَنامُ
إِن نامَتِ الأَحياءُ حالَت بَينَهُ **** سَحراً وَبَينَ فِراشِهِ الأَحلامُ
مُتَوَجِّعٌ يَتَمَثَّلُ اليَومَ الَّذي **** ضَجَّت لِشِدَّةِ هَولِهِ الأَقدامُ
السوطُ يَعمَلُ وَالمَشانِقُ أَربَعٌ **** مُتَوَحِّداتٌ وَالجُنودُ قِيامُ
وَالمُستَشارُ إِلى الفَظائِعِ ناظِرٌ **** تَدمى جُلودٌ حَولَهُ وَعِظامُ

في كُـلِّ ناحِيَـةٍ وَكُـلِّ مَحَلَّـةٍ **** حَزعاً مِنَ المَلَإِ الأَسيَفِ زِحـامُ
وَعَلى وُجـوهِ الثاكِلِيـنَ كَآبَـةٌ **** وَعَلى وُجوهِ الثاكِـلاتِ رُغـامُ

رشيد رضا وسيده كرومر

في كتابه (الشيخ رشيد رضا والخطاب الإسلامي المعتدل) يقول الكاتب/ سمير أبو حمدان: يوم 23 فبراير 1905 التقى اللورد كرومر في مكتبه بالقاهرة موفدا من وزارة الخارجية البريطانية قام بإبلاغه أن بريطانيا بصدد إجراء تعديل جذري على أسلوب التعامل مع القوى المحلية في كل من مصر والسودان. كان المطلوب من كرومر إعداد تقرير مفصل وواف عن الأوضاع السائدة في البلدين يشمل الجوانب السياسية والاجتماعية و(أين بلغت حركة التجديد القائمة في مصر وهل ترك الشيخ محمد عبده أثرا يمكن التعويل عليه؟).

نقول: (معلوم أن الشيخ محمد عبده كان قد رحل عن الدنيا في هذا العام وأن رشيد رضا قد ورث إسم الشيخ ومدرسته)!!.

نواصل النقل: تولى رشيد رضا ترجمة تقرير سيده كرومر ونشره في المنار مستخلصا منه أربعة عِبر تتعلق بنظرة (الإمام كرومر) لحال المسلمين في مصر والسودان والتي أطرى فيها على الشيخ محمد عبده ودعوته (سيدنا كرومر) الأوربيين لاحتضان التيار الذي أسسه وعدم إسناد أهل التغريب أو المتفرنجين بمصطلح رشيد رضا.

تعليق من عندنا: لا شك أن أحد أهم أسباب المصائب التي يعاني منها المسلمون هو الموقف الساذج لبعض (العلمانيين) الذين يعتقدون أنهم أولى وأحق بدعم الغرب من تلك الجماعات التي تتخذ موقفا معاديا لقيم الغرب الحداثية (ظاهريا) مثل موقفها من المرأة والحجاب والنقاب ويعتقدون وهما أنهم والغرب في مركب واحد هو مركب (الحضارة والتقدم) وهو موقف نراه الآن بوضوح في أحداث مصر حيث يدعم الغرب الإخوان والسلفيين من أجل الوصول للحكم ويتجاهل من يفترض أنهم أصدقاؤه.

الواقع يقول أن الغرب الانتهازي يرى في (الجماعاتيين) كنزا ثمينا يحقق لهم أغراضهم وأهدافهم في السيطرة على العالم خاصة وأنهم يرتدون أقنعة الإسلام ولذا فقد خذلهم وما زال يخذلهم ويهيئ الأرض لحكم الوهابيين (بروتستانت الإسلام) الساعين لتفكيكه وهدمه من الداخل.

ولا عزاء لهؤلاء البؤساء.

نواصل النقل عن اللورد كرومر وتابعه رشيد رضا ليعرف هؤلاء البؤساء كم هم بؤساء من يومها وحتى لحظة رفع الإخوان لسدة الرئاسة!!.

وينتقل كرومر (حفظه الله) للحديث عن التيار الذي أسس له الأستاذ الإمام محمد عبده فيعتبر أن (الغاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة تتمثل في إصلاح حال المسلمين وترشيدهم وإعادتهم للإسلام الحق (؟!)، وجملة القول أن الإصلاح الديني الذي دعا إليه هذا التيار يستند إلى أساس ديني، ويقضي بنبذ بعض العادات والتقاليد والطقوس التي لا تمت للإسلام بصلة وكان عمل هؤلاء على ما يقول كرومر شاقا وعسيرا لأنهم يستهدفون دوما بسهام النقد والطعن وهم يقفون في منطقة وسطى بين تيار سلفي انسلخ نهائيا عن العصر وتيار آخر انسلخ نهائيا عن الإسلام وتقاليده غير أن طعن الطاعنين كان أشد حدة من التيار السلفي إذ أن (طعن التغريبيين أقل تأثيرا إذ أن هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوتا).

ويأمل كرومر أن ينجح التيار الوسطي طريقه للهيئة الاجتماعية المصرية لأنه السبيل القويم لإنجاز إصلاح حقيقي قائم على مبادئ الدين وشروطه ولذل فقد طالب الأوربيين بدعم هذا التيار وأن أتباع الشيخ جديرون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين.

أما الشيخ رشيد رضا فيبادل سيده كرومر الإعجاب والتقريظ حيث يرى أنه (ملم بأحوال المسلمين كما لا يلم بها أي مسلم آخر وأنه علم ما لم يعلمه الرؤساء من علمائهم وأمرائهم فضلا عن أوساطهم ودهمائهم).

كما يشيد اللورد كرومر بما ذهب إليه الشيخ محمد عبده من أن السياسة والإصلاح

على طرفي نقيض ومن توخى تقدما لمجتمعه فلا يستمسك بحبال السياسة وهذا ما فعله السيد أحمد خان في الهند عندما هادن الإنجليز فتركوه يمارس الإصلاح دون أن يزرعوا الأشواك في طريقه ومثله في مصر فعل محمد عبده عندما حسن الظن به وبتياره لدى الإنجليز فباتوا لا يعارضونه فيما يفعل ولا يمنعوننا مما ينفعنا إلا إذا أدخلنا السياسة وقصدنا مضارتهم ومقاومتهم وحينئذ نكون أضر بأنفسنا وأنفع لهم كما هي سنة الله تعالى في (كل جاهل ضعيف يقاوم عالما قويا).

كما يرى الشيخ رشيد أن إطراء الإنجليز على الشيخ محمد عبده جاء لأنهم (رجال جد يجلون من يقول الحق في السر والجهر وأنه لا قيمة لأهل المداهنة والرياء في أنفسهم).

وفي محاولة لتبرئة نفسه وأستاذه من التهمة الناشئة عن دعم الإنجليز لهم ودعوتهم الأوربيين لدعمهم والوقوف معهم مما يضعهم في موضع الظنة يقول (المجاهد) الكبير رشيد رضا: الجواب عن هذا الإشكال لا يفهمه إلا من عرف كنه الفتح والاستعمار الأوربي فليس من الأمور المستهجنة أن يدعم كرومر حركة الإصلاح في مصر طالما أن الكسب هو الهدف الأساس للأوربيين في كل بلد يحتلونه لأن الكسب لا يتحقق بغير العمران فهم وفي كل بلد دخلوه أطلقوا على احتلالهم استعمارا وهذا الاستعمار من (عمران) لا يتحقق في ظل نزاعات مستمرة بين المستعمرين وسكان البلد الأصليين ولهذا بات مطلوبا وكخطوة أولى معرفة كل الفريقين لبعض فمثل هذه المعرفة ستؤدي حكما إلى وفاق متبادل ومصالح مشتركة ومتبادلة ومن هنا فإن الإنكليز وسائر الأوربيين يكرهون أن يقاوموا وينازعوا لأن ذلك يقلل من كسبهم وإن كانوا واثقين بالظفر!!.

وأخشى ما يخشاه الأوربيين هو الفتنة التي تقضي حتما على موارد كسبهم ومن أجل ذلك فقد كانوا على حذر دائم من عوام المسلمين المستعدين للتهييج باسم الدين (ورب هيجة شؤمى) تذهب بما تحقق خلال سنين طويلة ولهذه الأسباب كلها كانت مصلحة الإنجليز تقضي بوجود شريحة مستنيرة من المثقفين والمفكرين المصريين تدعو إلى الإصلاح من غير الطرق السياسية المعهودة و(تعرف العامة بقدر أنفسهم وبنسبتهم إلى الأجانب الذين يعيشون معهم ويزلزلون التعصب الأعمى في نفوسهم حتى لا يغرهم

الغارون ويدعوهم إلى أعمال إن أضرت بالأجانب قليلا فهي تضر بهم كثيرا) [13].

لا أدري متى كتب الجاسوس البريطاني رشيد رضا هذه السطور التي أشاد فيها بسيده كرومر وفضله على الإسلام والمسلمين وهل كانت قبل مجزرة دنشواي أم بعدها (1906) إلا أن ما كتبه يكشف حقيقة ما يجري لحظة هذا السطور (فبراير 2013) من دعم أوربي لما يسمى بالتيار الوسطي وما يسمى أيضا بتيار الاعتدال وأن الغرب الأنجلوسكسوني لا يفتش في الشوارع عن هؤلاء لأنه يعرفهم ويعرف آباءهم وأجدادهم حيث تولى الناموس الجاسوس الشيخ رشيد رضا تربية هؤلاء وتقديمهم سرا وجهرا للسفارات الأوربية التي كانت وما تزال حاكمة وهي صاحبة الحل والعقد.

لم تتوقف علاقة رشيد رضا وتلميذه محب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح الذي عمل حسن البنا مندوبا لها، بأسياده الإنجليز بعد رحيل (سيده كرومر) حيث يكشف الدكتور محمد عبد الرحمن برج في كتابه (محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية ط الهيئة المصرية للكتاب 1990) عن حقيقة المهمة التي كلف بها الخطيب ومعلمه في الجاسوسية رشيد رضا والتي تمثلت في حث الزعماء العرب على الانضمام لبريطانيا في حربها ضد العثمانيين، وكما يقول الكتاب: لقد أرسل محمد رشيد رضا مكلفا من الإنجليز صبيه محب الدين الخطيب إلى قادة العرب برسائل تطلب منهم الوقوف إلى جانب بريطانيا وكما يقول المسئول البريطاني بالقاهرة (شيتام) في رسالته لخارجية بلاده: لقد أرسلوا مندوبين يعتمد عليهم واختاروهم بأنفسهم إلى الجزيرة العربية وفلسطين كي يبلغوا الرسالة شفهيا إلى الزعماء العرب في تلك الأقطار ووضعت تحت تصرف قادة الحركة مبالغ ضخمة وزيادة على ذلك بعث المشهورون من عرب مصر رسائل إلى أصدقائهم أصحاب النفوذ في الأقطار المذكورة يحثونهم فيها على بذل أقصى الجهد لإقناعهم بالتخلي عن الأتراك وأن هؤلاء الزعماء في القاهرة لا يتوقعون من بريطانيا أكثر من موقف كريم للحكم الذاتي وتأكيدات للعون الأدبي عندما يحين الوقت لتنفيذ خططهم. وإلحاقا ببرقيته السابقة بعث شيتام بعد ذلك بيومين (28 أكتوبر 1914)

(13) الشيخ رشيد رضا والخطاب الإسلامي المعتدل. سمير أبو حمدان. الشركة العالمية للكتاب 1992.

يقول فيها أن زعماء القومية العربية بعثوا بمندوبيهم للجهات منهم محب الدين الخطيب وعبد العزيز العتيقي فيجب إخطار حكومة الهند بذلك رجاء تسهيل مهمتهم في بومباي والكويت، يتصلان بالمقيم البريطاني ويعملان سويا معه. 105-104 الكتاب المذكور.

وفي الوثائق الموجودة لدى الجاسوس محب الدين الخطيب وجدت بطاقة اعتماد من الجمعية (فرع المخابرات البرطانية) مكتوب فيها: حامل هذه الرقعة الأخ محب الدين الخطيب معتمد من جمعية الجامعة العربية في العراق وشرقي الجزيرة العربية للدعوة إلى مقاصدها وإبلاغ دعوتها لأهلها والمستعدين لها والتوقيع الإسم الرمزي لرشيد رضا (الناموس).

رشيد رضا حلقة الوصل بين الإخوان الوهابية والإخوان المسلمين

كان من الطبيعي أن تحاول السعودية البحث عن أنصار لها في مصر يبشرون بمذهبها ويدافعون عن طموحاتها السياسية.

كان رشيد رضا من أبرز الذين بشروا بالوهابية في مصر ودافعوا عن النظام السعودي في الفترة بين 1935-1925 ومن ثم كان حلقة الوصل بين إخوان الوهابية والإخوان المسلمين.

توفي رشيد رضا عام 1935 عن سبعين عاما وكان له دور مؤثر في الحركة الدينية عن طريق مجلة المنار ومدرسة الدعوة والإرشاد وقد انطلق إلى معترك السياسة ارتبط خلاله بالنظام السعودي.

انتمى رشيد رضا للتيار السلفي اعتمادا على المرجعية الحنبلية وابن تيميه وابن القيم وابن عبد الوهاب.

تبدل ولاء الرجل ما بين الخلافة العثمانية ثم حركة الشريف حسين في مكة ولما سقطت الخلافة العثمانية سنة 1924 على يد أتاتورك وما تلا ذلك من سقوط الهاشميين في الحجاز

على يد السعوديين 1925 بدل ولاءه للدولة السعودية الوهابية.

شهدت العلاقات المصرية السعودية فيما بين 1925/ 1936 فترة من الصراع الحاد بعد أن رفضت القاهرة أن تسلم للسعوديين بحق السيطرة على الأماكن المقدسة في الحجاز وكان الصراع حادا بين الملك فؤاد والملك عبد العزيز على منصب خليفة المسلمين كما احتدم الصراع الديني بين الوهابية والنموذج الإسلامي المصري القائم على السماحة.

لقد نجحت السعودية في توظيف رشيد رضا لخدمة أهدافها حيث استطاع رشيد رضا تأسيس مدرسة الدعوة والإرشاد رسميا في جزيرة الروضة بالقاهرة سنة 1912 من أجل نشر الوهابية التي كان يسميها عقيدة التوحيد حيث تخرج فيها على يديه عدد من انصار الوهابية مثل الشيخ يوسف ياسين.

كما كرس الشيخ رشيد رضا مجلة المنار للتبشير بالوهابية فضلا عما سطره من كتب نصرة لها ومهاجمة لخصومها مثل كتابه عن (السنة والشيعة) أو (الوهابية والرافضة).

كما هاجم رشيد المذاهب الإسلامية المختلفة مثل المذهب الشيعي والتصوف وندد بالتوسل بالأولياء مؤكدا أن ابن سعود وحده هو الذي نجح في إقامة حكم إسلامي لم يسبق له نظير بعد الخلفاء الراشدين.

كما تولى مهمة شرح مبادئ الوهابية وأفاض في الحديث عن محمد بن عبد الوهاب وأحمد بن حنبل وابن تيميه وابن القيم.

كما تولت مطبعة المنار طباعة مؤلفات الوهابيين ومنها كتب الماشر إليهم آنفا.

الدعم المالي السعودي

كان رشيد رضا يتلقى نظير ذلك دعما ماليا من السعودية حيث يقول في رسالته إلى أمير شكيب أرسلان إنه قد (تلقى حوالة مالية من وكيل مالية الحجاز بمقدار 716 جنيه باقي المستحق له عن طبع الجزء السابع من كتاب المغني وأنه بصدد طبع الجزئين الثامن والتاسع ولكن تعوزه الأموال ولذا فقد كتب إلى الملك عبد العزيز وولده فيصل فاستاء

كل منهما من تأخير المالية صرف مستحقاته وأمرا بإرسال جميع المستحق له كما أمر بطبع ألفي نسخة من كتاب الآداب ومجموعة رسائل المرسلين).

وقد شجعه هذا الدعم المالي الذي كان يتلقاه من السلطات السعودية على أن ينتقل بحياته إلى مستوى معيشي أرقى ووضع طبقي أعلى على الرغم من أن عائد اشتراكات مجلة المنار وقيمة المباع من كتبه كانت لا تفي بأجر المطبعة وحدها ولذلك فهو يعترف في رسالته للأمير شكيب بأن (الدعم الذي كان يتلقاه نظير المطبوعات كان ربحه عظيما وأن ذلك جرأه على شراء دار فخمة تكون مستقرا له ولأولاده كان قسطها السنوي زهاء (400) جنيه على مدة 6 سنوات).

وقد أوقعه هذا الإسراف والبذخ في أزمة مالية فركبته الديون واشتدت أزمته المالية حتى أنه أصبح وفقا لما جاء في رسالته للأمير شكيب أرسلان (يستجدي المساعدة من السلطات السعودية لسداد ديونه التي زادت على ألف جنيه وأنه طلب من الحجاز مائتي جنيه سلفة).

رشيد رضا وجماعة الإخوان المسلمين

على أن أخطر ما قام به رشيد رضا أنه كان حلقة الوصل بين الإخوان والوهابية في السعودية والإخوان المسلمين في مصر فجماعة الإخوان الوهابية التي نشأت في السعودية سنة 1912 انتقلت مؤثراتها السياسية وأفكارها الدينية إلى مصر عن طريق رشيد رضا الذي تتلمذ حسن البنا على يديه وارتبط بفكره السلفي وبمدرسة الدعوة ومجلة المنار .

ويعترف حسن البنا في مذكرات الدعوة والداعية بتأثير الشيخ رشيد رضا عليه وأنه كان دائم الحضور في مجالسه وأنه تأثر تأثرا كبيرا بما كانت تنشره المجلة وأن جماعة الإخوان المسلمين خرجت من عباءة رشيد رضا وحركته السياسية قد قادته وجماعته من الإخوان للارتباط بشكل أو بآخر بالمذهب الوهابي والنظام السعودي[14].

(14) السعودية والإخوان المسلمون. دكتور محمد أبو الأسعاد. مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان ص 41-29 سنة 1996.

الأفكار

كانت هذا عن الأدوات أما عن الأفكار فلنرجع إلى التطابق أو الاقتباس الحرفي الذي قام به حسن البنا في أصوله العشرين وما دونه محمد بن عبد الوهاب في كتابه (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) الوهابي.

يقول حسن البنا: الأصل الرابع :

والتمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب، وكل ما كان من هذا الباب، منكر تجب محاربته، إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة .

أما صاحب التوحيد الوهابي فيقول: باب ما جاء في الرقي والتمائم

في (الصحيح) عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) [رواه أحمد وأبو داود]. وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: (من تعلق شيئاً وكل إليه). [رواه أحمد والترمذي].

الأولى: تفسير الرقي والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاثة كلها من الشرك من غير استثناء.

يقول حسن البنا في أصله الرابع عشر :

وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة، بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين، أياً كانوا، ونداءهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم، وتشييد القبور، وسترها، وإضاءتها، والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات، كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة .

أما محمد بن عبد الوهاب فيقول في التوحيد: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله روى مالك في (الموطأ): أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: (أفرءيتم اللات والعزى) قال: كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره، وكذلك قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج. [رواه أهل السنن].

فيه مسائل: الأولى: تفسير الأوثان... الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه صلى الله عليه وسلم لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الفارق بين الوهابية في صورتها النجدية والوهابية بعد تمصيرها على يد حسن البنا أن ابن عبد الوهاب لم يكن ليمانع في (طس) كلمة كافر أو مشرك أو وثني بصورة متواصلة أما حسن البنا المعتدل فيستخدم أوصافا تكفيرية مخففة (بدع.. كبائر) قبل أن يوصي (رضي الله عنه) بشن الحروب عليها وهكذا يكون الاعتدال والوسطية وإلا فلا.

ليس هنا مجال الرد التفصيلي على هذه الترهات الوهابية خاصة وقد قمنا بهذا في كتاب (نقض الوهابية) وقام قبلنا كثير من علماء الأمة بالرد على تلك الفرقة التكفيرية وتفنيد خزعبلاتهم.

الأفكار التي أوردها (محمد بن عبد الوهاب) في كتيب (التوحيد) لا تعدو كونها اقتباسا وتلخيصا حرفيا لكتاب ابن تيميه (اقتضاء الصراط المستقيم)، أما الأدهى والأمر أن هذه الأفكار التيمويه لا تعدو كونها أسلمة للأفكار الصهيونية التي أوردها الكاهن اليهودي موسى ابن ميمون في كتابه (دلالة الحائرين) وقبل ذلك لم يكن لها وجود ولا أثر في كتب العقائد الإسلامية سنية كانت أم شيعية!!.

كما أن هذه الأفكار التيميويه ظلت حبيسة كتب ابن التيميه ولم يجر تعميمها إلا مع ظهور الحركة الوهابية في القرن الثامن عشر ببركة الدعم الأنجلوسكسوني ولم يكن أحد من المسلمين يجرؤ على الجهر بها أو تبنيها حتى جاء الإنجليز ورفعوا عنها الغطاء. (انظر

بحث التوحيد اليهودي الوهابي في كتابنا نقض الوهابية).

المهم أن (سادتنا) الأنجلوسكسون قد منحونا حركة (إصلاح بروتستانتي) تعمل بكل ما أوتيت من قوة على هدم المرجعيات العلمية أزهرا كان أم نجفا.

قاوم الأزهر في السابق إلا أنه رضخ الآن وهاهو شيخ الأزهر أحمد الطيب (الصوفي المعتدل) يمنح غطاءه للإخوان الوهابيين ليتركوه وشأنه حتى تنتهي مدة مشيخته.

وهنا لا بأس من مناقشة ما يدعيه البعض من أن الاختراق الوهابي للجماعة الإخوانية حدث بعد ذهابهم للعمل في المملكة الوهابية، وهو كلام يتجاهل حقيقة أن حسن البنا في بداية سعيه لتكوين الجماعة كان يسعى لضم كل من يرغب في الانضمام إليه والكثير من هؤلاء جاء من خلفية الثقافة المصرية التقليدية التي كانت إلى عهد قريب تزدري الثقافة الوهابية (إن جاز تسميتها بالثقافة) أي أنهم دخلوا ومعهم ثقافتهم وكان من الطبيعي أن تظهر البصمات الوهابية الحقيقية في أجيال الإخوان الجديدة التي تلقت ثقافتها (إن جاز وصف أفكار الإخوان بالثقافة) من منابعها التي تكرست وهابيتها (الممصرة المعدلة) بعد جيل أو جيلين.

هذا هو حسن البنا وهؤلاء هم أساتذته وموجهوه وهذه هي ارتباطاتهم الفكرية والاستخبارية ومن حقنا أن نسأل من الذي نصبه إماما للمسلمين أو حتى للإخوان المسلمين وجعل من أتباعه أصحاب الفهم الصحيح الشامل الكامل للإسلام؟!.

كيف ولماذا انهارت العلاقة بين الأصل الوهابي والفرع الإخواني؟!.

كيف انهارت العلاقة بين الوهابي الأكبر والوهابيين الصغار وكيف أعلن آل سعود حربهم على الإخوان بهذه العجلة قبل أن يعودوا ويكتشفوا أنهم ما زالوا بحاجة ماسة إليهم بعد ورطة اليمن، حيث قاموا باستدعاء الزنداني اليماني والغنوشي التونسي والقرضاوي المصري على وجه السرعة للقيام بذات الدور الذي كانوا يقومون به في السابق ولم يعترض أحد (كونهم منحرفون عقائديا) لا يجوز الاستعانة بهم!!، أي أن

الخلاف لم يكن حول مبدأ التعاون مع الإخوان أو عدمه بل كانت هناك أسباب محددة وربما نزوة طارئة أدت لحدوث الشقاق المدمر من قبل فريق ما داخل الأسرة السعودية ربما كان من بينهم خط نايف بن عبد العزيز ومن على شاكلته.

ندم آل سعود على مباركتهم التخلص من الإخوان ندامة الكُسعي ذاك الرجل الذي صار مضرب المثل فيمن يتسرع لحظة الغضب في هدم ما بناه ثم يعود ليندم عليه والقصة كما يقولون (كان يرعى إبلا وأبصر غصنا في صخرة فقال ينبغي أن يكون هذا الغصن قوسا ليس له مثيل، فتعهده برعايته وصنع منه القوس ورأى ظباء ذات مساء فرماها بسهم منه واخترقها وأحدث شررا في الجبل فظن أنه فشل في رميه، ثم مر به قطيع آخر ورماه ونفذ السهم منه إلى الجبل أيضا وظن أنه فشل مرة أخرى وحاول مرة ثالثة، وحدث ما حدث في السابق، فغضب وأخذ قوسه وكسرها، ولما أصبح وجد ثلاثة من الضباء مطروحة وأسهمه مضرجة بدمائها فندم على كسره للقوس وأنشأ يقول: ندمت ندامة لو أن نفسي .. تطاوعني إذا لقطعت خمسي ! تبين لي سفاه الرأي مني .. لعمر أبيك حين كسرت قوسي)!!!.

والمعنى أن آل سعود كسروا قوسهم الذي صنعوه وخططوا له منذ تسعين عاما حتى لحظة اتخاذهم تلك القرارات الانفعالية ولم يدركوا فداحة خطأهم وتسرعهم إلا بعد أن فات الميعاد!!.

لماذا؟! هذا هو اللغز الذي يفتش الكل عن حل له رغم أن حله موجود في الصورة التي نشرتها الشرق الأوسط مع خبر الزيارة.

في 28 نوفمبر عام 2002 قال نايف بن عبد العزيز وزير داخلية آل سعود في حوار مع جريدة الشرق الأوسط : (الإخوان دمروا العالم الإسلامي)، وفي معرض تفسيره لهذا الاتهام الخطير قال:

(الإخوان المسلمين لما اشتدت عليهم الامور وعلقت لهم المشانق في دولهم لجأوا الى المملكة وتحملتهم وصانتهم وحفظت حياتهم وكرامتهم ومحارمهم وجعلتهم آمنين. اخواننا في الدول العربية الاخرى قبلوا بالوضع وقالوا انه لا يجب ان يتحركوا من

المملكة، استضفناهم وهذا واجب وحسنة بعد بقائهم لسنوات بين ظهرانينا وجدنا انهم يطلبون العمل فاوجدنا لهم السبل. ففيهم مدرسون وعمداء فتحنا امامهم ابواب المدارس وفتحنا لهم الجامعات ولكن للأسف لم ينسوا ارتباطاتهم السابقة فاخذوا يجندون الناس وينشئون التيارات وأصبحوا ضد المملكة والله يقول «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» هذا ما نعرفه لكن في حالهم الوضع مختلف على الاقل كان عليهم ان لا يؤذوا المملكة اذا كانوا يريدون ان يقولوا شيئاً عندهم لا بأس ليقولوه في الخارج وليس في البلد الذي اكرمهم. اذكر ان عالما فذا هو الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عمل عندنا ثم توفي ودفن في المدينة المنورة كتب كتاباً قديما تعرض فيه للملك عبد العزيز رحمه الله وعندما جاء وعمل في المملكة في كلية الشريعة في جامعة ام القرى في مكة التقيته وقلت له: يا فضيلة الشيخ انت تعرضت للمملكة ولموحدها واسألك بالله هل ما قلته في كتابك صحيح؟ قال: قسماً بالله لا لكني لا استطيع ان اغير ما قلت وانا في المملكة اذا خرجت منها سأكتب. واذكر ان احد الاخوان البارزين تجنس بالجنسية السعودية وعاش في المملكة 40 سنة لما سئل من مثلك الاعلى؟ قال مثلي الاعلى حسن البنا. كنت انتظر منه ان يقول مثلي الاعلى محمد عليه الصلاة والسلام او ابو بكر او عمر او عثمان او علي أو أحد اصحاب رسول الله ما معنى اختياره لحسن البنا؟ معناه ان الرجل ما زال ملتزماً بأفكار حزب الاخوان المسلمين الذي دمر العالم العربي. اقول لك بصراحة ان الاخوان المسلمين أساءوا للمملكة كثيراً وسببوا لها مشاكل كثيرة. خذ عندك حسن الترابي. لقد عاش في المملكة ودرس في جامعة الملك عبد العزيز وانا شخصيا اعتبره صديقي وكان يمر علي دائماً وخصوصاً عندما عمل في الامارات لا يأتي الى المملكة الا ويزورني وما ان وصل الى السلطة حتى انقلب على المملكة وخصوصيتها. وذات مرة انشأت المملكة مطاراً في السودان بعد تسلم الترابي للسلطة، حضر وفد سعودي لتسليمه اياه لم يقل شكراً للمملكة على ما فعلت. ماذا اقول؟ لقد تحملنا الكثير منهم ولسنا وحدنا الذي تحمل منهم الكثير انهم سبب المشاكل في عالمنا العربي وربما في عالمنا الاسلامي) [15].

(15) http://archive.aawsat.com/details.asp?article=138584&issueno=8766#.V9k51zVh4yQ

لم يكن نايف بخبثه ودهائه ليقول (كان عليهم أن يقولوا مثلُنا الأعلى محمد بن عبد الوهاب أو ابن سعود)، لكنه طالبهم أن يقولوا (مثلنا الأعلى علي بن أبي طالب)!!!.

هههههههه

ماذا لو قالوا علي ابن أبي طالب أو استشهدوا بإحدى خطبه أو حكمه؟!.

مزحة تضحك الثكلى!!.

الخطأ الثاني الذي ارتكبه الإخوان من وجهة نظر نايف بن عبد العزيز، أنهم لم يلتزموا التأييد المطلق لكل القرارات التي اتخذها آل سعود ومن ضمنها وربما أهمها الاستعانة بأمريكا لمحاربة صدام حسين وإخراجه من الكويت (عندما حصل غزو العراق للكويت جاءنا علماء كثيرون على رأسهم عبد الرحمن خليفة والغنوشي والترابي والزنداني وأربكان وآخرون اول ما وصلوا اجتمعوا بالملك وبولي العهد وقلنا لهم هل تقبلون بغزو دولة لدولة هل الكويت تهدد العراق؟ قالوا: والله نحن أتينا فقط لنسمع ونأخذ الآراء بعد ذلك وصلوا العراق ونفاجأ بهم يصدرون بياناً يؤيد الغزو العراقي للكويت هل هذا ما يجب فعله وهل هذا الموقف يرتضيه العقل؟ ما هو مبرر ان دولة تغزو دولة اخرى وتطرد شعبها من ارضه وبلده وتحاول قتل شرعيته؟) [16].

الجريمة التي ارتكبها الإخوان إذاً وتسببت في اتخاذ هذا الموقف إزاءهم من قبل آل سعود هي أنهم قرروا أن يتعاملوا معهم بشئ من الندية وليس بندية مطلقة، ويكفي أن يقول لهم مرسي أن السعودية مجرد راعية وليست حاكمة مطلقة متفردة وأن مصر حامية أي أن الجيش المصري الذي اقتحم الدرعية عاصمة الوهابية قبل قرنين من الزمان وحولها إلى أنقاض هو من يحمي أمن آل سعود ويوفر لهم سبل البقاء!!.

ينفع الكلام ده؟!. أكيد لا وألف لا؟!.

كان نموذج العلاقات المعروض على الإخوان آنئذ هو ذلك الذي تمثله صورة حسن البنا وهو يقبل ولي النعم عبد العزيز أو تلك التي التقطت له واقفا بجوار ابن سعود جالسا على كرسيه!!.

(16) المصدر السابق.

أي أن قرار المفارقة والمفاصلة اتخذ في اللحظة التي تصور فيها التابع أنه أصبح شريكا على قدم المساواة مع المتبوع وهو ذات المنطق العربي العنصري القديم الذي يرفض التسوية بين الناس حتى ولو ادعى هؤلاء وهؤلاء أن العقيدة الصحيحة تجمعهم وهيهات هيهات!!.

سألني آنئذ باحث أوروبي عن سر وقوف آل سعود ضد صنيعتهم الإخوان؟ فقلت له انظر إلى الصورة التي تعمدوا نشرها عشية زيارة مرسي للسعودية في إشارة واضحة لما يراد منه وهو التزام ذات النمط الذي حكم علاقة حسن البنا بسيده ومولاه عبد العزيز بن سعود، ولما لم يقدم الإخوان فروض الطاعة والولاء بذات النهج المرسوم حدث ما حدث!!.

قال: صدقت، لقد عرضوا على الشيخ/ علي سلمان زعيم المعارضة في البحرين زيارة الرياض وتقبيل رأس الملك عبد الله ولما رفض دخل الجيش السعودي إلى البحرين.

طبعا لم تكن الأمور لتصل إلى خواتيمها السعيدة بقبلة على الرأس واليد فقد فعلها من جاء بعد الإخوان ولم تتحرك الأمور نحو الأمام فتقبيل اليد أو الرأس تعني ضمن ما تعني أن تضع خاتمك وتوقيعك على كل ما يقرره آل سعود حتى ولو كان توقيعا على صك هلاكك وإعدامك وخراب ديارك وتسليم أرضك إليهم ليبقى آل سعود قوة عظمى مهيمنة تحكم في أموالنا وأهلينا ما تشاء وما تريد هي وإسرائيل.

الليلة 3 أكتوبر 2016 وفي أعقاب الكارثة التي لحقت بآل سعود نتيجة إقرار قانون جاستا الذي يجيز محاكمة مسئولي النظام على ارتكاباتهم الإجرامية أمام المحاكم الأمريكية، ذكر المغرد السعودي (مجتهد) أن سبب الغضب الأمريكي عليهم يرتبط بانقلابهم على مشروع تسليم المنطقة بأسرها لجماعة الإخوان المسلمين، أي أنها غضبة بغضبة، ولعن الله هؤلاء وهؤلاء!.

الوهابية السعودية: الصورة الحقيقية

للمرة الأولى في التاريخ الإسلامي أصبح للتكفيريين دولة في قلب العالم الإسلامي، دولة تسيطر على أرض الوحي الإلهي وتؤمن إيمانا جازما أن كل من لا ينتمي لعقيدتها كافر يتعين قتاله وقتله!!.

دولة دستورها الأساس لا يقوم على حقوق المواطنة ولا حرية الاعتقاد بل على نص مقتطع عن آلاف النصوص الواردة في القرآن الكريم و(السنة النبوية) حتى بصورتها التي تعارف عليها كثير من المسلمين وهو النص القائل (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، هذا لو سلمنا جدلا بصحته ونحن لا نسلم بذلك.

الادعاء أن جرائم هذه العصابات استندت أو تستند إلى نص متفق أو مختلف عليه (أمرت أن أقاتل الناس) هو نوع من الهزل الرخيص حيث سنرى بوضوح أن تلك النفايات البشرية التي تزعم زورا وبهتانا أنها تقاتل دفاعا عن التوحيد مارست شتى صنوف الشذوذ والإجرام ودوما خارج أي نص أو سياق أو ما يمكن وصفه بالتوحش الارتجالي ومن ثم فما يزعمه الحمقى والمغفلون من أن التوحش صناعة داعشية ظهرت مؤخرا لا يعدو كونه نوعا من التواطؤ مع هؤلاء الوحوش الذين غص بهم تاريخنا الملطخ بالدماء والمتسخ بالوهابيين والسلاجقة والمماليك وقبلهم الأمويين.

دولة يُعرِف دستورها (غير الموجود) اكتفاء بعلمها الأخضر ذو السيف والشهادتين،

هويتها بأنها دولة التوحيد الذي هو حق الله على العبيد!!.

دولة تأسست من خلال القتل والترويع والسلب والنهب والإكراه وكان من الطبيعي أن تصطدم بكل من قرر الوقوف في وجهها والتصدي لإجرامها، أفرادا كانوا أم دولا وعلى رأس كل هؤلاء مصر.

قمنا بالتصدي للمنظومة الوهابية التكفيرية (الفكرية) في كتابنا (نقض الوهابية) وبينا بوضوح لا يحمل أي قدر من الالتباس أنها مجرد تعريب أو أسلمة لأطروحات الحبر الصهيوني موسى بن ميمون بعد أن قام ابن تيميه بإعادة صياغتها وتلخيصها ليصبح تنفيذها ممكنا في العالم الإسلامي.

لو بقي الفكر الوهابي محصورا في إطار تبادل الرأي ومقارعة الحجة بالحجة لهان الخطب، إلا أن الطامة الكبرى تمثلت في تسلح العصابة السعودية بهذه المنظومة البائسة وتحويلها إلى عقيدة قتالية في وقت أصبح حال العالم الإسلامي كما وصفه ربنا عز وجل (فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)، وما كان هذا ليحدث لولا الضربات المميتة التي تلقاها هذا العالم على يد البغاة الجبابرة القتلة من الأمويين والعباسيين والغز السلاجقة.

ما كان للعصابات الوهابية المسلحة أن تسيطر على جزيرة العرب قلب العالم الإسلامي لولا بلوغ هذا العالم أقصى دركات الانحطاط في العصر العثماني البائس حيث بلغت حالة نقص المناعة في مواجهة جرائم عصابات الداخل وغزوات الخارج ذروتها.

منظومة فكرية عقدية تقوم على تكفير من قال (الله ورسوله) وليس الله ثم رسوله، واعتبار القباب المبنية فوق أضرحة الأنبياء والأئمة عليهم السلام أوثانا تعبد من دون الله عز وجل، بل تذهب بوقاحتها وسفاهتها حد اعتبار أن (الغلو في الأنبياء والصالحين) هو الأساس الذي بني عليه الشرك القديم والمعاصر!!.

منظومة –لا يمكن وصفها بالمنظومة– لا تستند إلى أي أساس تاريخي أو واقعي ورغم ذلك فقد تمكنت من فرض نفسها على قطاعات واسعة ممن يسمون أنفسهم علماء لسبب بسيط للغاية هو أن هؤلاء أجهل من هؤلاء وأن هؤلاء وهؤلاء (كالأنعام بل هم أضل).

سنرى في هذا الكتاب كيف وقفت الدولة العثمانية السلجوقية عاجزة عن الفعل والتصرف إزاء هذا الطاعون وكيف كان ولاتها يتملصون من مهمة التصدي لهذه النفايات الفكرية والعقدية إلى أن ساق المصريين قدرُهم للقيام بهذه المهمة وكيف أنهم يدفعون ثمن أداءهم للواجب حتى هذه الساعة.

تباينت الآراء حول الدور الذي قامت به استخبارات عاهرة أوروبا في تأسيس هذه المنظومة ومدها بأسباب البقاء والتوسع عبر جاسوسها المستر همفر ونحن لا نرى وجها للعجب أو الاستغراب إلا أننا وكما أسلفنا نضع أغلب المسئولية على المسلمين الذين ابتلوا بمرض فقدان المناعة الفكرية والسياسية بفضل الدور التخريبي التدميري الذي قام به العباسيون والسلاجقة الذي حفزهم ومنذ قرون وقرون لتدمير كل ما هو مشرق وحي ونظيف في هذه الأمة والتباهي بهذا الإجرام دفاعا عما يسمونه عقيدة أهل السنة والجماعة والتي لم نر منها إلا التقديس الأعمى لبعض الأشخاص والإصرار على طمس جرائمهم وبشاعاتهم.

في هذا الفصل نقدم للقارئ الكريم صورة لارتكابات العصابات الوهابية سواء على مستوى الخطاب أو على مستوى السلوك لنفهم الظروف التي مهدت لتدخل مصر بقيادة محمد علي من أجل القضاء على (الدولة الوهابية) الأولى وأن هذا التدخل لم يكن لقمع حرية المعتقد، ولا من أجل توسيع النفوذ حيث ما زال البعض يصر على تصوير الحركة الوهابية كحركة إصلاح ديني وهو ما نراه في كتابات بعض المؤرخين.

من المفيد أيضا أن نلفت الانتباه إلى أن ما تفعله عصابة الإجرام الوهابي الداعشي الآن هو تكرار حرفي للسلوك الوهابي قبل قرنين من الزمان.

نماذج من الخطاب التكفيري الوهابي

من الضروري أن نتأمل في خطاب عصابة القتلة التي تمثلت في (دولة) لنفهم كيف اصبح تكفير المسلمين وإخراجهم من الملة سياسة دولة لا تزال ممتدة حتى الآن.

رسالة من سعود بن عبد العزيز إلى أهل الدرعية.

من سعود بن عبد العزيز إلى الإخوان من أهل الدرعية/ سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد.

بعد أن خصنا الله وإياكم بدين الإسلام فصار غيركم تبعا لكم يقتدي بكم في أصول الدين وفروعه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبلادكم صارت مجمعا للناس وامتلأت من سائر البلدان.....

من أهل المدينة المنورة إلى الإمام سعود بن عبد العزيز

أما بعد فقد أمرتنا بتوحيد الله واتباع سنة رسوله والقيام بفعل الطاعات والاجتناب عن المحرمات وهذا منك مقبول وأمرتنا بهدم القباب التي فوق القبور فهدمناها ... واعلم أن بداي بن مضيان استولى على مياه السيل بطريق العدوان وادعى أنك أمرت بهذا وهو مأمور وأنت لا ترضى بهذه الأمور والحال قد صار علينا موقوف ونحن جيران

رسول الله الكريم المبادرون للأمر والتسليم وقد أرسلنا لك من هذا الطرف.....

من الإمام سعود بن عبد العزيز إلى أهالي المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد فإني أدعوكم بدعوة الإسلام كما قال تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).
ونحن قادمون عليكم فإن أجبتم إلى الإسلام فإنكم بأمان الله....

رسالة من الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد إلى يوسف باشا والي الشام

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله معز من أطاعه واتقاه، ومذل من أضاع أمره وعصاه، الذي وفق أهل طاعته للعمل برضاه، وحق على أهل معصيته ما قدّر عليهم بقضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله لا رب لنا سواه ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.
من سعود بن عبدالعزيز إلى جناب حضرة يوسف باشا وزير الشام، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، كما قال النبي: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. والله تبارك وتعالى أرسل محمداً وأكمل الدين على لسانه، وأخبر جل جلاله في كتابه من يطع الرسول فقد أطاع الله، وأول ما دعا إليه النبي عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَّ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (سورة النحل، الآية: 36) [17].

(11) http://www.mukatel.com/openshare/Behoth/Atrikia51/Saudia1/mol05.doc_cvt.htm

رسالة من سعود بن عبد العزيز إلى والي بغداد

أرشيف رئاسة الوزراء التركي

من سعود بن عبد العزيز إلى جناب علي باشا: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعوة الإسلام أسلم تسلم وقولي هذا من الأمور التي عهدها الرسول الأعظم (صلى الله عليه) بيننا. إن الإسلام هو عبادة الله لا غير وترك عبادة غيره وإقامة الفرائض وترك المحرمات، فإن هداك الله لما قلت فسيكون الخير لك وستنال في الإسلام ما لم تنله بغيره وإن لم تتبعني في هذا القول فالعذر لله والله تعالى حجتنا عليكم وعلى غيركم كما قال تعالى (فإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم). وقد دخل حرما الله تعالى تحت ولايتنا فأمنا واطمئنا. وأبشرك أن إسلامي قد انتشر في كل مكان. وقد صعد عدد من أفرادنا فوق النجف الأشرف بواسطة السلم لكنهم عادوا لأن السلم لم يصل إلى أعلى القلعة. وقد دخل الشام في إسلامي وأسلم الشريف وأسلم عبد الله باشا ابن عظم [18].

كان هذا على مستوى الخطاب التكفيري الواضح وضوح الشمس (أسلم تسلم) وهو ما يعطي صورة واضحة عن رؤية الوهابيين لذواتهم المريضة التي تعد جماعا لآثام التاريخ (الإسلامي) خوارجيا وأمويا وهو المرض الذي انتشر وعم الآفاق في كل بقعة وصل إليها المد الوهابي.

(18) وثائق نجد. علي موجان. دار المحجة البيضاء ص 230-229.

جرائم آل سعود

وقعة العدوة 1205 هـ 1791هـ

وذلك أن كثيرا من البوادي الذين ساروا مع الشريف غالب انفردوا عندما رجع إلى مكة وأكثرهم من قبائل مطير وشمر ورئيسهم يومئذ حصان إبليس وانحازوا إلى الماء المعروف بالعدوة وهو مزرعة لشمر قرب حائل فنهض إليهم سعود مستنفرا أهل نجد وقصدهم في تلك الناحية ووقع بينهم قتال شديد فانهزمت تلك البوادي وقتل منهم عدد كبير وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة من الإبل والغنم والأثاث والأمتعة وأخذ جميع محلتهم وكان هذا آخر ذي الحجة، فلما انهزم هؤلاء استنفروا ما يليهم من القبائل ممن لم يحضر الواقعة وأرسلوا إلى سعود يدعونه إلى المنازلة فثبت لهم وانهزمت تلك البوادي وتركوا الإبل مقرنة في الحبال وتبعهم المسلمون وأخذوا جميع أموالهم وقاموا في أثرهم يومين يأخذون الأموال ويقتلون الرجال وحاز سعود أحد عشر ألف بعير وأكثر من مائة ألف راس من الغنم [19].

مجزرة القطيف 1206هـ 1792هـ

وفي جمادى الأولى سار سعود غازيا قاصدا الطائف وحاصر أهل سيهات وتسور

(19) تاريخ نجد ابن بشر ص 177-176.

المسلمون جدرانها وأخذوها عنوة وأخذوا ما فيها من الأموال مما لا يعد ولا يحصى وقتل منهم خمسمائة رجل ثم سار إلى القديح وأخذها عنوة وأخذ منها كثير من الأموال وقتل الرجال واستولى على عنك والعوامية ثم حاصر الفرضة لأن أكثر أهل القطيف هربوا إليها فصالحوه بثلاثة آلاف زر وأزال المسلمون جميع ما في القطيف من الأوثان والمتعبدات والكتائس وأحرقوا كتبهم القبيحة بعدما جمعوا منها أحمالا [20] .

مجزرة الأحساء

وفي تلك الأثناء بدأت في الأحساء من جديد انتفاضة ضد سلطة النجديين. فقد قتل سكان الهفوف ثلاثين من ممثلي الدرعية _ الحاكم والموظفين والعلماء الوهابيين وأيدت الهفوف عدة واحات أخرى. وكان صنيعة الوهابيين زيد بن عريعر، زعيم بني خالد، قاد خان أسياده وشاركه في الانتفاضة.

وفي خريف 1793 – 1208 هـ توجه سعود مع قوات كبيرة إلى الأحساء، ونهبت قواته كل ما صادفته في طريقها وقتلت دون رحمة كل من أبدى مقاومة ودمرت بساتين النخيل واستأثرت بمحاصيل التمور ورعت الماشية في الحقول. وكان منافس زيد بن عريعر وخصم الوهابيين سابقاً، برّاك بن عبد المحسن، قد انتقل إلى جانبهم. وأعربت الأحساء كلها عن خضوعها لهم. وعين برّاك بن عبد المحسن أميراً للأحساء، ولكنه حاول في ربيع 1796 أن يتخلص من سلطة الوهابيين الذين انشغلوا بعمليات حربية غربي وجنوب غربي نجد. وبعد عدة أشهر وصل سعود مع جيش قوي إلى الأحساء وقمع الحركة فيه من جديد.

وكتب أبن بشر في وصف إخضاع الأحساء يقول: «فلما أصبح الصباح رحل سعود بعد صلاة الصبح فلما استووا (يقصد الوهابيين) على ركائبهم وساروا، ثوروا بنادقهم دفعة واحدة. فأظلمت السماء وأرجفت الأرض وتأرجح الدخان في الجو وأُجهضت

(20) ص 178 عنوان المجد في تاريخ نجد. ابن بشر

الكثيرات من النساء الحوامل في الأحساء. ثم نزل سعود وأمرهم بالخروج أليه فخرجوا فأقام في ذلك المنزل مدة أشهر يقتل من أراد قتله، ويجلي من أراد جلاءه ويحبس من أراد حبسه، ويأخذ من الأموال، ويهدم من المحال، ويبني ثغوراً ويهدم دوراً، وضرب عليهم الوفا من الدراهم وقبضها منهم. وذلك لما تكرر منهم من نقض العهد ومنابذة المسلمين، وجرهم الأعداء عليهم، وأكثر فيهم سعود القتل، فكان مع ناجم بن دهينيم عدة من الرجال يتخطفون في الأسواق لأهل الفسوق ونقاض العهد... فهذا مقتول في البلد، وهذا يخرجونه إلى الخيام ويضرب عنقه عند خيمة سعود، حتى أفناهم إلا قليلاً. وحاز سعود من الأموال في تلك الغزوة ما لا يعد ولا يحصى. فلما أراد سعود الرحيل من الأحساء أمسك عدة رجال من رؤساء أهلها... وظهر بهم إلى الدرعية وأسكنهم فيها واستعمل في الأحساء أميراً ناجم المذكور، وهو رجل من عامتهم» [21].

الهجوم على كربلاء

في كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) ج 1 يقول مؤرخ الوهابية عثمان ابن بشر:

ثم دخلت سنة 1216هـ الموافقة لعام 1801 مـ وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة والخيل العتاق المشهورة من جميع حاضر نجد وباديها والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك وقصدوا أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين وذلك في ذي القعدة فحشد عليها المسلمون وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوة وقتلوا غالب أهلها في السواق والبيوت وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين وأخذوا ما في القبة وما حولها وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر واخذوا جميع ما وجدوا في البلد من الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر ولم يلبثوا فيها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال وقتل من أهلها قرابة ألفا رجل.

(21) تاريخ آل سعود: أليكس فسلييف، نقلا عن عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر ص 207-204.

ثم ارتحل منها ابن سعود على الماء المعروف بالأبيض فجمع الغنائم وعزل أخماسها وقسم باقيها على المسلمين غنيمة للراجل سهم وللفارس سهمان ثم ارتحل قافلا إلى وطنه[22].

محاصرة مكة وتجويع أهلها حتى الموت

حوادث سنة 1220هـ 1805مـ

وفي هذه السنة اشتد الغلاء والقحط على الناس في نجد وما يليها وسقط كثير من أهل اليمن ومات أكثر إبلهم وأغنامهم.

أما مكة فالأمر فيها أعظم مما ذكرنا بسبب الحرب والحصار وقطع الميرة والسابلة عنها حيث انتقض الصلح بين غالب وابن سعود فسُدت الطرق كلها عن مكة من جهة اليمن وتهامة والحجاز ونجد لأن كلهم رعية آل سعود وتحت إمرته فثبت عندنا وتواتر أن كيلة الأرز والحب بلغت في مكة ستة ريالات وبيع فيها لحوم الحمر والجيف بأغلى ثمن وأكلت الكلاب وبلغ رطل الدهن ريالين ومات خلق كثير منهم جوعا وأما في نجد فاشتد الجوع فيها على الناس ولكن جعل لهم الأمن العظيم في نواحيها يسافر الرجل إلى أقصى البلاد من اليمن وعمان والشام والعراق وغير ذلك لا يخشى أحدا إلا الله.

وفي هذه السنة أمر سعود على عبد الوهاب وجميع رعاياه من تهامة وسالم بن شكبان ورعاياه من أهل بيشة ونواحيها وعثمان المضايفي بجميع أهل الحجاز بالمسير إلى مكة فينزلون حولها ويضيقون على أهلها وأمرهم بانتظار الحاج الشامي وأن يمنعوه من دخول مكة إن كان محاربا.

فسارت تلك الجموع إلى مكة فاشتد الأمر على غالب وبلغ منه الجهد وطلب منهم الصلح فصالحوه وأمهلوه ومشت السوابل والقوافل إلى مكة وأعرضوا عن الحج الشامي.

(22) عنوان المجد في تاريخ نجد. ص 258-257. عثمان ابن بشر. الطبعة الرابعة الرياض 1982. مطبوعات دارة الملك عبد العزيز.

وأرسل غالب إلى سعود أهل نجايب وطلب اتمام الصلح والمبايعة فأجابه إليها وأمنت السبل ورخصت الأسعار في الحرمين وغيرها.

حصار المدينة المنورة وتجويعها

وفي أول هذه السنة بايع أهل المدينة المنورة سعودا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وهدمت جميع القباب التي وضعوها على القبور والمشاهد، وذلك أن آل مضيان رؤساء حرب وهم بادي وبداي أبناء بدوي بن مضيان ومن تبعهم من عربانهم أحبوا المسلمين ووفدوا على عبد العزيز وبايعوه وأرسل معهم عثمان بن عبد المحسن أبا حسين يعلمهم فرايض دينهم ويقرر لهم التوحيد، فأجمعوا على حرب المدينة ونزلوا عواليها، ثم أمرهم عبد العزيز ببناء قصر فيها فبنوه وحكموه واستوطنوه وتبعهم أهل قبا ومن حولهم وضيقوا على أهل المدينة وقطعوا عنهم السبل وأقاموا على ذلك سنين وأرسل إليهم سعود وهم في موضعهم ذلك الشيخ العالم قرناس بن عبد الرحمن صاحب بلد الرس المعروف بالقصيم فأقام عندهم قاضيا معلما كل سنة يأتي إليهم في موضعهم فلما طال الحصار على أهل المدينة وقعت المكاتبات بينهم وبين سعود وبين حسن قلعي وأحمد الطيار والأعيان والقضاة وبايعوا في هذه السنة [23].

الهجوم على النجف الأشرف

وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة والخيل الجياد المسومة المشهورة من جميع نجد ونواحيها وبواديها وقصد جهة الشمال ونازل بلد المشهد المعروف في العراق وفرق المسلمين عليه من كل جهة وأمرهم أن يتسوروا الجدار على أهله فلما قربوا منه إذا دونه خندق عريض عميق فلم يقدروا على الوصول إليه وجرى بينهم مناوشة ورمي من

(23) المصدر السابق 289-284.

السور والبروج فقتل من المسلمين عدة قتلى ورجعوا عنه ثم رحل عنه سعود وأغار على الرملات من عربان غزية فأخذ مواشيهم ثم ورد الهندية المعروفة ثم اجتاز بحلل الخزاعل وجرى بينه وبينهم قتال وطراد خيل.

ثم قصد السماوة وحاصر أهلها وأخذ من نواحيها ودمر اشجارها ووقع بينهم رمي وقتال ثم رحل منها وقصد البصرة ونازل أهل بلد الزبير ووقع بينهم وبين أهله مناوشة رمي ورحل منه إلى وطنه.

الهجوم على كربلاء مرة أخرى

وفي سنة 1223هـ (1808) مـ سار سعود بالجيوش المنصورة.. في جمادى الأولى متوجها نحو العراق ونازل أهل بلد الحسين فوجدهم محسنين بلدهم بسور عظيم وجنود جمعوها وذلك بعد أخذه لبلادهم عنوة كما ذكرنا سابقا. فحشد المسلمون على السور السلالم ووقع عنده رمي وقتال شديد، فلما علم سعود بإحصان بلدهم وعظم سورها كف المسلمين بعد أن كادوا يتجاوزون السور وينزلوا فيه فرحل عنها ونزل على بلد شثاثا المعروفة في العراق فهرب أهلها في رؤوس الجبال واستولى على بلدهم ثم أرسل إليهم وأعطاهم الأمان ومن عليهم ببلدهم وما فيها وأخذ جميع ما عندهم من الخيل.

ثم سار إلى البصرة وسار المسلمون على جنوبها ونهبوا فيه وقتلوا قتلا [24].

اجتياح الطائف

لما علم الشريف غالب بخروج سعود من الدرعية في حشود كبيرة لغزو مكة المكرمة وأنه وصل بجيشه إلى قرية تربة قرب الطائف جمع جنوده ونازلهم في القرية المذكورة

(24) المصدر السابق 296-295.

وطرد سعودا منها.

لم يصمد سعود بن عبد العزيز إزاء هجوم الشريف غالب فهرب أمامه ولجأ جنوده للجبال لكن الشريف غالب لم يتعقبهم، حيث أعاد سعود ابن عبد العزيز تجميع عساكره وأخذ في التضييق على عربان قبائل الحجاز بشكل مستمر وبدأ في تحريضهم وأدخلهم في طاعته وازداد عدد الموالين له حتى أجبر الشريف غالب على توقيع معاهدة صلح معه.

بموجب هذا الاتفاق أصبح بإمكان سعود وأتباعه من الوهابيين الحج لبيت الله الحرام والطواف به متى ما أرادوا ذلك ولهم أن يقيموا في نواحي الطائف وما جاورها ويمكن لأتباع الطرفين تبادل البيع والشراء كما أعلن العفو عن البدو الذين هزموا الشريف غالب في موقعة الطائف وبقي قسم من الحجاز تحت حكم الشريف غالب والبعض الآخر تحت حكم سعود بن عبد العزيز وكان هذا عام 1212 هـ. 1797مـ.

ولأن هذا الاتفاق حدث أواسط 1212 فقد قدم سعود في موسمي الحج عامي 1213 و1214 بنفسه ومعه جموع غفيرة من العسكر وظهر بهم في مكة وعرفات ونشر بذور الفساد في قلوب قبائل العربان وعقولهم.

أدرك الشريف غالب متأخرا ومن خلال التحركات المشاهدة تزايد أعداد الذين يبايعون سعودا تزايد خطر الوهابية وأن زمام الأمور في المنطقة ينتقل إليه فأرسل إليه رسائل ومكاتيب تطالبه بإعادة أعراب البادية إلى قراهم بمقتضى شروط المعاهدة، إلا أن الرد جاءه حاسما (أنه لا يجوز شرعا إعادة من يدخل في دين الحق)، ومن ثم فكر في استخدام القوة العسكرية من أجل تنفيذ أحكام المعاهدة وشروطها، إلا أن سعود بن عبد العزيز كان قد جمع رؤساء القبائل وخاطبهم قائلا: من كان مريدا للطاعة فليدخل تحت ظلال سيوف سعود ومناهم أن من يطيع أوامره سوف يتخلص من آفات الدنيا ومصائبها وسينجو من عذاب الآخرة وسمع الشريف غالب بكل هذا حيث لم يبق عنده قوة من العسكر يمكن لها أن تقف سدا أمام هؤلاء فقرر تجديد المعاهدة حتى لا تسقط مكة بأيديهم. تبع ذلك أن تحول كل من عثمان المضايفي ومعه محسن الخادمي ضد الشريف غالب وانضما للوهابية وعادا ومعهما الفرقة التي كلفها ابن سعود ووصل

المضايفي إلى موقع العبيلة قرب الطائف وأرسل إلى الشريف غالب مخبرا له أن المعاهدة قد نقضت وأنه ينوي الاستيلاء على مكة المكرمة ثم ارسل إلى كل الأطراف يطلب منهم التسليم والدخول في طاعة ابن سعود.

أرسل الشريف غالب إلى المضايفي يدعوه إلى ترك الفساد والشقاوة ونصحه بالعودة إلا أنه مزق الرسالة وتمادى في غيه.

أرسل الشريف غالب عدة فرق لمهاجمة قوات الوهابيين إلا أنها منيت بالهزيمة فاضطر الشريف غالب للانسحاب إلى قلعة الطائف والتحصن بها.

ولما أدرك عثمان المضايفي أن الشريف غالب لم تعد لديه القدرة على الصمود أسس مقرا لقيادته في قرية (المليس) قرب الطائف أواخر شوال 1217هـ وقرر البدء في فرض الحصار على قلعة الطائف وأرسل في استدعاء أمير بيشة سالم بن شكبان الذي التحق به.

وشن الشريف غالب بمعونة أهل الطائف هجوما على (المليس) وقتل خمسمائة من أتباع سالم بن شكبان إلا أن الشكبان شن هجوما مضادا واستعاد القرية واغتصب أموال أهلها فدب الرعب في قلب غالب فخرج سرا من الطائف هاربا تحت جنح الظلام.

بقي أهل الطائف في حالة من الخوف والهلع فقرر فريق منهم الهرب بأموالهم وأولادهم بينما استسلم الباقون للقدر.

تولى أهل الطائف الباقون في القلعة مهمة الدفاع عنها وأنزلوا بالوهابيين خسائر كبيرة إلا أن توالي الهجمات وكثرة عدد المهاجمين اضطرتهم لتسليم القلعة فأرسلوا رسولا منهم لقيادة العدو طلبا للأمان.

عندما خرج الرسول تبين أن قوات الوهابيين بدأوا يولون الأدبار هاربين ورغم ذلك خلع عمامته وصاح بأعلى صوته (أيها الجند الشجعان إن الشريف غالب لم يستطع الصمود أمام هجومكم فهرب موليا الأدبار وإن أهل الطائف في غاية الضعف والإنهاك وقرروا مغادرة القلعة وتسليمها لكم شرط أن يحصلوا منكم على العفو والأمان وهم يرجون جميل صنعكم وخيركم ولم. أرجوكم عودوا فنخلة سعدكم وحظكم بدأت تعطي ثمارها على ما تحبون. لقد تجشمتم الصعاب الهائلة فلا يليق بكم بعد هذا ألا

تسيطروا على الطائف وتولوا عنها وتعودوا أدراجكم وإني أطمئنكم على هذا الأمر واقسم لكم بالله أن أهل الطائف سيستسلمون لكم دون مقاومة وسيقبلون كل ما تشترطونه وتقترحونه عليهم.

وعندما عاد هذا الأحمق إلى القلعة ساوم أهل الطائف على تسليم كل أموالهم للوهابيين وطلب منهم (تعطونا دفترا دقيقا يحتوي أسماء الشخاص الذين يخبئون الأموال وبعد هذا تزودونا برجال يقومون على حراستها ومع هذا فإننا قد نسمح لرجالكم بالرحيل حيث يريدون أما نساؤكم وأطفالكم فسنأخذهم كلهم أسرى).

وفي تلك الأثناء اقتحم الوهابيون القلعة وأعملوا السيف في كل من صادفهم دون فارق بين رجل وامرأة أو طفل وتركوا الحيوانات الضارية تنهش أجساد القتلى ثم نهبوا ما وقع بأيديهم من مال ومتاع.

أقام عثمان المضايفي مقرا لقيادته في العبيلة ومعه المبعوث الخائن الذي خطب في الناس قائلا: يا أهل الطائف لقد حصلت لكم على الأمان من ابن شكبان وأبارك لكم ذلك والآن خذوا نساءكم وأولادكم واخرجوا من أبواب القلعة واذهبوا حيث شئتم وكان هذا مجرد خداع للناس فصدقه بعض الأهالي الذين نجوا من القتل وتواروا في المخابئ فخرجوا مصطحبين أولادهم ونساءهم تاركين منازلهم ومتاعهم وتدافعوا نحو الأبواب إلا أن حراس الأبواب قاموا بتفتيشهم جميعا ومن لم يجدوا معه شيئا من نقود ومتاع أعادوه على أعقابه وأصعدوهم على تل مرتفع محاط من كل اتجاه بالغوغاء المسلحين حيث تركوا فوق هذا التل اثني عشر يوما بلا طعام أو رعاية ثم أخذوا ينادون عليهم واحدا واحدا ويوسعونهم ضربا وشتما ليدلوهم على مكان أموالهم وأشياءهم ولما ارتفعت أصواتهم أرسل الحرس يستأذنون من ابن شكبان والمضايفي يستأذنونهم في قتل الرجال.

حيث بدأ ابن شكبان في قتلهم مع أبنائهم ونسائهم ولم يبق منهم أحد حيث قتل 367 رجلا.

تركت الجثث مدة طويلة فوق التل تنهشها الحيوانات وأخذ الوهابيون يتجولون في

منازل القتلى ودورهم وجمعوا كل ما وجدوه من مال وأتوا بها ثم قسموا الخمس لسعود ووزعوا الباقي على الأشقياء.

ثم انصرف الوهابيون لنهب كل ما وجدوه من كتب نادرة لا حصر لها ولا عدد كانت محفوظة بالمكتبات وخزائن الزوايا في كل صنف من علوم التفسير والحديث وقاموا بتمزيقها وألقوا بها على الأرض ونزعوا الجلد من على المصاحف تلك المزينة مذهب ومزين وصنعوا منها شراكا لنعالهم حتى أن هذا الجلد قد نقشت عليه بعض الآيات القرآنية والأسماء الحسنى لدرجة أن مدينة الطائف على كبرها لم يبق بها سوى ثلاث نسخ من القرآن الكريم ونسخة واحدة من صحيح البخاري.

بقيت جثث الشهداء ستة عشر يوما ملقاة في العراء على التل فتعفنت وحصلت منها روائح كريهة فجعل الناس يتوسلون ابن شكبان حتى أذن لهم فحفروا حفرتين كبيرتين وألقوا فيهما الجثث.

جال الوهابيون بعد ذلك وسط المقابر فهدموا كل قبة وضريح وسووا القبور بالأرض.

أراد الوهابيون بعد ذلك هدم ضريح عبد الله ابن عباس واستخراج رفاته ولما هموا برفع غطاء الصندوق ارتعبوا وأصابهم الفزع وبدلا من ذلك قرروا إحراق الضريح وجاءوا بكميات من البارود إلا أنه لم يشتعل هو الآخر وبقي الحال على ما هو عليه.

استيلاء الوهابيين على مكة المكرمة

بعد أن أحكم عثمان المضايفي قبضته على قلعة الطائف انطلق للاستيلاء على مكة المكرمة حيث التقى مع سعود في موقع (السيل) وفي تلك الأثناء وصلت الأخبار أن والي جدة شريف باشا وصل إلى مكة المكرمة ومعه قوافل الحجاج المصريين والشوام، لذا لم يتجرأ سعود على حصار مكة واكتفى بتهديد الشريف غالب وكان ذلك عام 1217هـ.

فزع الشريف غالب فزعا شديدا من التهديد الوهابي والتقى بوالي جدة وأمير الحج المصري وطلب منهم المدد إلا أن طلبه قد رفض فاضطر لتعيين أخيه الشريف عبد المعين

نائبا على إمارته وأحرق قصره الواقع عند سفح جبل أجياد وارتحل مع أهله نحو جدة.

أرسل عبد المعين سنة 1218هـ عددا من العلماء إلى ابن سعود يطلب منه العفو والأمان فقبل ابن سعود طلبه والتماسه وأخذ جيشه المحتشد في منطقة (السيل) وتوجه نحو مكة وأقر عبد المعين على منصبه وأمر بهدم القباب والأضرحة الموجودة بها.

توجه ابن سعود بعد ذلك نحو جدة إلا أن الشريف غالب بالاتحاد مع والي جدة شريف باشا هزموا الوهابيين وفرقوهم.

وبسبب تمادي الوهابيين في جرائمهم أرسل الشريف عبد المعين يستمد أخيه الشريف غالب لإخراجهم من مكة فتم الهجوم عليهم وهرب ابن سعود وأحيط بجنده الذين طلبوا الأمان شرط التخلي عن أسلحتهم فأخلي سبيلهم وأخرجوا من مكة ثم استعيدت قلعة الطائف وطرد منها المضايفي.

لم يعد الوهابيون الذين أخرجوا من مكة إلى ديارهم بل أخذوا يقطعون الطرق ويمنعون وصول المؤن إلى الحرم المكي [25] .

تقرير عن تدهور الأوضاع الأمنية

وثيقة رقم 16

الواصلة من الشريف غالب بن مساعد

تاريخ 16 جمادى الأولى سنة 1216 هجري قمري

أرشيف رئاسة وزراء الجمهورية التركية

(في موسم الحج من السنة الخامسة عشرة التي مضت وصل عبد العزيز بن سعود الخارجي إلى جبل عرفات بحجة أداء الحج وكان معه ضعفا السنة الماضية من الجنود المسلحين بالبنادق الذين لا حصر لهم وعدد كبير من الخيالة وأنواع آلات الهدم والحديد وكانت نيته في السيطرة على مكة المكرمة أظهر من الشمس. ورغم أنه أدرك إثر رؤيته

(25) تاريخ الوهابيين. أيوب صبري. ترجمة مسعد بن سويلم الشامان. ص 29-21.

لمعسكراتنا والمدافع والجنود والتجهيزات التي نشرناها من مكة المكرمة حتى منى والمزدلفة وعرفات على طول الطريق أننا تصرفنا هذه المرة بوعي وتدبير لم يجرؤ على إشعال الفتنة فعاد إلى مأواه في اليوم الثامن عشر من الشهر المذكور قبل أن يصل إلى أبيه يوم الثالث عشر من محرم فاشتعلت نار غضب أبيه وعاتبه قائلا: لقد أرسلتك بالكثير من الجنود والخيالة لفتح مكة والاستيلاء عليها فكيف وبأي جرأة عدت خالي اليدين؟ وكنت كلفتك أن تهاجم مكة دون توقف وتزيل قبب أموات المشركين وتعمم القتل فيهم وتغنم أموالهم لجنود الإسلام، وأنت لم تبذل مثل هذه الجرأة وحسب بل وقفت مع المشركين في عرفة ولإني أخشى أن يكون الشرك قد تكون في باطنك واستولى عليك.

ثم أمر سعود بحشد قواته وتوجيهها لمقاتلة الأعراب المحيطين بمكة المكرمة حيث عمد إلى قتل النساء والأطفال في الحرم الطاهر وهم يستغيثون ويقولون أغيثونا وأعينونا أو اسمحوا لنا أن نكون تحت حماية سعود.

وإذا لم تر عشائر العرب نتيجة من جانبنا فسوف يزداد أتباع ذلك المارق وسوف تصبح كل النواحي المقدسة تحت حكم ذلك الخارجي [26].

الجريمة الكبرى نهب أموال النبي

عندما دخل الوهابية إلى المسجد النبوي: أخذت الغيرة والحمية أحد أغوات الحجرة النبوية الشريفة، يدعى سالم آغا، لما رآه من عدم احترامهم لمرقد النبي صلى الله عليه وسلم وعدم تعظيمه وتوقيره، فسل سيفه في يوم الجمعة، وهاجم الوهابيين. وأدرك سعود النتائج الوخيمة لهذا العمل، فأشار بسرعة بإغلاق أبواب المسجد النبوي الشريف، واعتقل رفاق الآغا المذكور، وقيدوه بالحديد، وحبسوه ثم جلبوا شيخ الحرم عنبر آغا، وحبسوه،

وأوقعوا عليه غرامة مالية قدرها عشرون ألف قرش. وبعد ذلك أخلوا سبيله،

(24) وثائق نجد. ص249-247. تقارير أمراء العثمانيين المعاصرين لظهور محمد بن عبد الوهاب. تأليف علي موحان ترجمة عقيل خورشيد. دار المحجة البيضاء. بيروت لبنان.

وسمحوا له بالذهاب إلى مصر.

وما كاد المحمل الشامي يبتعد عن المدينة بعدة منازل، حتى انتقل سعود التعيس إلى المحكمة الشرعية، وأعطى أوامره بالإغارة على الحجرة النبوية الشريفة وخزينتها، ونهب كل ما كان فيهما من الذهب والمجوهرات والأشياء الثمينة ثم أمر بهدم ما بقي من القباب التي لم تهدم، ولكنه أبقى القبة النبوية الخضراء في حالة خراب.

عقب ذلك أمر بجمع أهالي المدينة المنورة كلهم في المسجد النبوي الشريف، وأغلق أبوابه عليهم، وبدأ يخطب فيهم، فقال:«يا أهل المد ينة، إني قصدت بجمعكم في هذا المكان، أن أقدم لكم نصائح طيبة وجميلة، وأنبهكم إلى وجوب التقيد والعمل بما سأصدره إليكم ومن تعليمات وأوامر.

يا أهل المدينة، لقد وصل دينكم اليوم حد الكمال والتمام بموجب الآية الكريمة» اليوم أكملت لكم دينكم..» 37 ، وتشرفتم بنعمة الإسلام، وأسعدتم وأرضيتم ربكم عنكم. ومن الآن فصاعدًا، تجنبوا

الميل إلى دين آبائكم وأجدادكم الباطل، وتحاشوا ذكرهم بالخير، ولا تترحموا عليهم فأجدادكم كلهم قد ماتوا على الشرك والكفر ولقد بينت لكم أعمالكم وطاعاتكم وعباداتكم في الكتب الشريفة التي أعطيتها لعلمائنا وداوموا على دروس علمائكم، واعملوا بما يقررونه في كل مسألة وخذوا بكل موعظة يبينوها لكم، واجتهدوا في التمسك بمقتضاها. وإذا حدث أن أحدًا منكم خالف هذا أو أظهرالإعتراض عليه، فسوف أجعل أموالكم ومتاعكم أرواحكم حلالا مباحًا لعسكري فقد أصدرت التعليمات الشرعية التي بموجبها يأخذونكم جميعًا وأولادكم ونساءكم أسرى، وأن يحاسبوا رجالكم، ويعاقبوهم بالعقاب الذي يرونه ويقررونه هم. ومن غير المشروع في مذهبنا أن تقوموا، كما في السابق، بالوقوف أمام القبر النبوي الشريف، وتعظموه، وتصلوا وتسلموا عليه. فهذه الأفعال القبيحة من البدع غير المستحسنة، وهي محرمة في الدين الوهابي. ومن الواجب أن من يمرون أمام القبر الشريف، عليهم أن يعبروا بدون توقف، وفي أثناء مرورهم يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم، بقو ل:» السلام على

محمد» وهذا الاحترام والرعاية كافية حسب اجتهاد إمامنا محمد بن عبد الوهاب».

واستمر سعود بعد ذلك في كثير من الكلام المستهجن، ثم أمر بفتح أبواب المسجد النبوي الشريف، وأخرج الناس منه.

وبعد أن عين ابنه عبد الله واليًا على المدينة المنورة، انقلب عائدًا إلى الدرعية.

ويفهم من خطبة سعود السابقة أن دعوة الوهابيين ليست دعوة مذهب، بل هي دعوة (ديانة جديدة).

وسعود، وإن كان قد ظهر على الساحة في الواقع على أنه عامل بمذهب ابن عبد الوهاب ومقتد به، إلا أن ضميره ونيته الحقيقية هي إيجاد دين آخر جديد [27].

محضر تحقيق رسمي مع سراق مال النبي

المكان الآستانة عاصمة الدولة العثمانية.

بوشر قبل كل شيء بإخراج المذكور (عبدالله بن سعود) منفرداً وبوضعه في غرفة أخرى، ووُجِّه إليه الحديث الآتي:

«إننا سنسألك عن بعض الأشياء فإن كنت ستجيب على أسئلتنا على صورة صحيحة وموجبة للاعتماد وتُظهر هكذا صدقك وإخلاصك فإنك ستنجو بلا شك من هذه العقوبة، وستكون موضع الالتفات الكريم، أما إذا كنت ستتذرَّع بالإنكار وتقع فريسة الادعاءات الباطلة، تصبح حينئذ معرضاً لمواجهة عاقبة وخيمة. وسؤالنا هو:

«حين استولى والدك سعود فيما سبق على المدينة المنورة كنت أنت بالذات معه ومرافقاً له، كما هو معلوم لدى العموم، وفي ذلك الحين دخلتم الروضة المطهرة وسلبتم وانتزعتم منها ومن الخزانة الشريفة أشياء وأغراضاً وأموالاً كثيرة و (تبرّكات) ذات قيمة، وإن ما هو موجود في الصندوق، الذي أُحضر معك هذه المرة من الأشياء المباركة هو جزء تافه قليل مما سُلب وأُخذ. فأين بقية تلك الكميات الوفيرة من التبركات والأشياء النفيسة؟

(27) تاريخ الوهابيين أيوب باشا صبري ص 55-53

وبما أن هذه الأشياء مما لا يمكن أن يُدَّعى تلفه فهي والحالة هذه لا بد أن تكون موجودة في محل ما بلا شك، وبناء عليه فإننا نرغب أن تفيدنا عن محل وجود الأشياء الباقية وبأيدي من هي حالياً؟ ولكي يتيسر لك الخلاص ويمتد أمامك طريق السلامة عليك أن تقول الحقيقة وتفيدنا على وجه الصحة عما سألنا عنه».

ولما انتهينا من سؤالنا أجاب بقوله:

«إنه وإن كان في ذلك الوقت وفي الواقع بصحبة والده سعود لما دخل المدينة المنورة ولكنه، على ما يزعم، لم يدخل معه الحجرة الشريفة لأنه لم يكن راضياً قطعاً عن ذلك وعن سلب تلك الأشياء المباركة ولم يتدخل قطعياً بهذا الأمر ولم يأخذ أي شيء منها قلَّ أو كثر، حتى إنه لم يشاهد الأشياء التي أُخذت، لأن والده سعود هو الذي دخل وحده إلى الحجرة المباركة ومعه من أعوانه وخواص أتباعه المدعوون عبدالله بن مطلق وغصَّاب وحبَّاب وأحمد الحنبلي، وإبراهيم بن سعيد وشخص يدعى جبر كان يشغل وظيفة رئيس كتاب (أمين ديوان) سعود، فإذا كان هنالك أشياء أُخذت وأغراض سُلبت فيكون هؤلاء هم الذين أخذوها. وقد توفي من هؤلاء المدعو إبراهيم بن سعيد وباقي الأشخاص موجودون الآن في الدرعية عند والي جدة إبراهيم باشا، وإن رأس الكتاب المدعو جبر المذكور يعرف أكثر من غيره هذه الأمور لأنه كان وحده مطَّلعاً على خصائص وشؤون والده سعود».

ولما انتهى من إجابته هذه قلنا له «إنه لمناسبة كونه أكبر أولاد سعود، وهو المؤتمن الموثوق به قبله أكثر من الغير ولأنه كان في ذلك الوقت مدير شؤونه، فإن قوله إنه لا يعرف، وإنكاره حقيقة ما وقع، وإسناده الأمور إلى أجانب مثل فلان وفلان، واللجوء إلى تبرئة ذمته على هذه الصورة، هو جواب لا يمكن أن يكون مقبولاً، وأنه في أية حال، يجب أن يكون لديه العلم الكافي بما جرى بالأشياء الثمينة المذكورة المأخوذة». وكررنا عليه العبارات المؤثرة، ولكنه كرَّر ما قال، وحلف الأيمان المغلظة، منكراً تدخله فيما نسب إليه، وما سُئل عنه. وأضاف أنه لم يشاهد الأشياء التي أُخرجت من الحجرة الشريفة وأُخذت، ولا هو يدري ما هي أشكالها، وأنواعها، وأن حقيقة الحال والواقع لا يمكن

أن يعرفها اليوم سوى الموجودين في الدرعية. وقال إنه منذ وقوع هذه الحوادث نفر من أبيه غاضباً واعتزله وعاش لوحده وبقي بعيداً عنه ولم يذهب إلى جهته حتى وفاته. هذا ما جاء بإفادته ثم أُحضر رفيقه المدعو عبدالله السري منفرداً وهو الذي، حسب زعمه، كان خادمه وحافظ أمتعته وثيابه، وبوشر كذلك باستجوابه بعد المقدمات المؤثرة، فأفاد أنه عبارة عن خادم، وأنه بهذه الصفة لا يمكنه أن يطلع على هذه الأمور ولا أن يعلم شيئاً عن الأموال والأشياء المبحوث عنها. وعاد هو أيضاً فذكر أسماء الأشخاص الذين مر ذكرهم والموجودين في الدرعية، وقال إن هؤلاء هم الذين يعرفون وحدهم ما جرى، وحقيقة كل هذه المسائل؛ ولكنه أضاف، أنه لما كان عبدالله بن سعود على وشك الحضور إلى هنا، وبينما كان في مجلس والي جدة إبراهيم باشا بالدرعية، شاهد هذا الصندوق حين أتت به شقيقة عبدالرحمن بن سعود، الموجود الآن في الدرعية، وسلمته إلى عبدالله، لكي يأخذه معه لافتراض أن الدولة العلية ستسأل عنه، وأن هذا بدوره سلَّمه، إلى المشار إليه (يقصد إبراهيم باشا)، وأن هذا كل ما يعرفه، وقد أصرَّ على ذلك دون إضافة شيء، رغم التأكيد عليه، وكرر إجابته.

وبناء على ما سُمع بالتواتر ولدى الاستمرار باستجواب عبدالله مرة أُخرى فُهم أن بعض الأشياء ذات القيمة الكبيرة التي كانت موجودة بالصندوق الذي أخذه أبوه سعود من الحجرة الشريفة قد بيعت إلى الشريف غالب المتوفى بمعرفة نسيبه محمد عطاس، وأن الشريف المتوفى أرسلها أيضاً من قبله إلى الهند لكي تباع في تلك الجهات، وأن ما بقي من المواد والأشياء وزَّعه والده على هذا وذاك وأتلفه. وقد أودع هذا الصندوق أثناء وجوده على قيد الحياة (أي سعود) وسلمه إلى شقيقته (موضي)، وذلك بعد أن سجل مفردات الأشياء الباقية وعددها وأنواعها بدفتر مختوم وضعه داخل الصندوق. وبعد أن توفي والده وعاد (أي عبدالله) إلى الدرعية أتت شقيقته بالصندوق وسلمته له كما هو ولم يصل إلى يده أي شيء آخر عدا ما ذكر، وأنه لما كان على وشك الحضور إلى استانبول أحضر الصندوق بدوره وسلمه إلى إبراهيم باشا والي جدة الموجود بالدرعية. وقد تبين أن هذه الأمور جميعها منطبقة على ما جاء بإفادته ومن فحوى التحقيقات الدقيقة التي كان

أجراها إبراهيم باشا المشار إليه أيضاً. على أن عبدالله بعد أن تبين هذه الأمور وُجِّه إليه سؤال آخر وهو: أن ما أفاده بأنه لم يكن بيد والده سوى هذه الأشياء وأن ما عداها قد وُزع وأُتلف، غير وارد أو صحيح وأنه من الملحوظ أن يكون عدد من هذه الأشياء التي لم تتلف ولم تبع لا يزال موجوداً وقلنا له: إنه من البديهي أن تكون كافة تلك الأشياء قد انتقلت إليكم بعد وفاة الوالد إذ لا يعقل أن يتدخل الغير بذلك، كما أن هنالك الكثير من الأشياء والموجودات الفنية والأغراض المباركة ذات القيمة، أُخذت من مشهد حضرة الإمام الحسين ومن أماكن أُخرى غير الحجرة الشريفة، ولذا وجب إعطاء المعلومات أيضاً عن نوع هذه الأشياء وعن عددها وعن محل وجودها.

وقد كان يُستعمل معه اللين أحياناً والشدة والتخويف تارة أخرى حسب الاقتضاء لأخذ جواب شاف ولكنه كان دائماً يعود فيحلف الإيمان المغلظة مصراً على ما قاله سابقاً ومؤكداً بأنه وإن يكن صحب والده إلى المدينة المنورة إلا أنه لم يتدخل قط بقضية أخذ أشياء أو أموال من الحجرة المباركة ولم يرَ شيئاً، وأن الحقيقة هي هذه لا غير، وأفاد بأنه لم يكن مع والده حين ذهب إلى مشهد حضرة الإمام الحسين ولا علم له بذلك، وأنه إذا كان جرى شيء فإن والده هو الذي قام به وإذا كان أخذ شيء فإن والده هو الذي أخذه وأتلفه وأضاعه، وأن الأشخاص الذين ذكرهم بإفادته آنفاً والذين كانوا بصحبته يعرفون ما جرى حين الذهاب إلى المشهد وأنه بالذات ليس له دخل في كل هذه الأمور وهذا ما يعرفه الجميع، فإذا أجرت الدولة العلية تحقيقاً بهذه الأمور يتضح ذلك وتبرأ ذمته. هذا ما أجاب به على الفور ولم يزد.

وبعد ذلك أعيد عبدالله إلى الغرفة الأخرى وأُحضر أحد رفيقيه في السجن المدعو عبد العزيز، وهو الذي يقال إنه كان كاتبه الثاني، منفرداً، وبعد سرد المقدمات المناسبة بوشر باستجوابه، وبعد أن أفصح عن اسمه وهويته قال: «أنا كنت في خدمة عبد الله، كاتبه الثاني، ولما تقرَّر الحضور إلى استانبول لدى خروجه من الدرعية استصحب معه اثني عشر نفراً ليقوموا على خدمته، لدى الوصول إلى مصر، لم يقبل والي مصر أن يستصحب معه هذا العدد من الأشخاص لأنه استكثره وسمح بشخصين فقط وكلَّف عبدالله بأن

ينتخبهما فرغب عبد الله بأن يستصحبني ورفيقي الموجود معي حالياً، وبما أننا لم نكن نعرف أننا سنكون معرضين لهذه الحالة قبلنا باختيارنا ورضانا أن نصحبه وأتينا».

أضاف قائلاً: «إنني لم أكن موجوداً حين الاستيلاء على المدينة المنورة ولا حين جرت وقعة مشهد حضرة الإمام الحسين، ولذلك فإنه لا علم لي قطعاً بالأشياء المأخوذة، وعبدالله لم يكن راضياً عن اقتحام أبيه الحجرة الشريفة والتصدي لها، لذلك ومنذ ذلك الوقت افترق عن معيته ولم يذهب إليه طيلة مدة حياته حتى وفاته، وأن سعوداً لم يُظهر أحداً على ما أخذه من أموال إلى أولاده وأقاربه. اطلع من كان بمعيته فقط وهم المدعوون عبدالله بن مطلق وحباب وغصاب الذين كانوا معه حين أخذ الأشياء والأموال المذكورة وأن هؤلاء في الدرعية موجودون عند إبراهيم باشا. وقد سمعت أن سعوداً حين أخذ تلك الأموال والأشياء وزع قسماً جزئياً منها على عساكره وباع الباقي إلى الشريف غالب المتوفى. وتصرَّف الشريف غالب بقسم منها وباعه في الحرمين الشريفين إلى هذا وذاك وبعث بما بقي إلى الهند فبيع هناك ولم يصل ليد عبدالله سوى هذا الصندوق الذي سلمه» [28].

الطريف في الأمر أن هذه الوثيقة منشورة بنصها على موقع خالد بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود ويبدو أن آل سعود يرون أن هذا النوع من الجرائم لا تخل بالشرف، ربما لأنهم سرقوا بغرض التبرك بكل ما يمت إلى النبي بصلة!!.

كما تكشف الوثيقة أيضا عن مشاركة الشريف غالب في هذه الجريمة البشعة عبر بيعه المسروقات إلى بعض التجار في الهند وربما كان هذا هو السبب في الإطاحة به من قبل محمد علي باشا وإقالته من منصبه كحاكم للحجاز.

أما الأطرف أن هذا اللص الخارق لكل القيم والأعراف والأخلاق هو عند سلطعون الصحراء: (الإمام) عبد الله بن سعود!!!.

(28) http://www.mukatel.com/openshare/Behoth/Atrikia51/Saudia1/mol11.doc_cvt.htm

منع الحجيج من أداء مناسكهم

قبل أن نسرد وقائع منع الحجيج من أداء مناسكهم نحتاج للرد على ممسوحي الأدمغة الذين سيتلون علينا سلسلة المبررات التي رد بها الوهابيون القدامى والمحدثون على منتقدي هذا السلوك المعادي للإسلام والمسلمين، بألا شيء يبرر أو يفسر هذا السلوك الإجرامي، لا اصطحاب الموسيقى ولا التدخين ولا أي شيء من تلك المبررات!!.

لا تزر وازرة وزر أخرى!!.

في كتابه تاريخ آل سعود يقول المستشرق الروسي أليكسي فاسيلييف:

توقف الحج من الإمبراطورية العثمانية. اعتباراً من عام 1807 أخذ سعود يؤدي فريضة الحج سنوياً على رأس قواته. وكان عادة يعين موضعاً قرب المدينة المنورة لتجمع الوهابيين ثم يتحرك نحو الجنوب. وفي الطريق تنضم إليه فصائل من عسير والطائف وبدو من مناطق الحدود بين الحجاز ونجد وعسير ومحاربون من مختلف نجد وجبل شمر بزعامة أمرائهم. وكان سعود كل مرة يوزع الصدقات في مكة ويتبادل الهدايا مع غالب ويحمل كسوة ثمينة للكعبة. وقد شهد أبن بشر حج سعود ذات مرة وترك وصفا تفصيليا له.

لقد أجلى سعود من الحجاز القضاة والموظفين العثمانيين الذين كانوا في مكة والمدينة. وكان يعزز دوماً تحصينات المدينة المنورة ويحتفظ بحامية قوية فيها يستبدلها كل عام.

واعتباراً من عام 1803، أخذ الوهابيون يعيقون بمختلف الوسائل قوافل الحجاج من أرجاء الإمبراطورية العثمانية، ومنها الشام ومصر. كانت قوافل الحجاج التي تتوارد على الحجاز سنوياً تحضر معها المحمل وهو عبارة عن هودج مزين بفخامة على ظهر جمل يحظى بالتقدير. وفي المحمل كسوة الكعبة أو نسخ من القرآن أو نفائس الأحجار الكريمة. ويسير مع الحجاج موسيقيون يعزفون على الطنبور والطبول وغيرها. وكان بعض الحجاج يحضرون معهم مشروبات وترافقهم محظيات. ولا بد أن يثير ذلك تذمر الوهابيين لأنه يتعارض مع أصول الدين ومبادئهم الأخلاقية.

وطالب الوهابيون بأن تصل قوافل الحجاج إلى الحجاز بدون محمل وبدون آلات موسيقية. وأخذوا في الوقت نفسه يزيدون ضريبة الحج. وفي عام 1803 دفع كل حاج شامي إلى دفع 10 بيزات عن الشخص الواحد و10 بيزات عن كل من دواب الركوب و7 بيزات عن كل قنطار من الأحمال و100 كيسة عن مرور القافلة كلها. وفي عام 1805، أخذوا من القافلة الشامية 200 كيسة ولكنهم سمحوا بالدخول لحجاج منفردين. ويقول كورانسيز أن الأتراك حاولوا في عام 1806 شراء حق أداء فريضة الحج بمبلغ هائل هو ألفا كيسة (مليون بيزة) ولكن قافلة الشام لم تتمكن من دخول مكة مع ذلك.

وبغية تأمين السماح بالحج تظاهر والي دمشق يوسف باشا بأنه يلتزم بكل فرائض الوهابية. فقد منع الخمر وأمر بغلق جميع الأسواق في دمشق أثناء الصلاة وفرض تقيّدات مشينة على أهل الكتاب (زياً خاصاً وهلم جرا)، ومنع حلق اللحية أيضا، وكتب بازيلي «أن الوهابيين طالبوا، وليس دون سبب، بعدم احتواء القافلة على غلمان أو حليقي اللحى عموماً». وفي عام 1807 _ 1808، حاولت قافلة الشام أن تدخل مكة بدون محمل ولا سلاح ولا موسيقى ولكن دون جدوى. وتوقف في الواقع توارد وجبات كبيرة من الحجاج من الباب العالي.

تكشف الفقرة الأخيرة عن حال الانهيار والتفكك التي آلت إليها أوضاع الدولة العثمانية، التي عجزت عن فرض هيبتها وقوانينها ولجأ أحد أهم ولاتها –والي الشام– لاسترضاء الإرهابي الوهابي السعودي والرضوخ لشروطه.

كانت الدولة العثمانية ما تزال حتى تلك اللحظة تحتفظ لسلطانها بلقب خادم الحرمين الشريفين بينما هي عاجزة عن إيصال حجاجها إلى بيت الله الحرام، بل ووصلت حالة الشك والارتياب حد الرضوخ لتعليمات أمير المؤمنين الوهابيين ودفع كل ما يطلبه من أموال وأتاوات، ليس فقط من أجل أن يسمح لقافلة الحج الشامي وتلك القادمة من بلاد الأناضول بالوصول إلى الأماكن المقدسة بل خوفا من اجتياحه لهذه البلدان.

الوجه الآخر لهذه المهزلة، هو التهديد المباشر وغير المباشر الذي بات يشكله الوهابيون

السعوديون على مجمل أوضاع الأمة الإسلامية.

يبدو التهديد المباشر واضحا من خلال الهجمات البربرية التي شنها الهمجيون الوهابيون على العراق والشام وهو تهديد كان وما زال قائما حتى هذه اللحظة.

أما التهديد غير المباشر فيتمثل في سيطرة هؤلاء البرابرة على مكة والمدينة وإجبارهم الناس على الدخول ضمن تيارهم الانحرافي المتصهين وهو ما حاول الوهابيون المعاصرون التخفيف من حدته عبر دعاياتهم الفجة والسمجة!!.

السؤال هم: هل كانت مصر بمعزل عن هذه التيارات التي جرفت الكثير والكثير من ثوابت الأمة في طريقها؟!.

هل استثنى الوهابيون القدامى ومن ثم المعاصرون مصر من خططهم وبرامجهم.

لفت نظري أثناء مطالعتي للمراجع حديث لويس دوكرانسي صاحب كتاب (الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ) عن فشل محاولة سعودية لغزو مصر قبل تسعة أشهر وتعلق مراجع الكتاب عليها بقوله (لم أعثر على ذكر أي محاولة لغزو مصر في المراجع مثل ابن بشر وابن غنام) [29].

وبغض النظر عن صحة هذه الواقعة من عدمها وهل كان هذا الغزو عسكريا أو فكريا عقائديا فمن البديهي أن يدرك كل من له علاقة أو ارتباط بالسياسة أن الوهابية هي التهديد الاستراتيجي الأخطر سواء في هيئتها البدائية السعودية أو تلك الداعشية التي تقاتل الآن نيابة عن الوهابية الأم.

(29) ص 183-182. لويس دوكرانسي. الوهابيون، تاريخ ما أهمله التاريخ.

الجيش المصري في الدرعية

معلوم أن الجيش المصري الذي ذهب إلى جزيرة العرب لتأديب الوهابية لم يذهب من تلقاء نفسه بل ذهب بناء على تكليف من السلطان العثماني وهو المتسلط على كل من مصر وبلاد العرب وواجب السمع والطاعة حسب النظرية الدينية التي يؤمن بها هؤلاء وهؤلاء.

لا نشك أن هذه الواقعة شكلت معلما بارزا في تاريخ العلاقة بين مصر وآل وسعود رغم أن إنجاز تدمير الدولة الوهابية الأولى قد انتكس وعادت دولة الإرهابيين الوهابيين المؤسسين للظهور نهاية القرن التاسع عشر والسبب معروف وهو إجبار مصر محمد علي دولة المركز والقرار الأهم على الإنسحاب من جزيرة العرب تحت وطأة الضغوط الدولية التي قادتها بريطانيا عاهرة أوروبا والتي أجبرتها أولا على الانسحاب من الشام لتتاح الفرصة كاملة للعصابة الوهابية لإعادة تنظيم صفوفها والاستيلاء على كامل الجزيرة العربية برعاية مكتب المخابرات البريطانية في الهند الذي مثله (سانت جون فيلبي) الذي ادعى الإسلام بعد ذلك وسمى نفسه (عبد الله فيلبي).

كل هذا سيأتي بتفاصيله في فصل: مصر وآل سعود والصراع الإقليمي.

ببساطة شديدة يمكننا تلخيص معادلة العلاقة بين مصر وآل سعود بالتناسب العكسي!!.

قوة آل سعود وانتعاشهم لا يمكن أن تتحقق إلا بضعف مصر ليس فقط عسكريا بل

سياسيا واقتصاديا وأخلاقيا.

سنلقي الضوء في الفصل التالي على الإنجاز الذي حققه الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا الذي قامت السلطات المصرية مؤخرا بتغطية تمثاله لئلا يؤذي ناظري ملك الاستخراء!!.

المصدر كتاب وثائق نجد: تأليف علي موحان الذي يضم وثائق الدولة العثمانية المودعة في أرشيف مجلس الوزراء التركي.

وثيقة رقم 40

من أمير مكة المكرمة وشريف باشا والي جدة

تاريخ 1219هـ

أرشيف رئاسة الوزراء التركي

إن الخبيث الكافر المسمى سعود بن عبد العزيز الذي قاد القبائل البدوية منذ مدة مثل بهائم العرب وأنعامهم بعضهم بأسلوب الاستغفال والبعض الآخر بأسلوب القهر والاستئصال، وسمى أتباعه مسلمين، وغير أتباعه أي كل أهل الإسلام مشركين وغصب أموالهم ونهبها وسبى أولادهم وعيالهم، وإن قوته تزداد يوما بعد آخر، وكما عرضنا وأعلنا مرارا قبل ذلك للسلطة السنية، فقد استغفل هذا الخائن لسيدنا فخر الكائنات عليه أفضل التحيات وأهل بيته وجميع المسلمين الذين لا يتبعونه وقد أصبح عدو الدين المبين واستغفل بأنواع المكر والحيلة الأشخاص ضعفاء العقول وسخفاء الرأي وكان مجموع أفعاله وأقواله عبارة عن الفتنة والفساد ونهاية مرامه ومقصوده بعض الآراء الفاسدة التي لا يستوعبها العقل والفكر والتي هي واضحة لجميع الحجاج من ذوي العقول كما هو معلوم أيضا من تقارير وتحريرات المخلصين للمقام العالي.

وقد قدم المذكور السنة الماضية قبل موسم الحج الشريف مع عدد كبير من الجنود إلى حوالي مكة المكرمة ونشر بعض الشائعات التي يبدو من خلالها أنه ينوي شن غارة

شعواء على مكة ويجعلها كالطائف ويستأصل الحجاج في عرفات فبث الرعب والخوف في قلوب المسلمين بنشر هذه الشائعات، والحمد لله فقد تم الوقوف في عرفات والمزدلفة دون أن يتوجه ضرر لحجاج المسلمين من خلال تشكيل المخافر وتعيين الحرس في المواضع اللازمة كما أديت مناسك الحج في منى ومكة المكرمة ثم أقيمت مجالس التشاور عدة مرات بمشاركة والي الشام وجدة وأمير حجاج مصر والحكام السابقين للبلدتين المنيفتين وعلماء مكة وصلحائها، والحمد لله لم ير من الصلاح ترك الحرم الإلهي وتسليمه إلى ذلك المتمرد في وضح النهار بسبب كثرة حجاج المسلمين وخاصة وجود الحجاج المغاربة الاثنى عشر.

فانعقد العزم على تكليف الحجاج المسلمين القادرين على القتال بالجهاد بأمر الدولة وأن يبقوا كما أن من الطبيعي أن يبقى أرباب المجاورة أيضا، وأما أولئك الذين لا يريدون البقاء بأي حال ويصرون على الذهاب يمكنهم أن يرحل كل واحد منهم إلى ولايته عن طريق جدة بواسطة السفن وإذا ما تذرع أحد بقلة الجند والأرزاق فقد تم التعهد من جانب حضرة الشريف وتجار مكة وأغنيائها لأمير حجاج الشام ومصر بأن يعطي كلا منهم ألف كيس من النقود كنفقات للطريق وأن يوفر المقدار الكافي من المؤونة.

ولكن ولأن أمراء الحجيج والموالي العظام وأعيان الحج رأوا أن من المصلحة أن يتوجهوا بشكل جماعي من خلال الإتيان ببعض الحجج الواهية مثل عدم القيام بمهمة من جانب الدولة العلية ومن أين سيتم تأمين هذا المقدار من المؤونة فانطلقوا من فورهم راجلين وراكبين دون إبقاء أي شخص من الطائفة المغربية التي ألفت فنون الحرب وكان الشريف المشار إليه مع عبيده فقط ووالي جدة مع العمدة المشار إليه كلهم في جدة وبقي هو نفسه مع خمسة إلى عشرة اشخاص في مكة حيث يخشى والعياذ بالله الخطر على الدولة حتى الشام وقد رأى أهل مكة أيضا هذا الوضع وكانت تأتي من جانب ذلك المتمرد الرسائل والمبعوثون بمضمون إعطاء الأمان.

كما جاء المتمرد إلى مكة المكرمة وأعطى أهلها الأمان وأزال كسوة مقام خليل الله وهدم قبة مولد النبي وخديجة الكبرى وسائر القباب والأمكنة المباركة ودعا أهل مكة

إلى الإسلام وخلع الداعي لكم الشريف عبد المعين عن مقام الشرف بالقوة وأقدم بنفسه في العشرين من شهر محرم مع مجموع جنوده على محاصرة قلعة جدة وهاجم جدار القلعة ليلا ونهارا بواسطة السلالم وطالب التجار من جهة أخرى بإرسال مبالغ ضخمة وطلب من أهالي المدينة وأنا والي جدة بالقبض على حضرة الشريف غالب وتسليمه هو وماله وعياله إليه وإلا فإنه سيرتكب المذابح.

وبالعون الإلهي ومعجزة الرسول الأعظم فقد حصل تحالف جميل بين الشريف غالب ووالي جدة وشجعا الجنود على المحاربة ومنعوا التجار من دفع الأتاوة التي طلبها ابن سعود وقاموا بدوريات لعشرة أيام بشكل متواصل على بروج القلعة وجدرانها وسعوا للمماطلة من خلال إرسال الرسائل للمتمرد المذكور حتى أن والي جدة كتب رسالة طلب منه مهلة أسبوع للذهاب إلى المدينة المنورة فرد عليه بوقاحة أن من غير المناسب الذهاب للمدينة بل اذهب إلى مصر.

وأخيرا وضع الشقي في إحدى الليالي سلما على القلعة فمنح الحق الجنود القوةوالغيرة وعندما كانت الفصائل تطلق النار بالبنادق من الجانبين كان طرف من السلم على جدار القلعة بيد جنود السلطان وطرفه الآخر بيد المتمردين ونشبت معركة لربع ساعة وانتصر الجنود وسحبوا السلم إلى القلعة وهلكت جمالهم ومواشيهم واستولى الرعب على قلوبهم وهربوا إلى ولايتهم دون المرور بمكة المكرمة وكان هذا في غرة صفر.

وقد انتظرنا وصول الذخيرة والجنود التي أرسلت من قبلكم والتي أمر بترتيبها في مصر وكما تعلمون فإنه وبسبب التمرد والاضطراب في مصر لم يصل ولو مدفع واحد ومثقال من البارود وجندي واحد كما أن الذخائر التي وصلت من عتبة السعادة أتلفت في الحروب التي حدثت بين طاهر باشا وأحمد باشا.

ولقد ارتأينا أن التدبير أن ندخل مكة من خلال الغيرة والتوكل والتوسل بمعجزات النبي الأعظم ص مع مجموعة العبيد وأهل قبو الذين كانوا موجودين والجنود العرب الذين يمكن توفيرهم وأن نحاصر الجنود الذين تركهم هؤلاء المتمرد في القلعة بجوار الحرم الشريف ونسعى لطردهم وإخراجهم.

ولأن الأهالي لا طاقة لهم في منعهم كما أن جنود ذلك المتمرد لم يكونوا يجرؤون على الخروج من مواضع استقرارهم فقد عينا على البيوت والجبال المحيطة جنودا وأقدمنا على المحاصرة وحررنا رسالة أمان تفيد بحرمة المحاربة في الحرم الإلهي فاستقبلوا الرسل بالرصاص وقد بذلنا اقتدارنا لمدة خمسة وعشرين يوما وخمس ليال ليل نهار من القتال ولم يتيسر لنا تدمير القلعة.

وبعد مرور الأيام وبينما كنا ننتظر وصول الإسناد وكانت الحيرة والاضطراب قد بلغا غايتهما أعاننا نصرة الحق بمعجزة الرسول الأعظم فطلبوا الأمان وتركنا طريق خروجهم مفتوحا ةمكة المكرمة مطهرة الآن من رجس هؤلاء الأشقياء وإذا وصلت من الشام ومصر مساعدات تشمل الجنود والبارود فإن إمكانية التحرك باتجاه الطائف سوف تتهيأ أيضا [30].

وثيقة رقم 45

من طوسون باشا إلى محمد علي باشا

12 رجب 1228 هجري قمري

أرشيف رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية

نص: هذه هي الرسالة التي كتبها طوسون باشا مخاطبا أباه. فإن المواضع التي وردت الإشارة إليها في الرسالة كانت حالات جزئية وأن الأشياء القيمة الأصلية التي كانت بكميات كبيرة بيعت على يد سعود اللاسعود. على محمد علي باشا والي مصر أن يبذل الجهد لجمع الأموال المباعة في جدة والأماكن الأخرى كي تتضح نواقص الخزانة الشريفة وتعاد إلى موضعها.

النص: تم تحرير قرية تربة ورصيف قنفذة الواقع على سواحل اليمن من قبضة الوهابيين إلا أن جماعات عسير وأبو نقطة التي تسكن حول الميناء هم من أتباع الوهابي

(30) وثائق نجد، علي موحان. دار المحجة البيضاء. بيروت

ةقد توجه للميناء المذكور جناب مصطفى بك مع فرسانه وسفنه.

كذلك ملعون باسم حسن قلعي من أهالي المدينة المنورة الذي أظهر الفرح في الخدمة المشئومة لسعود اللاسعود عند استيلائه واصبح حاكم المدينة حيث شارك المذكور في السلب والنهب.

وإثر التحقيقات كشف عن قنديل مرصع وقارورة من الزمرد وعدد من أدوات الزينة النسائية المرصعة بالجواهر حيث أعيدت من جديد إلى خزانة النبي [31].

وثيقة رقم 57

من محمد علي باشا والي مصر

تاريخ 23 شوال 1233هـ

أرشيف رئاسة الوزراء

حضرة السلطان

لقد دخل عبد الله بن سعود بعد الهزيمة في موضع يدعى المائية في قرية عنزة من قرى وادي القصيم وهو منشغل بتقوية قرى الوادي المذكور وإعداد الأفراد، ولذا فإن والي جدة جناب إبراهيم باشا لم يجوز الإقامة في هذه المناطق وأخذ الجنود الملكيين وانطلقوا من الموضع المذكور بتاريخ 15 شعبان ودخلوا مشارف سور الرأس الذي هو مفتاح الوادي المذكور وعسكروا فيه وأقدموا على المحاصرة وتم الاستيلاء على أحد الأبراج.

وخلال الهجوم الأخير خرج ابن سعود من قرية عنزة مع عدد كبير من الأعراب المتمردين ونهبوا الجمال التي كانت كلفت نقل التبن ورغم مقتل عدد من الفرسان وجرح آخرين إلا أن مائة وثمانين من المتمردين قتلوا وجرح عدد آخر وهرب المتبقي منهم [32].

(31) المصدر ذاته ص385-382.

(32) المصدر نفسه ص 425-424.

وثيقة رقم 58

الواصلة من محمد علي باشا والي مصر
تاريخ: 10 ذي القعدة 1233هـ.
حضرة السلطان..

بما أن إبراهيم باشا منشغل من كل جانب بمحاصرة المبني من البروج المشيدة التي تحصن فيها عبد الله المذكور ومنهمك في المحاربة ولم تسنح له الفرصة لتفصيل الكيفيات الواقعة فقد تم تحرير رسالة أرسلت مع أحد الأفراد المعتبرين ممن شهد المعارك المذكورة.

فقد أسر سعود عم عبد الله المذكور حيا ولأن شقاوته معلومة ومشهودة للجميع فقد أعدم كي يعتبر الآخرون منه، كما أن أعمامه الآخرين محمد بن مشاري وعلي ابن الشيخ وقعا بنفس الكيفية في أسر الشجعان، ولكن لأنهما طلبا الأمان بذكر الاسم السامي فقد حظيا به وهما معتقلان حتى الآن.

كما اصيب أخوه اللئيم إبراهيم بالرصاص وقرن بقعر جهنم، كما أسر سعد ابن عبد الله المذكور في القلعة التي كان متحصنا فيها، وقد طلب الأمان هو أيضا كأعمامه حيث أعطي الأمان.

كما تم القبض على صالح بن رشيد أحد أعظم أعوانه وأقدم الخونة الذي كان في خدمته كوزير، ورئيس علمائه العنيد أحمد الحنبلي حيث سجنوا وهم يائسون من حياتهز

كما تفكر شيوخ الأعراب وهم مبارك الظهر شيخ عرب شنان وابنه سعد وأخوه مشعان شيخ العراق وطيب ابن فهد ابن وزير سعود واختاروا الواسطة ولجؤوا إلى إبراهيم باشا وطلبوا الأمان وأعطوه [33].

(33) وثائق نجد ص 428-427.

وثيقة 59

من داود باشا والي بغداد
تاريخ 27 ذو القعدة 1233هـ
أرشيف رئاسة الوزراء التركي

لقد وصلت إلى هذا الخادم رسالة عبدكم داود باشا والي بغداد حيث يذكر أن إبراهيم باشا والي جدة قد فتح الدرعية واستولى عليها واعتقل عبد الله ابن سعود وأولاده الأربعة وأولاد عبد الوهاب وبعثهم إلى مصر وانهدمت قصورهم وخربت والمعلونون من بقية السيف في حالة التشتت والتفرق.

لقد أقدم إبراهيم باشا والي جدة على محاصرة وتضييق المنزل المنحوس المسمى بالدرعية والذي تحصن فيه الوهابيون وقد وصل من الدرعية بعد اقتحامها والاستيلاء الجنود المنتصرون وهم ضابطون الآن على كل القرى والنواحي التابعة للحرمين الشريفين والتي كان المخاذيل المذكورون قد استولوا عليها.

وقد رفع المخذول عبد الله بن سعود لحضرة المشار إليه رقعة التوسل والاستئمان فكان الرد (لا إلا أن تنزلوا على حكمي) وسوف لن يكون هنالك طريق للسلامة للبقية سوى إرسال الرأس المقطوع للمخذول المذكور إلى البلاط السلطاني المهيب.

وقد تأكدت الأخبار أن إبراهيم باشا هاجم في غرة ذي القعدة الشريف الدرعية من أربع جوانب بالمدفعية واشتبك المذكور عبد الله ابن سعود معه ومعه مجموعة الجنود المنتصرين فهلك أكثر المخاذيل المذكورين في مسلخ القهر والدمار وبئس المصير وأسر عبد الله بن سعود مع أبنائه الأربعة وأولاد عبد الوهاب وبعثوا إلى مصر القاهرة وتم بذلك فتح الدرعية والاستيلاء عليها وهدمت قصور الخيبة الموفورة التي كانوا يتحصنون فيها وخربت، وأما الملعونون الخاسرون الذين نجوا من حد السيف فإنهم في حال التفرق والتوجه إلى قرى نجد. ص433

كنت أخبرتكم صاحب المعالي بخبر ضبط حصن الدرعية الحصين والاستيلاء عليه

ومحاصرة كبير الخوارج عبد الله بن سعود والآن وصلت رسالة إبراهيم باشا والي جدة وجاء فيها أنه بعون الباري تم أسر عبد الله المذكور وابتلي بالأغلال الخانقة وسيرسل مع الأفراد المعتمدين الذين كلفوا بمعيته [34] .

ولا زلنا نواصل عرض بطولات الجيش المصري وقائده إبراهيم باشا في مواجهة عصابات الإرهاب الوهابي في نشأتها الأولى...

(34) وثائق نجد ص428.

إبراهيم باشا

(1789-1848).

نلخص أولا تاريخ إبراهيم باشا فهو الإبن الأكبر لمحمد علي باشا، ولد في قوله سنة 1789مـ وجاء إلى مصر هو وأخوه طوسون في سبتمبر 1805.

تولى منصب الدفترداية (وزارة المالية) سنة 1807 قبل بلوغه العشرين كما تولى حكم الصعيد واشترك في الحرب ضد المماليك.

قاد الحملة المصرية على الوهابيين بعد عودة الأمير طوسون عام 1815 ثم وفاته في سبتمبر 1816.

تمكن إبراهيم باشا بعد استلامه القيادة من الاستيلاء على عنيزة أحد أهم المواقع في نجد ثم احتلال بُريدة وفتح (الشقراء) ثم توجه نحو الدرعية معقل الوهابيين فحاصرها خمسة أشهر استسلم بعدها عبد الله بن سعود وقبل بالتوجه إلى الأستانة حسب رغبة السلطان ثم استسلمت بعد ذلك بقية المدن الخاضعة للوهابيين وكان هذا بمثابة انتصار حاسم للجيش المصري.

وبعد انتهاء الحرب ضد الوهابيين اشترك إبراهيم باشا مع أخيه إسماعيل في فتح السودان ولم يطل مكثه هناك بسبب شدة مرضه.

ثم جاءت حرب اليونان (1821-1828) التي اندلعت في أعقاب ثورة اليونانيين ضد الحكم التركي مطالبين بالاستقلال فعهد إليه محمد علي بقيادة الجيوش المصرية وبقي هناك لمدة أربع سنوات.

اندلعت الثورة اليونانية بقيادة (اسكندر ابسلنتي) الذي كان في نفس الوقت ضابطا في الجيش الروسي ولكن الروس لم يعاضدوا الثورة عمليا في بدايتها وتركوا الثوار لوحدهم في مواجهة الأتراك بسبب الموقف الأوربي العام المناوئ للحركات القومية ففر ابسلنتي إلى المجر حيث اعتقلته الحكومة النمساوية ففشلت لذلك السبب الثورة اليونانية في أولى مراحلها.

كما حملت الثورة ضد الأتراك طابعا دينيا حيث كان أول من أعلن عنها القس جرمانوس أسقف باتراس في شمال المورة فلبى اليونانيون دعوته ورفعوا راية الثورة واستولى الثوار على أهم مدن المورة واحتلوا تريبولتا عاصمتها ونكلوا بالأتراك المقيمين بها ثم تألفت جمعية وطنية من ستين نائبا يمثلون المقاطعات الثائرة أعلنت استقلال اليونان ووضعت لها دستورا قوميا.

ولما استفحل أمر الهجمات البحرية التي تشنها السفن اليونانية على الأتراك طلب السلطان محمود من محمد علي أن يرسل أسطوله لتطهير البحر من اليونانيين.

استمرت الحرب بين الثوار اليونانيين والأتراك في بلاد المورة حتى سنة 1823 ولم تتمكن الدولة التركية من حسمها كما تكبدت خسائر فادحة مما دعا السلطان العثماني للاستنجاد بمحمد علي الذي رأى في ذلك فرصة لتوسيع نطاق دولته وتثبيت عرشه ومنع السلطان من عزله من ولاية مصر.

بذل محمد علي جهدا ضخما لتجهيز جيش بحري وبري وعهد بقيادته العليا لابنه إبراهيم حيث انطلقت الحملة من الإسكندرية في يوليو 1824 وهناك التقت بسفن الأسطول التركي.

لم يتمكن الجيش المصري من النزول إلى منطقة المورة حيث كانت القوات التركية في أسوأ حالاتها ولم يبق تحت يدها من المواقع إلا موقع (مودون) وميناء (كورون) المحاصر من اليونانيين.

بدأ إبراهيم باشا بفك الحصار عن (مودون) ثم توجه نحو (نافرين) التي تحصن بها الثوار فحاصرها برا وبحرا واشتبك في تلك الأثناء مع قوة يونانية قوامها 3500 مقاتل

فهزمهم وأسر قائدهم ثم اشتبك مع قوة يونانية قوامها 9000 مقاتل جاءت لرفع الحصار عن المدينة وانتهى الأمر بانتصار حاسم للجيش المصري.

وفي نهاية المطاف اضطرت مدينة (نافرين) للاستسلام للجيش المصري في 18 مايو 1825.

وتوالى بعد ذلك سقوط المدن اليونانية بيد الجيشين المصري والتركي.

التدخل الأوربي

في 6 يوليو 1827 أبرمت معاهدة لندن بين كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا حيث اتفقوا على التدخل بين تركيا واليونان لتقرير مصير اليونان على قاعدة الاستقلال الذاتي اليوناني مع بقاء السيادة التركية عليها وطلبت هذه الدول وقف القتال بين الجانبين تمهيدا لبدء الوساطة بينهما فإذا لم تقبل الوساطة خلال شهر لجأ هؤلاء إلى القوة من أجل تنفيذ مطالبهم.

كانت هذه المعاهدة بمثابة إعلان للتدخل الأوربي لصالح الثورة اليونانية التي كانت في هذا الوقت تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد أن تلقت عدة ضربات موجعة وكان الحلفاء يعلمون بالرفض التركي المسبق لهذه المطالب ومن ثم فقد أرسلوا أساطيلهم في أغسطس 1827 لمحاصرة الأسطولين المصري والعثماني ومنع وصول أي إمدادات لهما.

وفي يوم 20 أكتوبر 1827 نفذ الحلفاء خطتهم بالقضاء على الأسطولين المصري والتركي الرابض في نافرين حيث هلك معظم السفن نسفا وغرقا وبلغ عدد القتلى المصريين والأتراك ثلاثة آلاف وفقدت مصر في هذه الواقعة أسطولها الذي أنفق عليه محمد علي أموالا طائلة من أجل بنائه ولزم إبراهيم باشا في أعقاب هذه الموقعة خطة دفاعية.

ثم أرسلت الدول المتحالفة جيوشا برية لإجلاء المصريين والترك من اليونان واضطرت الدولة العثمانية للقبول بمعاهدة أدرنة في (14 سبتمبر 1829) ووافقت على معاهدة

لندن فاعترفت بالاستقلال الذاتي لليونان وانتهى الأمر بالاستقلال النهائي في 3 فبراير 1830 وأخيرا وافق محمد علي على فصل سياسته عن السياسة التركية حيث جاء في ذلك الوقت الأسطول الإنجليزي إلى الإسكندرية مهددا بتخريبها إن لم يسارع محمد علي إلى استدعاء إبراهيم باشا من المورة حيث عقد بدوره اتفاقا مع الحلفاء لسحب الجيش المصري من اليونان [35] .

ثم جاءت بعد ذلك حروب الشام والأناضول التي بدأت في أكتوبر 1831 حيث حاول محمد علي باشا ضم الشام وتركيا لسلطته فخاض إبراهيم باشا غمار هذه الحروب على رأس الجيش المصري ونجح في تحقيق سلسلة من الانتصارات العسكرية على الجيش التركي حيث تمكن من احتلال مناطق واسعة من تركيا وأصبح قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى الأستانة عاصمة الخلافة العثمانية.

عاد إبراهيم باشا إلى مصر عام 1840 من الشام بعد أن أجبرت الدول الغربية مصر على التخلي عنها حيث تولى الحكم في حياة أبيه الذي اعتلت صحته ولم يكن قادرا على القيام بأعباء الملك لمدة لم تزد على سبعة أشهر بدءا من أبريل 1847 قبل أن توافيه المنية في 10 نوفمبر 1848 وعمره ستون عاما هلالية وبعد وفاة إبراهيم تولى الحكم عباس الأول بن الأمير طوسون قبيل وفاة محمد علي باشا في الثاني من أغسطس سنة 1849 مـ [36].

(35) عبد الرحمن الرافعي. عصر محمد علي. دار المعارف المصرية. ص 189.214.

(36) نفس المصدر ص -567 574.

إبراهيم باشا في جزيرة العرب

دكتور عبد الحميد البطريق

حققت الدولة السعودية الناشئة نجاحا سريعا في عهد عبد العزيز بن محمد ابن سعود (1765-1803) خاصة في نجد إلا أن غزواته وفتوحاته لم تزعج الباب العالي إلا عند بدأ هجومه على العراق منذ عام 1794 وكان من الطبيعي أن تتجه الأنظار أولا إلى والي العراق وتكليفه بصد تلك الغارات.

لكن والي بغداد كان يرى صعوبة المهمة حيث كتب إلى الباب العالي يقول أن (الطريق من بغداد إلى الدرعية صحراوي مجدب خال من الماء مما يساعد الوهابيين على الانتصار على جيوش الدولة)، لكن هذه الأعذار لم تقنع السلطان فأرسل إليه عام 1798 الأوامر المشددة كي يتوجه إلى الحسا لمحاربة عبد العزيز بن سعود فجمع جيشا من المرتزقة والبدو بقيادة الكتخدا علي بك وسار هذا الجيش نحو شبه الجزيرة وما إن وصل إلى الحسا حتى وجد نفسه في حالة لا يقوى معها على مواجهة الوهابية فطلب الصلح من عبد العزيز وعاد إلى بغداد وازداد السعوديون بعد ذلك قوةوعظمت منزلتهم بين العرب.

ما إن بدأ القرن التاسع عشر حتى هاجم الوهابيون العراق ودمروا كربلاء وفشل سليمان والي بغداد في القيام بعمل حاسم رغم أن لديه 35 ألف مقاتل مدرب فانهزمت جنوده ولم يأت عام 1810 حتى وصل جزء من القوات السعودية إلى نقطة لا تبعد كثيرا عن بغداد.

أما في الشام فقد توجهت أنظار الوهابيين إليها بعد استيلائهم على المدينة المنورة لكنهم لم يتمكنوا من اجتياحها فوقفوا عند أبوابها متربصين.

عندئذ تبين بجلاء للسلطان محمود الثاني أن ليس هناك مناص من الاستعانة بمحمد علي.

انتهز محمد علي الفرصة لتحقيق استقلاله الداخلي بمصر وتطلع إلى أن يجعل لنفسه كيانا خاصا قبل أن يقوم بحملته فاقترح على الباب العالي بواسطة وكيله المقيم في الآستانة أن تكون مصر ولاية ممتازة شأنها شأن ولاية الجزائر مقدما عدة تبريرات.

أما الغرض الأكبر الذي كان يرنو إليه محمد علي من وراء قيامه بحملته في جزيرة العرب فهو طموحه للسيطرة على الشام قبل أن يقوم بأي حرب في الحجاز وقد طلب إلى الباب العالي أن تحال إليه ولاية الشام قبل أن تتحرك جيوشه إلى بلاد العرب كي يقود حملتين إحداهما تخرج من مصر والأخرى من الشام وبذلك يضمن نجاح المهمة الشاقة.

لقي هذا الطلب الجرئ صدى عنيفا في بلاط السلطان واتهمه مناوؤه بتغليب مصلحته الشخصية على مصلحة الدولة وقالوا أن حملة يقوم بها الباشا أو ابنه إبراهيم من مصر كفيلة بإرجاع بلاد العرب إلى حكم السلطان.

أخيرا قرر محمد علي أن يغض الطرف عن تمسكه بمنحه ولاية الشام أو منحها لصديق يوسف كنج باشا بعد أن فهم من مقابلة وكيله نجيب أفندي للصدر الأعظم أن طلباته لا يمكن النظر إليها بعين العطف إلا بعد أن تقوم الحملة المصرية على الحجاز وأدرك من رسائل وكيله أن أعداءه في الآستانة يتربصون به وأنهم يقولون (لو أعطيت والي مصر الدنيا ما ذهب لأجل الحرمين ولا أرسل أحدا من أولاده) لذا فقد عقد العزم على تسيير الحملة بقيادة ولده طوسون على أن ينتهز الفرصة ليوهم الباب العالي أن نجاح الحملة متوقف على تسيير حملة من الشام يشرف عليها تمام الإشراف.

ورغم استيلاء حملة طوسون على مكة والمدينة إلا أن هذا لم يكن ما يريده محمد

علي الذي عزم على السفر إلى الحجاز بنفسه لعلمه بما يترتب على هذا الفشل من ضياع هيبته وتبدو لهفته على نجاح الحملة مذ تقهقرت جيوش طوسون إلى ينبع من رسالتين أرسلهما إلى كبار قواده وجنوده المرابطين في ينبع خشية أن تضعفهم الهزيمة فيقرروا الجلاء عن قلعة ينبع نفسها.

في رسالته الأولى (عرض علينا وكيلنا في المويلح أنكم عند وصولكم إلى مضيق الجديدة سد العدو ذلك المضيق ثلاثة أيام وأخيرا تقهقرتم ووصلتم إلى ينبع فإن كان الخبر صحيحا فالنصر والهزيمة بيد الله يؤتيها من يشاء من عباده فيا رفاقي وقرة عيني لا تاسفوا ولا تأسوا على ما فاتكم ولا تهنوا ولا تحزنوا فاليأس والضعف لا يليق بالرجال أما الشجاعة والبطولة فهما في إعادة الكرة على العدو والانتقام منه.

لطالما شهدتم الحروب معي فأنتم جنود مصر الذين خاضوا غمار المعارك العديدة فكنا نهزم العدو طورا ويهوزمنا طورا آخر فلم ننكص على أعقابنا بل أعدنا الكرة وهاجمناه حتى دمرناه تدميرا، إن لدي من المال والعدد والذخيرة سأرسلها لكم فضلا عن أنني ربما قمت بنفسي إليكم).

في رسالته الثانية يؤكد لهم أنه سيقوم بنفسه قائلا: (يا رجالي القدماء أنتم أبنائي الذين ربيتهم منذ نعومة أظافرهم فعرفتم أني شيخ المحاربين، هل رأيتموني خفت حربا أو تقهقرت أمام عدو، إن أنتم نكصتم على أعقابكم وخشيتم الحرب فدعوا حمل السلاح وكونوا طلابا في مدرسة أو دراويش في تكية ولن أتأخر عن الإنفاق عليكم، لماذ تخشون كثرة العدد وأنتم متحصنون داخل قلعة حصينة مثل ينبع.. اثبتوا إذا كرجال واعلموا أنني بعد تمام إرسال الجنود البرية والبحرية سأقوم بنفسي إلى الحجاز لأرى همتكم، كونوا يدا واحدة وصلوا أوقاتكم الخمس فمكانكم مكان صلاح واستغفار، نصركم الله وثبت أقدامكم).

وصل محمد علي إلى جدة في سبتمبر 1813 وقصد مكة وهناك أصدر أوامره إلى جيشه في المدينة بالزحف نحو جدة وإلى جيشه في الطائف باحتلال تربة وإلى جيشه الثالث بالتوجه للقنفذة لتأديب الخارجين من أهل عسير.

اتخذ سلسلة من الإجراءات لتثبيت أركان الحكم المصري وبقي عليه أن يكلل انتصاره بفتح نجد ذاتها، إلاّ أنه وجد نفسه مضطرا للعودة إلى مصر على جناح السرعة بعد أن تكاثرت الإشاعات عما يبيته له السلطان العثماني وبلغه أن الاستعداد قائم على قدم وساق في تركيا لتنظيم حملة بقيادة قبطان باشا لمهاجمة الاسكندرية والاستيلاء على مصر باسم السلطان.

وقد قابله صديقه المستشرق بوركهاردت الذي وصف الحوار الدائر بينهما (إن انجلترا سوف تسعى بعد سقوط نابليون إلى تدعيم سيطرتها على البحر الأبيض المتوسط بالاستيلاء على مصر).

وفي 20 مايو 1815 أبحر محمد علي عائدا إلى مصر بعد أن سلم القيادة من جديد لولده طوسون باشا.

ثم عقد راية القيادة لإبراهيم باشا مكلفا إياه بالوصول إلى الدرعية مهد الوهابيين.

في 30 سبتمبر 1816 وصل إبراهيم باشا وسفن الحملة إلى ينبع واستقبل وفود القرى المجاورة ثم انتقل إلى المدينة المنورة زائرا رسول الله صلى الله عليه وآله.

انتقل إبراهيم باشا إلى مقر قيادته ب(الحناكية) فتارة يغير على من لم تفلح معه سياسة اللين أو المال، وتارة أخرى يفيض على شيوخهم بالهدايا فانضم إليه عدد كبير من شيوخ القبائل شديدة البأس مثل حرب وعتيبة ومطير.

بعد أن أقام إبراهيم ستة أشهر في الحناكية زحف في شتاء 1817 إلى نجد فوصل إلى (الرس) وحاصرها حتى سلمت بعد حصار طويل وقتال شرس هلك فيه ثلاثة آلاف من رجاله وكادت تنفذ ذخائره لولا إرادته الصلبة وعزمه الحديدي.

بعد استسلام الرس زحف إبراهيم إلى (عنيزة) حيث كان يرابط بها عبد الله فسلمت البلدة وانسحب الزعيم الوهابي إلى الدرعية مستنفرا أهل نجد للدفاع عن كيانهم.

استولى جيش إبراهيم باشا على بريدة ثم شقرا وضرما ثم سار إلى وادي حنيفة حيث أشرف على الدرعية في 6 أبريل 1818 واستمر حصارها خمسة أشهر وبضعة أيام.

لقي الجيش المصري عنتا وأهوالا شديدة حيث حدثت نكبة كادت تقضي على الأمل في فتح الدرعية إذ اشتعلت مخازن ذخيرة الجيش المصري ومعها مخازن الطعام وأصبح إبراهيم باشا وسط الصحراء بلا مؤن ولا ذخيرة إلا أنه ثبت هو ومن معه من الجند إلى أن تواردت الإمدادات من الرجال والعتاد.

في 9 سبتمبر 1818 وصل رسول من طرف عبد الله ابن سعود إلى خيمة إبراهيم باشا ملتمسا بالنيابة عن أميره وقف إطلاق النار وتعيين موعد لمقابلة عبد الله ومفاوضته فتلقاه إبراهيم باحترام وسأله لمذا ظل مصرا على المقاومة بينما أدرك الجميع ألا فائدة من النضال؟، فأجاب عبد الله (لقد انتهت الحرب الآن وكان ما هو كائن بإرادة الله وما غبتنا جنودك لكن الله هو المعز المذل) ولما طلب عبد الله الصلح أجابه إبراهيم إليه ثم أضاف قائلا: (وإني لجاعلك الحكم في شروطه وإنما هناك أمر لا تصرف لي فيه ألا وهو بقاؤك في الدرعية فإن الأوامر الصادرة إلي تقضي بذهابك إلى مصر فأطرق عبد الله هنيهة وطلب تأجيل إجابته إلى الغد حيث جاء موافقا على الذهاب إلى مصر إذا ضمن له إبراهيم النجاة فقال له: إذا كنت لا اتسطيع أن أتدخل في إرادة الوالي فمن باب أولى أعجز عن التدخل في إرادة السلطان.

أسكن محمد علي باشا عبد الله في قصر إسماعيل باشا ببولاق حتى حان موعد سفره إلى الآستانةحيث كان بانتظاره حتفه المحتوم الذي أعده له رجال الباب العالي الذين كانوا يتعطشون للتمثيل به ولم يشفع له عند السلطان التماس الباشا ولا رجاؤه بالعفو عنه.

أما إخوة عبد الله بن سعود الأربعة فكانوا أسعد حظا إذ لم يطالب بهم السلطان بل أرسلهم إبراهيم باشا إلى القاهرة فتلقاهم محمد علي استقبالا حسنا وقرر لهم مرتبات كافية تضمن لهم العيش الرغيد وهم فهد وسعد وحسن وخالد، وخالد هذا كان اصغرهم سنا واسعدهم حظا إذ اختصه محمد علي بعطفه فعني بتثقيفه في مدارس القاهرة فأصبحت ثقافته مصرية صميمة ولما أكمل تعليمه عينه محمد علي كاتبا في الديوان الخديوي وقد ظهر أن الباشا كان يعده لمهمة خطيرة حيث عينه عام 1836

أميرا على نجد.

بعد انتهاء الأعمال الحربية في نجد وصل أمر محمد علي بغزو بقية المناطق المجاورة لنجد فغزا الجيش المصري (الحسا) أواخر 1819 وبذلك أطلت جيوش إبراهيم باشا على الخليج الفارسي واحتلت مدينة القطيف وميناء العقير ثم استولت على الهفوف.

كان لوصول جيش إبراهيم إلى سواحل الخليج الفارسي أثران سياسيان على جانب كبير من الأهمية:

أولهما: أن الباب العالي قد حز في نفسه ذلك النجاح الكبير الذي حققه الجيش المصري وزاد من كمده احتمال وصول الجيش المصري إلى خليج البصرة فكان يخفي في قرارة نفسه خوفه أن تصل هذه الجيوش يوما ما إلى العراق.

ثانيهما: بدأت حكومة الهند البريطانية بالنظر إلى تحركات الجيش المصري بعين الشك والارتياب خشية أن يتحكم محمد علي يوما ما في الشاطيء العربي من الخليج الفارسي فيضر ذلك بسيادتها ويعارض مشاريعها هناك.

كان الانجليز يقدرون قوة الجيش المصري وهاهم يرونه يصل إلى الخليج الفارسي ويضع حاميات في أهم موانئ الساحل العربي فاعتقدوا أن هذه الجهات التي فتحها إبراهيم باشا بشق الأنفس لا يمكن أن ينسحب منها قبل أن يثبت أقدام الحكم المصري فيها وأن الحسا قد تصبح ولاية مصرية.

في 9 ديسمبر 1819 وصل إبراهيم إلى المياه المصرية [37].

عرضنا فيما سبق كيف تمكن الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا من تحقيق الانتصار على الوهابية والدخول إلى الدرعية نقطة انطلاق هذا الطاعون المدمر الذي يجتاح العالم الآن وهو وباء تبدو الأصابع المحركة للغرب واضحة وراءه.

تفتقر أمتنا الإسلامية إلى عقل مدبر يحفظ وجودها ومصالحها ويدفع عنها الأخطار كبيرها وصغيرها ويضع خطط استراتيجية تحول دون تمدد هذه الطواعين وتقضي

(37) إبراهيم باشا 1848-1948. الجمعية الملكية للدراسات التاريخية. مكتبة مدبولي إبراهيم باشا في بلاد العرب. دكتور عبد الحميد البطريق. ص 31-3 باختصار.

عليها في مهدها.

منذ سقوط الدولة الفاطمية التي وقفت سدا منيعا في وجه الغزو الأجنبي الآتي من الشمال الشرقي من بلاد الروم (تركيا حاليا) والأمن القومي لهذه الأمة مخترق ومهتز حيث يبدو الآن واضحا أن الحقبة العثمانية السلجوقية التي امتدت من القرن العاشر الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر كانت وبالا على هذه الأمة في شتى المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية.

مع ظهور الحركة الوهابية منذ قرنين ونصف كان العالم الإسلامي في أسوأ عصور الانحطاط والتفكك وكانت الدولة العثمانية عاجزة عن مواجهة هرطقات الوهابية خاصة في الجزيرة العربية التي أضحت مفككة ومنهارة وعادت إلى التشرذم القبلي.

الدولة الوحيدة التي بقيت محتفظة ببعدها الحضاري وإن بصورة جزئية هي مصر التي عثرت على قيادة واعية وصلبة هي قيادة محمد علي.

لا يعني هذا أن محمد علي كان بلا أخطاء، إلا أن الشيء المؤكد أنه نجح في استعادة قسم لا يستهان به من الكتلة الصلبة لمصر وقدراتها على الفعل.

الأمر ذاته ينطبق على عهد عبد الناصر رغم أخطائه الفادحة إلا أن التآمر على مصر في عصره لم يكن بسبب هذه الأخطاء وإنما برغبته وسعيه لاستعادة هذا الدور والذي دفع أعداء مصر للتآمر عليه بكل ما لديهم من قوة وقدرة وجبروت.

لو نجح محمد علي في استكمال مشروعه لتغيرت خارطة المنطقة ولما كان هناك الآن إسرائيل ولا آل سعود ولا تحالف (سني إسرائيلي) ولكن المخططين الكبار حرصوا على إبقاء الفراغ ومنع المصريين من ملأه وإجبارهم على البقاء داخل حدودهم منزوعي النفوذ والدور إلى أن آن أوان التخلص من الدولة العثمانية وقيام الدولة الوهابية الثالثة لتتبعها بعد ربع قرن فقط لا غير دولة الصهاينة الجاثمة الآن على أنفاس المنطقة وهذا هو مصيرنا الأسود الذي فرض علينا فرضا والذي رضي البعض به واعتره قدرا لا يرد، بل ذهب البعض أبعد من هذا عندما اعتبر أن التحالف مع الطاعون الوهابي عين الحكمة والفطنة والكياسة!!.

ولأن الضربة التي وجهت لمحمد علي باشا لم تجهز عليه تماما كان لا بد من ضربات أخرى مميتة تضمنت احتلال مصر عام 1982 للقضاء على نهضة عرابي باشا ثم جاءت كارثة يونيو 1967 لتصيب مصر بالشلل الذي لم تتعاف منه حتى الآن.

لم يكن الشلل الذي أصاب مصر قاصرا على السياسة والاقتصاد بل امتد ليشمل العقل والوعي الذي جرى تسليمه ولا زال لكتيبة النفايات الوهابية التي تصب فضلاتها وقذاراتها في عقول الشعب المصري صباح مساء!!.

مصر وآل سعود والصراع الإقليمي

تكابد أمتنا صراعا حول الهوية، وما إذا كانت الهوية الوطنية تكفي لجمع تلك الأشتات ورص صفوف تلك الأحزاب، تلك الهوية التي برزت بشكل واضح بعد سقوط دولة العثمانيين السلاجقة، أم أن الهوية الدينية الإسلامية في إطارها العام تفي بالمطلوب وصولا إلى الصراع العنيف والمحتدم الآن الذي يتمحور مذهبيا حتى ولو لم يكن هناك مذاهب متصارعة في أرض الواقع وأن الأمر كله لا يعدو كونه صراعا بين رايات مذهبية لا أكثر.

سقطت الدولة الفاطمية وعاصمتها القاهرة كما هو معلوم نهاية القرن السادس الهجري، بعد أن بسطت نفوذها شرقا حتى الحد الشمالي لبلاد الشام لأسباب متنوعة من ضمنها الصراعات التي اندلعت بين وزراء الدولة والهجوم المزدوج الذي تعرضت له من قبل كل من الفرنج والسلاجقة (العثمانيون حاليا).

بسقوط الدولة الفاطمية التي تكالب عليها العباسيون والسلاجقة والفرنج الأوروبيون انهارت أكبر قوة مركزية عرفها العالم الإسلامي منذ أن بدأت الدولة العباسية في التلاشي والانهيار بعد ما يقارب قرن منذ نشأتها وازداد الأمر سوءا باستلام العبيد المرتزقة زمام الأمور في مصر حيث باتت السلطة والقوة في العالم الإسلامي موزعة بين تلك الفرق والقبائل.

لم يكن الأمر مجرد انهيار دولة حلت محلها دولة أخرى بل انهيار بناء حضاري جاهدت دولة الفاطميين لتأسيسه ثلاثة قرون، وكان أن ضاع كل هذا تحت سنابك الخيل

السلجوقي ومعاول الهدم والتخريب سلاحهم المفضل.

من يومها وحتى الآن أضحى لدينا (إسلام) منزوع الحضارة كما اصبح مجرد التلفظ بكلمة (فاطمية) وصمة عار وجريمة يعاقب عليها قانون الغاب المطبق من قبل من يرون أنفسهم (مسلمون متحضرون)!!.

شكل العثمانيون في بداية نشأتهم قوة دموية باطشة هيمنت على بقاع واسعة من العالم الإسلامي إلا أن الشيء المؤكد أنها كانت قوة جاهلة تخاصم العلم وتبغض الاجتهاد الديني والعلمي مما أدى لحالة الفراغ التي ملأها شيوخ العصر المملوكي الذين ما زالوا حتى هذه اللحظة يشكلون الوجدان والعقل الإسلامي مثل ابن تيميه وابن كثير وابن القيم والذين يزعم شيخ الأزهر أنه قرر أن يعيد طلاء أطروحاتهم وترميم ما انهار منها.

في عام 1798 مـ جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت مما أدى لإنهاء حكم المماليك الذين حاول العثمانيون بالتحالف مع بريطانيا عاهرة أوربا إعادتهم للسلطة لكن الله سلم.

الذي نخلص إليه من هذا العرض السريع، أن عناصر القوة في العالم الإسلامي – العسكرية والثقافية– أضحت ضعيفة ومشتتة وأضحى البقاء للأقل ضعفا وإن كان الأكثر جهلا وتخلفا حيث لم يبق موقع قوي أو مركز للإشعاع الثقافي والفكري والروحي بل أصبح الصراع بين عدة فرقاء ضعفاء والفوز محسوم ليس للأقوى بل للأكثر توحشا وإجراما والأقل التزاما بالمعايير الأخلاقية أمثال الوهابيين وقبلهم السلاجقة.

الخطأ الأكبر الذي وقع فيه كثير من المؤرخين تجاهلهم للتأثير الغربي المبكر نسبيا على هذه الصراعات وكأن هذا التأثير لم يظهر إلا مع بداية الاحتلال الأجنبي والغزو المباشر، فهذا التأثير كان موجودا منذ الغزو الصليبي للمنطقة وكان له أثر فاعل وكبير – وراء الكواليس– في القضاء على الدولة الفاطمية، فالغرب الصليبي أنشب أظفاره بالفعل مع دخوله إلى المنطقة واحتلاله للقدس ثثثم التهب صراعهم مع العالم الإسلامي بشدة مع سعي العثمانيين الحثيث للتمدد في أوروبا ومنذ هذه الساعة أضحى تفكيكنا ليس بهدف إعادة تركيبنا هدفا استراتيجيا للغرب صليبيا كان أو لم يكن.

عندما نتأمل في الحدث الوهابي ندرك بوضوح حقيقة اللعبة التي ما تزال تمارس حتى الآن.

كيف لقوة بدوية أعرابية متمثلة في التحالف بين آل سعود ومحمد بن عبد الوهاب في (بلد) قلما تعايش مع فكرة الدولة المركزية أن تراهن ليس فقط على تعميم أفكارها بل وعلى تسيد المنطقة؟!.

نعرف بالطبع تفسيرات جماعة الكسالى والواهمين الذين كانوا وما زالوا يتصدرون المشهد الثقافي والسياسي في عالمنا سواء كانوا من الشيعة أو من غيرهم، وإلقاء المسئولية على المستر همفر –وهو شخص حقيقي– والدعم المالي والاستخباري البريطاني، إلا أن كل هذه الخطط والمؤامرات ما كانت لتنجح في تحقيق أهدافها إلا حال كونكم غير موجودين.

أنتم فعلا أيها السادة كنتم ولا زلتم غير موجودين!!.

أنتم من وصفهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ وَأَيْقَاظاً نُوَّماً وَشُهُوداً غُيَّباً وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ وَسَامِعَةً صَمَّاءَ وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ رَايَةُ ضَلَالٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ) [38].

ورغم أن المرجعية كانت ولا زالت إحدى ركائز الوجود الإسلامي ورغم أنها لعبت دورا هاما للغاية في الحفاظ على وجود الأمة بتجلياته المتنوعة، إلا أنه من الضروري أن ينتبه القائمون عليها لوجود فراغات لم يجر حتى محاولة ملئها ليس بسبب الفقر المالي بل بسبب فقر المخيلة وافتقاد الإرادة لدى (أجهزتها) التي تحاكي سائر (الأجهزة) المعطَلة والمعطِلة غياباً عندما كان يتعين عليها الحضور!!.

(38) خطبة 108 نهج البلاغة.

تأخرت هذه (الأجهزة) قرونا في مواجهة الأكذوبة الوهابية وحتى عندما تحركت فكريا كان أغلب حراكها قاصرا على التصريحات والبيانات وكأن المواجهة المسلحة تكفي وتفي بالغرض!!.

كان من الضروري أن نكتب ما كتبناه في السطور السابقة محاولة منا لفهم كيف تصدر أجلاف الصحراء المشهد السياسي والفكري مستفيدين من تقاعس من كان يتعين عليه مواجهتهم والأهم من هذا ضرب المركز الحضاري للأمة الإسلامية في القاهرة حتى وإن كان هذا قبل قرون من الفاجعة الوهابية حيث ما زال الصراع محتدما حول هذه النقطة تحديدا.

(المركز الحضاري) ولمن يكون هو جوهر الصراع الدموي المشتعل الآن في المنطقة حيث قرر الغرب باقتراح من صامويل هنتجنون منح هذه الوظيفة والدور للأتراك السلاجقة، ليس لمصر ولا لإيران وطبعا ليس لسوريا التي يجري الآن طحنها ودكها تحقيقا لهدف واضح معلن!!.

في كتابه (صراع الحضارات) يقول هنتجنتون:

قلل صعود الغرب من شأن الإمبراطورتين العثمانية والمغولية كما أن نهاية الإمبراطورية العثمانية تركت الإسلام دون دولة مركز وتم تقسيم أراضيها بين قوى غربية وعندما انسحبت تلك القوى خلفت وراءها دولا مؤسسة على نموذج غربي بعيد كل البعد عن تقاليد وتراث الإسلام، وهكذا فإنه على مدى معظم القرن العشرين لم يكن لدى أية دولة إسلامية قوة ولا ثقافة كافية ولا شرعية دينية للاضطلاع بهذا الدور كي تصبح مقبولة من الدول الإسلامية والمجتمعات غير الإسلامية الإسلامية كزعيم للحضارة الإسلامية.

إن غياب دولة مركز إسلامية عامل مساعد وأساسي لإزكاء الصراعات الخارجية والداخلية المستمرة التي تميز الإسلام وعلى الوعي المفتقر للتماسك، كما أنه مصدر ضعف بالنسبة للإسلام ومصدر تهديد للحضارات الأخرى.

فهل هناك احتمال أن تستمر الحال هكذا؟.

إن دولة مركز إسلامية يجب أن يكون لديها موارد اقتصادية وقوة عسكرية وكفاءة تنظيمية وهوية إسلامية والتزام أن تكون قيادة سياسية ودينية للأمة وهناك دول يتردد ذكرها من وقت لآخر كزعامات ممكنة للحضارة الإسلامية وفي الوقت الحالي لا تتوفر لأي منها الشروط اللازمة كي تجعل منها دولة مركز ذات فعالية.

مصر:

بلد عربي تعدادها السكاني كبير ذات موقع مركزي واستراتيجي وجغرافي مهم في الشرق الأوسط ولديها الأزهر، إلا أنها دولة فقيرة تعتمد اقتصاديا على الولايات المتحدة وعلى المؤسسات الدولية التي يتحكم فيها الغرب والدول النفطية.

إيران: لهم الحجم والموقع المركزي وعدد السكان والتقاليد التاريخية والموارد النفطية والمستوى المتوسط من النمو الاقتصادي الذي يؤهلها كي تكون دولة مركز إسلامية إلا أنها شيعية بينما ٪90 من مسلمي العالم سنة الفارسية هي اللغة الثانية في الحضارة الإسلامية وتجيء بعد العربية بمسافة بعيدة.

السعودية:

المهد الأصلي للإسلام يوجد بها الحرمان الشريفان لغتها العربية لغة الإسلام ولديها أعلى احتياطات نفط في العالم وما يستتبع ذلك من نفوذ مالي حكومتها شكلت المجتمع السعودي على خط إسلامي متشدد في السبعينات والثمانينات كانت أكبر قوة مؤثرة في العالم الإسلامي أنفقت بلايين الدولارات على دعم القضايا الإسلامية في العالم من بناء المساجد ونشر الكتب وصولا لمساعدة الأحزاب السياسية والمنظمات الإرهابية لكن عدد سكانها الصغير نسبيا وعدم حصانتها الجغرافية يجعلانها تعتمد على الغرب من أجل أمنها.

أخيرا تركيا:

لديها التاريخ وعدد السكان والمستوى المتوسط من النمو الاقتصادي والتماسك الوطني والتقاليد العسكرية والكفاءة كي تكون دولة مركز.

إلا أن أتاتورك حرم الجمهورية التركية من أن تخلف الإمبراطورية العثمانية في أداء هذا الدور وذلك بسبب تحديدها بوضوح كمجتمع علماني حتى أنها لم تتمكن حتى من أن تكون عضو ميثاق في منظمة المؤتمر الإسلامي بسبب دستورها العلماني.

وطالما أن تركيا ستستمر في تعريف نفسها دولة علمانية، فلن تكون لها زعامة الإسلام.

ولكن.. ماذا لو أعادت تركيا تعريف نفسها؟ عند نقطة ما يمكن أن تكون تركيا مستعدة للتخلي عن دورها المحبط والمهين كمتسول يستجدي عضوية نادي الغرب واستئناف دورها التاريخي الأكثر تأثيرا ورقيا كمحاور رئيسي باسم الإسلام، وخصم للغرب.

الأصولية في صعود في تركيا، في عهد أوزال بذلت الدولة جهودا ضخمة لتوحيد نفسها بالعالم العربي وأفادت من العلاقات العرقية واللغوية لتلعب دورا متواضعا في آسيا الوسطى وقدمت الدعم والتأييد لمسلمي البوسنة وتنفرد تركيا بين الدول الإسلامية بصلاتها التاريخية بمسلمي البلقان والشرق الأوسط وشمال أفريقيا وآسيا الوسطى.

من الممكن أن تقلد تركيا جنوب أفريقيا فتتخلى عن العلمانية كشيء غريب عن وجودها كما تخلت جنوب أفريقيا عن الاضطهاد العنصري وبالتالي تحول نفسها من دولة منبوذة في حضارتها إلى دولة زعيمة لها وعندها يمكن أن تكون مؤهلة لزعامة الإسلام بعد أن خبرت الجيد والرديء في الغرب بالنسبة للعلمانية والديموقراطية.

إلا أنها كي تفعل ذلك لا بد لها أن تتخلى عن تراث أتاتورك على نحو أشمل مما تخلت به روسيا عن تراث لينين كما عليها أيضا أن تجد زعيما بحجم أتاتورك يجمع بين الدين والشرعية السياسية ليعيد بناء تركيا وتحويلها من دولة ممزقة إلى دولة مركز [39].

(39) صامويل هنتجنتون. صراع الحضارات ص 292-291.

من وجهة نظرنا، ليس هناك دولة عربية أو إسلامية يمكنها النهوض بهذا العبء بمفردها.

كما يمكننا القول أن تركيا أبعد ما تكون عن امتلاكها المؤهلات الضرورية للقيام بهذا الدور خاصة بعد انكشاف دورها القذر في تأجيج أزمات المنطقة وتحالفها العلني مع كل من آل سعود وإسرئيل ومن ثم فمؤهلاتها لا تعدو كونها مزيجا من البراجماتية اللاأخلاقية والتمسح بالإسلام وتوظيف الجماعات الإرهابية، فضلا عن بعض البهارات العلمانية أو اللادينية التي تبين عبر سنوات الأزمة السورية أنها مجرد أدوات للنصب والاحتيال لا تختلف كثيرا عن (الثلاث ورقات)!!.

لا نرى بديلا للدولة المركز سوى تحالف عدة مراكز وهو ما بدأ أخيرا في الظهور، تحالف يضم ضحايا الإرهاب السعودي الوهابي وهو تحالف منطقي قدم أوراق اعتماده عبر مئات السنين بدءا بالحملة التي قام بها الجيش المصري لتأديب هؤلاء المجرمين.

تحالف يدرك منذ البداية ألا بديل أمام المسلمين سوى التحالف والتعاضد الحضاري والاقتصادي والسياسي بين المتقاربين في هذه المجالات وأن محاولة التحالف مع من لا يملكون سوى عوائد أموال النفط الذي لم يستخدم طيلة هذه العقود في دعم التنمية والترقي والحضارة بل استخدم في أغراض مضادة لهذه الأهداف هو عبث وتضييع للوقت.

ليس فقط تضييع للوقت بل يمنحهم مزيدا من الوقت لممارسة هوايتهم المفضلة وهي إنشاء التنظيمات والجماعات الإرهابية باسم الإسلام الذي هو منهم ومن أفعالهم براء.

في الفقرات التالية سنورد كيف حاولت مصر (محمد علي) أن تملأ فراغ المركز الهائل الذي أحدثه التسلط العثماني على الأمة الإسلامية، وكيف استفادت الوهابية من هذا الفراغ لبسط نفوذها وما تزال وهو ما ينبغي أن يشغل بال المهمومين بحال الأمة حاضرا ومستقبلا.

مصر تدفع ثمن تصديها للوهابية

الحرب في سورية والأناضول

السرد هنا نقلا عن كتاب (عصر محمد علي) للمؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي حيث سننقل عنه بشيء من التفصيل كي يطلع القارئ الكريم على عبقرية المقاتل المصري والإمكانات الجبارة لمصر والمصريين.

خرجت مصر من الحرب اليونانية دون أن تظفر بفتوحات جديدة، ففي حين أن الحرب الوهابية قد انتهت ببسط نفوذها في جزيرة العرب، وضم السودان الشطر المكمل للدولة المصرية، فإن الحرب اليونانية لم تكسبها فتحا جديدا، بل انتهت بجلاء الجيش المصري عن بلاد الموره وعودته إلى مصر.

أرادت تركيا أن تعوض محمد علي باشا بعض ما فقده في الحرب اليونانية، فاسندت اليه جزيرة كريت، لكنه لم يكن من السهل ان تحكم مصر تلك الجزيرة أو تبسط سيادتها عليها او تستفيد منها لنزوع اهلها الى العصيان ولانها كانت ارض فتن وثورات.

فلا غرو ان طمح محمد علي الى ضم سورية الى مصر، ولم يكتم نيته عن الحكومة التركية، فانه طلبها منها تعويضا عما تكبده الجيش المصري من الخسائر في حرب الموره، ولكن السلطان لم يجبه الى طلبه، فاعتزم ان يناله بحد السيف.

أسباب الحملة على سورية:

تعتبر حرب الشام حربا دفاعية، وحربا هجومية. اما كونها حربا دفاعية فلأن محمد علي يعلم ان تركيا لا تفتأ تسعى لاسترداد مركزها في مصر ما وجدت سبيلا الى ذلك، وان السلطان محمود لم يكن خالص النية نحوه، بل كان ينظر بعين الحسد الى تقدم مصر وما كسبته من المكانة العالية، ولم ينس كذلك ان مصر امتنعت عن مساعدته في حربه مع روسيا سنة 1828. فاضطغن السلطان على محمد علي باشا، واخذ يتربص به لينتقم منه وينتزع منه حكم مصر، ولم يكن يحول بينه وبين ذلك سوى ارتباك احوال الدولة العثمانية وضعفها، فاذا ما سنحت الفرصة فإنه لا يتردد في التخلص من خصمه، فطموح محمد علي الى فتح سورية كان الغرض منه ان يدافع عن مصر وعن مركزه فيها.

واذا تأملت ما كتبه الدكتور كلوت بك في هذا الصدد رأيت أنه يعبر عن وجهة نظر محمد علي في الحملة على سورية اذ يقول: «ان ضم سورية الى مصر كان ضروريا لصيانة ممتلكات الباشا، فمنذ تقرر في الاذهان ان انشاء دولة مستقلة على ضفاف النيل يفيد المدينة فائدة عامة وجب الاعتراف بانه لا يمكن ادراك هذه الغاية الا بضم سورية الى مصر، وقد رأينا فعلا أن موقع البلاد الحربي لا يجعلها في مأمن من الغزوات الخارجية خصوصا عن طريق برزخ السويس، حيث نجد ان سائر الغزوات جاءت عن طريق سورية كغزوة الفرس، في عهد قمبيز وغزوة الاسكندر وغزوتي الايوبيين والاتراك، وعلى ذلك لا يمكن الاطمئنان الى بقاء مصر مستقلة الا باعطائها الحدود السورية لان حدودها ليست في السويس بل في طوروس».

فالحرب السورية من هذه الوجهة كانت اذن حربا دفاعية.

لكنها كانت ايضا حربا هجومية وكان الغرض منها التوسع في الفتح والسلطان، فان محمد علي كان يطمح الى ضم سورية منذ سنة 1810، وكان يامل في ان يصل الى حكمها بموافقة السلطان، كتب المسيو دروفتي قنصل فرنسا في مصر، رسالة الى حكومته سنة 1811 يقول فيها: «ان محمد علي يطمع في ولاية سورية، وقد قال لي يوما انه لا يستبعد

ان ينالها مقابل مبلغ من المال سبعة او ثمانية ملايين قرش يدفعها لخزانة السلطان، وقد اخذت فكرة الاستقلال تزداد رسوخا عنده منذ استظهاره على اعدائه وقمعه فتنة الجند وتخلصه من الارتباكات المالية».

وقد اشار المسيو دروفتي في رسالة أخرى لحكومته الى معدات الحملة المصرية على الوهابيين فاظهر الشك فيما اضمر محمد عليها منها، وهل يقصد بها الحجاز أم سورية، قال في هذا الصدد:

«ان جميع الاستعدادات التي يعدها الباشا تدل على ان الحملة تخترق الصحراء وتصل منها الى سورية، ولا تزال غايتها الحقيقية سرا مكتوما في ضميره، وخطته في هذا الصدد لم تتغير « وهي التأني ثم التصرف مع الاحوال بحسبها».

وقد طلب فعلا من السلطان خلال الحرب الوهابية ان يعهد اليه بولاية الشام وكانت حجته في ذلك انه في حاجة الى مدد منها لمعاونته على قتال الوهابيين.

ففكرة ضم سوريه الى مصر كانت تختلج في نفس محمد علي باشا منذ سنة 1810، ولقد صرفه عنها انهماكه في الحرب الوهابية، ثم فتح السودان، ثم الحرب اليونانية، فلما انتهى من هذه الاخيرة اخذ يفكر في انفاذ فكرته القديمة.

ومن المرجح ان محمد علي كان يهدف لانشاء دولة مستقلة في مصر تضم اليها البلاد العربية في أفريقية وآسيا، ففي أفريقية قد استقل بمصر وفتح السودان، وفي آسيا قد فتح معظم جزيرة العرب وبسط عليها نفوذ الحكومة المصرية، وبطموحه الى سورية اراد ان يؤسس الدولة المصرية الكبيرة.

ويؤيد هذه الفكرة رجحانا بعض تصريحات فاه بها ابراهيم باشا خلال الحرب السورية، فقد ذكر المسيو كادلفين وبارو في كتابهما انه بينما كان الحصار مضروبا على عكا سئل ابراهيم باشا الى اي مدى تصل فتوحاته اذا تم له الاستيلاء على عكا فقال ما معناه الى مدى ما يتكلم الناس واتفاهم واياهم باللسان العربي [40]، وقد قابله البارون ليو الكونت بالقرب من طرطوس بالاناضول سنة 1823 بعد عودته من كوتاهيه،

(40) كادفلين وباور، حرب مصر ضد الباب العالي في سوريا والأناضول، سنة -1831 1833 ، ص412.

وكان له معه حديث طويل، فذكر عنه «ان ابراهيم باشا يجاهر علنا بانه ينوي احياء القومية العربية، واعطاء العرب حقوقهم، واسناد المناصب اليهم سواء في الادارة ام في الجيش، وان يجعل منهم شعبا مستقلا ويشركهم في ادارة الشئون المالية، ويعودهم سلطة الحكم كما يحتملون تكاليفه، وتتجلى فكرته هذه في منشوراته ومخاطباته لجنوده في الحرب الاخيرة بسورية، فانه لا يفتأ يذكرهم بمفاخر الامة العربية ومجدها التالد، ويتصل بهذا المعنى مجاهرته بان كل البلدان العربية يجب ان تنضم تحت لواء أبيه، وقد قال لي أن اياه يحكم مصر والسودان وسورية، ومن الواجب ان يضم العراق الى حكمه، وان جزيرة العرب تابعة لابيه الذي يعمل الان على اتمام فتحها، وهو في صلاته مع اهل البلاد يستخدم اللغة العربية، ويعد نفسه عربيا، ولذلك لا ينفك يطعن في الاتراك، وقد لاحظ عليه ذلك احد جنوده وخاطبه بتلك الحرية التي كان يشجع رجاله عليها وسأله كيف يطعن في الاتراك وهو منهم، فأجابه ابراهيم باشا على الفور: «أنا لست تركيا، فاني جئت مصر صبيا، ومنذ ذلك الحين قد مصرتني شمسها وغيرت من دمي وجعلته دما عربيا» (41).

فهذه البينات تدلك على ما اتجه اليه فكر ابراهيم باشا من تأسيس دولة عربية مصرية تحي عهد الفاطميين حين كانت مصر تضم الى رقعتها سوريه وجزيرة العرب.

وكان لمحمد علي في فتح سورية اغراض اقتصادية، فانه أراد استغلال مواردها من الخشب والفحم والنحاس، تلك الموارد التي كانت مصر مفتقرة اليها، فهي في حاجة الى الاخشاب للوقود ولبناء السفن الحربية والتجارية، والى الفحم والنحاس والحديد لترقية صنائعها وخاصة بعد أن أنشأ المصانع «الفابريقات» التي تحتاج ادارتها الى الفحم والحديد والنحاس.

وكذلك كان يرمي إلى بسط نفوذ مصر في سورية ان يجند من سكانها في الجيش المصري فيزداد الجيش عددا وقوة.

تلك هي الاسباب الحقيقية التي دفعت محمد علي باشا إلى فتح سورية. وقد كانت

(41) كتاب مهمة البارون لبو الكونت، ص-248 249.

الظروف في سنة 1831 ملائمة لانفاذ مشروعه، فان تركيا قد خرجت من الحرب اليونانية، ثم من الحرب الروسية سنة 1829، مضعضعة منهوكة القوى، وزاد في ضعفها كثرة الفتن والاضطرابات الداخلية فيها، وقد ألغى السلطان محمود سنة 1826 فرقة الانكشارية التي كانت قوام الجيش العثماني وذلك لما كانت عليه من الفوضى، وأبادهم، ولكنه لم يجد متسعا من الوقت لينشئ بدلا منهم جيشا جديدا نظاميا، بل كانت القلاقل والاضطرابات تحول دون انفاذ عزمه، في حين كان محمد علي على أهبة للدخول في حومة الوغى، معتمدا على جيشه النظامي الذي قضى سنوات عدة في انشائه وتدريبه، وعلى الاسطول الذي أنشأه في ترسانة الاسكندرية، ولم يكن السوريون متعلقين بالحكم العثماني لكثرة ما عانوا من مساوئه ومظالمه، فلم يكن متوقعا ان يلقى الجيش المصري في زحفه على سورية مقاومة من الاهالي، وخاصة لان محمد علي باشا قد اجتذب اليه الامير بشير الشهابي كبير أمراء لبنان منذ سنة 1822 وتوثقت بينهما العلاقات من ذلك الحين، اذ كانت الحكومة العثمانية قد عزلته من إمارة الجبل، فلجأ إلى محمد علي في مصر فتشفع له لدى الدولة فأصدرت عفوها عنه وحفظ له هذا الجميل، فكان عضدا له في الحملة السورية، واستمال ايضا الشيخ حسين عبد الهادي من زعماء نابلس ومصطفى أغا بربر[42] الذي عينه ابراهيم باشا اثناء الفتح متسلما لطرابلس، فكان الثلاثة من اعوانه في الفتح.

الأسباب المباشرة للحملة

وهناك أسباب مباشرة تذرع بها محمد علي باشا للزحف على الشام.

منها ان كثيرا من الفلاحين المصريين قد فدحتهم اعباء السخرة والضرائب التي فرضها محمد علي باشا، فهاجروا جماعات الى الاقطار السورية المتاخمة لمصر فرارا من هذه المكاره، وتخلصا من الخدمة العسكرية، وفد طم سيل المهاجرين حتى بلغ عددهم ستة

(42) ذكرهما مع الأمير بشير الشهابي البارون لبوا لكونت في رسائله عن سورية في عهد الفتح المصري، ص228 من كتاب (مهمة البارون لبوا لكونت).

آلاف من الفلاحين، وخشى محمد علي من عواقب هذه الهجرة وما تفضي اليه من المضار الاقتصادية، فطلب من عبد الله باشا والي صيدا[43]، ان يرجع المهاجرين المصريين الى بلادهم، فرفض عبد الله باشا طلبه محتجا بان المصريين من الرعايا العثمانيين ولهم الحق ان يقيموا أنى شاءوا، فغضب محمد علي من هذا الجواب، وكتب اليه يتوعده وينبئه انه قادم ليعيدهم جميعا يزيدون واحدا، وهو عبد الله باشا ذاته.

وكان عبد الله باشا ذو نفوذ كبير في ولايته حيث كان حاكما شبه مستقل وتمتد سلطته إلى فلسطين وقسم من الشام. مما جعل لمحمد علي باشا مندوحة في تجريد الحملة عليه، فلم يكن في الظاهر محاربا لتركيا ولا مجاهرا بعصيانها. وما فتئ خلال الدور الاول من الحملة يتظاهر بإخلاصه ويزعم انه انما يحارب حاكما شبه مستقل خارجا على الدولة، ومما يجدر ذكره ان محمد علي باشا كانت له يد سابقة على عبد الله باشا هذا، فقد عزلته الحكومة التركية من ولاية صيدا سنة 1822، فتشفع له محمد علي فعفت عنه وابقته في ولايته، ولكن عبد الله باشا لم يحفظ هذه اليد لمحمد علي اذ استأثر بالسلطة في ولاية صيدا وطمع كذلك في ضم ولاية الشام اليه وكان يخشى على سلطته من امتداد نفوذ محمد علي، فلم يراع جانبه ولم يكترث لغضبه، وكان فضلا عن ايوائه المهاجرين المصريين يساعد قوافل التجارية على تهريب المتاجر من الجمارك المصرية وتفويتها من طريق صحراء سوريا فأضر ذلك بالخزانة المصرية.

فلما امتنع عن ارجاع المهاجرين صمم محمد علي ان ينفذ الحملة على سورية.

تأليف الحملة

كانت الحملة المصرية على سورية مؤلفة في بدايتها من 6 آلايات من المشاة وأربعة من الفرسان، وعدتهم 30000 مقاتل بقيادة ابراهيم باشا، مجهزين باربعين مدفعا من مدافع الميدان وعدة من مدافع الحصار، وما يكفيهم من الذخائر والمؤن، واحتشد جنود الحملة،

(43) ولاية صيدا قاعدتها عكا ولذلك تسعى أحيانا ولاية عكا.

فريق في ضواحي القاهرة بالخانكة وفريق في الاسكندرية.

اشتركت العمارة المصرية في الحملة، فنقلت جزءا من الجيش بطريق البحر، وحملت المدافع الضخمة والذخيرة والمؤن، وخاضت في بعض المواطن غمار القتال، وكانت مؤلفة من 16 سفينة حربية و17 سفينة نقل عقد لواؤها للاميرال عثمان نور الدين بك وهو من خريجي البعثات المصرية التي ارسلها محمد علي الى فرنسا ونبغ في الفنون الحربية والبحرية وكان ناظرا للمدرسة الحربية التي انشأها ثم جعله محمد علي أميرالا للأسطول المصري لما عهده فيه من الكفاية والاخلاص.

تمت معدات الحملة في أوائل سنة 1831، وكان موعد زحفها في صيف تلك السنة، ولكن وباء الكوليرا في مصر وقتئذ أخر زحف الحملة، فقد فتك بالاهالي فتكا ذريعا، ودام فتكه اربعة وثلاثين يوما، ومات به نحو 150 ألف نسمة، وأودى بحياة خمسة آلاف من الجنود [44]، فتوقفت الحملة عن السير حتى انتهاء الوباء.

سير الحملة

ولما جاء شهر اكتوبر سنة 1831 اصدر محمد علي اوامره بتحرك الحملة، وكان خط سير الجيش برا عن طريق العريش الى حدود سورية، وأبحرت العمارة بقيادة ابراهيم باشا من الاسكندرية الى يافا.

ففي اليوم التاسع والعشرين من شهر أكتوبر سنة 1831 [45] بدأ الجيش البري يتحرك من معسكر الخانكة بقيادة ابراهيم باشا يكن [46] قاصدا الحدود السورية مارا ببلبيس فالعريش حيث استراح بها يوما، ثم دخل التخوم السورية فاحتل خان يونس.

---

(44) كان عدد الجيش بلغ وقتئذ نحو 90 ألفا.

(45) كما ورد في كادلفين وبارو ص 26.

(46) هو الذي تعبر عنه المراجع الفرنسية بإبراهيم باشا الصغير تمييزا له عن إبراهيم باشا بن محمد علي.

احتلال غزة ويافا وحيفا

واحتل غزة بعد ان فرت منها الجنود العثمانية، ثم زحف على يافا فاخلتها الحامية التركية واحتلها الجيش المصري، وفي غضون ذلك اقلعت العمارة المصرية من الاسكندرية تحمل باقي الجيش وتقل القائد العام ابراهيم باشا يصحبه اركان حربه ومنهم الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوي) وعباس حلمي باشا[47].

وصلت العمارة الى يافا ثم الى حيفا حيث القت مراسيها وانزلت بها الذخائر والمدافع، والتقت القوات التي جاءت برا بالقوات الآتية بحرا، واتخذ ابراهيم باشا (حيفا) قاعدة للحركات العسكرية وجمع فيها الذخائر والمؤونة وشرع في مهاجمة عكا.

حصار عكا

(نوفمبر سنة 1831)

كانت عكا على جانب عظيم من المنعة، فهي التي اعجزت نابليون منذ نيف وثلاثين سنة عن فتحها، وقد زاد احمد باشا الجزار في استحكاماتها القديمة بعد انسحاب الفرنسيين من سورية، فكان عبد الله باشا مطمئنا الى امتناعه بها، واثقا من عجز الجيش المصري عن اقتحامها، وكانت حامية المدينة مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل، فاعتزم ان يدافع عناه دفاع المستميت.

زحف الجيش المصري على عكا وضرب عليها الحصار منذ يوم 26 نوفمبر واشتركت العمارة المصرية في حصارها من البحر، فكان الحصار مضروبا عليها برا وبحرا، واطلقت مدافع البر والبحر قنابلها على اسوار عكا وحصونها، ولكن الحصون جاوبتها بنار حامية واحدثت اضرارا ببعض السفن المصرية مما اضطرها الى الرجوع للاسكندرية لاصلاح

(47) هو عباس باشا الأول الذي تولى الحكم عقب وفاة إبراهيم باشا.

ما اصابها من العطب، فاستعصت عكا على الجيش المصري، وانقضت ثلاثة أشهر دون أن ينال منها منالا، واخذ ابراهيم باشا في خلال هذه المدة يحتل المواقع الهمة في ولاية صيدا وما حولها، فاحتلت فرقة بقيادة حسن بك المانسترلي صور وبيروت وطرابلس واحتلت كتيبة اخرى مدينة القدس وكان الجيش كلما نزل ببلدة سلمت له بدون قتال.

موقف تركيا

اضطربت تركيا امام زحف الجيش المصري، وبادرت بادئ الامر الى ارسال مندوب عنها الى محمد علي باشا يطلب اليه الكف عن القتال، وكان الباشا يعلم بارتباك احوال تركيا وعجزها عن صد الحملة المصرية، فاخذ يماطل في الجواب، وتظاهر بالاخلاص للدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه ارسل الى ابراهيم باشا يامره بمواصلة الحرب وتشديد الحصار على عكا حتى يفتحها قبل ان يصل الجيش التركي لنجدتها اذا فكرت تركيا في امدادها.

وقد حشد الباب العالي 20 الف مقاتل تحت قيادة عثمان باشا والي طرابلس وعهد اليه رفع الحصار فزحف الجيش العثماني اليها، وضم اليه كل من لقيهم في طريقه من الاكراد والعرب.

علم ابراهيم باشا بتحرك هذا الجيش، فعقد مجلسا حربيا من نخبة ضباطه واركان حربه يتدبر في الامر، فاستقر رايه على ان يترك حول عكا القوة الكافية لمتابعة الحصار، وان يتحرك بالجزء الآخر من جيشه ليصادم الجيش التركي في الطريق، ويتغلب عليه قبل أن يصل الي عكا.

تقدم عثمان باشا يقود بضعة آلاف من جنوده وانتهز فرصة اشتغال ابراهيم باشا في حصار عكا فهاجم طرابلس التي كانت تحتلها حامية مصرية فدخل المدينة، ولكن جنود الحامية ردوا المهاجمين على اعقابهم، على أن مركزهم لم يلبث ان تحرج بازدياد قوات الاعداء وصارت طرابلس مهددة بسقوطها في يد الترك، فبادر ابراهيم باشا الى نجدتها وسار اليها بطريق الساحل فلما اقترب منها ارتد عنها عثمان باشا.

انتصار المصريين في الزراعة

(14 أبريل سنة 1832)

تعقب ابراهيم باشا الترك الى حمص، ثم رأى ان يرجع الى بعلبك ليمتار منها بالذخيرة الكافية قبل ان يمضي في مطاردة الجيش العثماني، فوصل الى سهل الزراعة[48].

تقدم عثمان باشا لمهاجمة الجيش المصري، فالتقى به في سهل الزراعة، ومع ان الجيش العثماني كان اكبر عددا الا انه دون الجيش المصري في النظام وكفاية القيادة.

هاجم جيش عثمان باشا الجيش المصري واحاطوا به من كل جانب، وخيل لهم انه اصبح في قبضة يدهم، لكن ابراهيم باشا بمعاونة سليمان بك الفرنساوي رتب الجنود المصرية على هيئة صفوف منتظمة متراصة ووضع وراءها المدافع حتى لا يراها المهاجمون، فانخدع القائد التركي بهذه الحيلة وهجم بكل قواته على الصفوف المصرية، فلبثت هذه ساكنة حتى صار الاعداء على مسافة قريبة ارتد المصريون وراء المدافع وانفجرت هذه بقنابلها فحصدت المهاجمين مشاة وركبانا، فوقعت بهم الخسائر الفادحة واختل نظامهم وتفرق جمعهم ونكصوا الى الوراء فسار المصريون في اعقابهم حتى دفعوا بهم الى نهر العاصي[49] حيث غرق الكثير منهم، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش التركي وارتد عثمان باشا وجنوده الى مدينة حماة ومكث بها كي يتلقى المدد، أما ابراهيم باشا فقد عاد بعد واقعة الزراعة الى بعلبك يتأهب لاستئناف الزحف.

وفي خلال ذلك اغتنم عبد الله باشا فرصة نقص القوات المحاصرة لعكا اذ هبطت الى عشرة آلاف فخرج من معاقلة، وهاجمهم وظهر عليهم، واستولى على الكثير من مدافعهم على ان ابراهيم باشا لم يعبأ بهذا النصر الذي ناله عبد الله باشا لوثوقه ان النصر الحاسم هو فوزه على جيش عثمان باشا.

---

(48) قرية جنوبي حمص، انظر موقعها على الخريطة الملحقة بهذا الفصل.

(49) نهر ينبع في لبنان بالقرب من بعلبك ويمر بحبص وحماه وانطاكية ويصب عند السويدية، انظر موقعه على الخريطة الملحقة بهذا الفصل.

فتح عكا

(27 مايو سنة 1832)

مكث ابراهيم باشا في بعلبك يراقب الجيش العثماني مخافة ان يعاود الهجوم، لكنه ما لبث ان علم ان عثمان باشا انفذ يطلب المدد من الاستانة، وهذا دليل على ضعفه، ولما كان المدد لا يمكن ان يصل الا بعد شهرين اذا اعجله الباب العالي، فقد اطمأن ابراهيم باشا من هذه الناحية، وعاد الى عكا وشدد الحصار عليها من البر والبحر، ثم حمل على المدينة ورمى سورها بالمدافع القوية، وما زال الضرب مستمرا حتى تصدع السور وفتحت فيه ثغرتان كبيرتان واخرى صغيرة، وعندئذ صمم ابراهيم باشا على مهاجمة المدينة بجيشه وحدد للهجوم يوم 27 مايو سنة 1832.

ففي صباح ذلك اليوم حملت الجنود المصرية على الثغرات الثلاثة، فاستولوا على اثنتين منها، وتردد الجنود الذين قصدوا الاستيلاء على الثغرة الثالثة ولقوا مقاومة شديدة، ودار قتال استمر حتى المساء، ودافعت الحامية دفاعا مجيدا، وابدى الفريقان شجاعة كبيرة الى ان عظمت خسائر الحامية، وكلت عن مواصلة الحرب، فطلب عبد الله باشا التسليم وسلم المدينة في مساء ذلك اليوم.

وبذلك انتهى حصار عكا بتسليمها للجيش المصري بعد ان استمر ستة أشهر حيث كان لفتح عكا دوي عظيم تجاوب في الخافقين، فان عكا هي التي امتنعت على نابليون منذ نيف وثلاثين سنة وعجز عن فتحها وارتد عنها خائبا، فانتصار ابراهيم باشا في فتحها هو صفحة مجد وفخار للجيش المصري.

وقد كان لسقوط عكا تاثير ابتهاج عظيم في مصر فاقيمت الزينات في القاهرة ثلاثة أيام متواليات.

اما عبد الله باشا والي عكا بعد ان سلم نفسه تلقاه ابراهيم باشا بالحفاوة والاجلال، وارسله الى الإسكندرية حيث احسن محمد علي مثواه واسكنه في قصر خصص له[50].

(50) يقول الدكتور مشاقة في كتابه (مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان) ص104 إن عبد الله باشا طلب أن يأذن له محمد علي بالذهاب إلى الحجاز فذهب إليه ومات هناك.

فتح دمشق

(16 يونيه سنة 1832)

اتجه ابراهيم باشا بعد فتح عكا شمالا قاصدا دمشق، فغادرها يوم 9 يونيه سنة 1832 في جيش مؤلف من 18000 من المقاتلة، منهم 9000 من الجنود النظامية و9000 من العربان المصريين والبدو السوريين والدروز، فلما اقترب من دمشق وقعت مصادمة خارج المدينة بين الجيش المصري والجيش العثماني انهزم فيها الترك وفر والي الشام بجنوده.

فخرج وفد من اعيان المدينة وقابلوا ابراهيم باشا وقدموا طاعتهم، فدخلها يوم 16 يونيه ونصب الجيش خيامه خارج المدينة، واحترم الجنود المصريون أملاك الاهالي واموالهم، فكان سلوكهم مدعاة للاعجاب مما حبب الحكم المصري الى نفوس السوريين وخاصة حينما قارنوا هذا المسلك بما اعتاده الجيش العثماني من أنواع الاعتداء المنكرة.

وأقام ابراهيم باشا في دمشق ثمانية عشر يوما، وحضر صلاة الجمعة في الجامع الأموي، ورتب الادارة فيها على نظام جديد فعين احمد بك اليوسف احد أعيانها متسلما عليها، وانشأ ديوانا مؤلفا من عشرين من اعيان المدينة سماه ديوان المشورة يختص بنظر دعاوى الرعية والحكومة.

واقعة حمص

(8 يوليه سنة 1832)

جزع الباب العالي لسقوط عكا في يد الجيش المصري فخشى على مركزه ان يتزعزع امام انتصارات المصريين، وكان قد اعلن عصيان محمد علي[51] اثناء حصار عكا وحشد جيشا مؤلفا من ستين ألف جندي لقتاله، واعد أسطولا من خمس وعشرين سفينة

(51) في أوائل مايو سنة 1832.

للاقلاع من الدردنيل ومحاربة الاسطول المصري.

وعهد بقيادة جيش البر الى حسين باشا قاهر الإنكشارية ومنحه لقب سردار أكرم، وكان من أكفأ قواد تركيا، ووهب له ولاية مصر وكريت اذا هو قهر الجيش المصري، فلو كتب له الفوز لقضي على الاستقلال المصري في مهده، ولكن بطولة الجيش المصري حالت دون وقوع الكارثة.

تقدم جيش حسين باشا ببطء، فلم يصل الى مضايق جبال طوروس الا في أوائل شهر يوليه سنة 1832، ولم يشأ قائده ان يتقدم بمجموع جيشه لملاقاة الجيش المصري، بل ظل على مقربة من أنطاكية وأنفذ محمد باشا والي حلب وتحت امرته مقدمة الجيش وامره بالتحصن في حمص.

شكل تصرف حسين باشا خطأ حربيا كبيرا، لان انفصال المقدمة عن باقي قوات الجيش وتورطها في مقاتلة الجيش المصري يعرضها للهلاك المحتوم، فلما علم ابراهيم باشا بهذا عزم على مواجهة مقدمة الجيش التركي وسحقها. ثم مهاجمة باقي الجيش بعد ذلك، فتقدم من دمشق زاحفا على حمص، واستدعى من بعلبك وطرابلس بقية جنده الذين كانوا بقيادة عباس حلمي باشا وحسن بك المانسترلي فصارت قوة الجيش عندما بلغ حمص نحو ثلاثين الف مقاتل[52]، وهناك وقعت الواقعة المشهورة بمعركة حمص (8 يوليه 1832).

تقع مدينة حمص على الشاطئ الأيمن من نهر العاصي، وموقعها غاية في الأهمية، لأنها ملتقى عدة طرق، فهي على طريق بعلبك ودمشق جنوبا، وطريق أنطاكية وحلب شمالا.

عسكر محمد باشا قائد الجيش التركي بجنوده على نهر العاصي، جنوبي حمص وتحت اسوارها، ورتب جيشه على صفوف ثلاثة، فوقف المشاة في الصف الاول، تمتد مسيرتهم مسافة نصف فرسخ، والصف الثاني من خلفهم، ويتالف من ألايين من المشاة، وعن يمينهم وشمالهم ألايان من الفرسان، ويليهم الصف الثالث، ومعظمه من الجنود غير النظامية (الباشبوزق)، وتحمي المدفعية جناحه الأيمن، أما الصف الأول والثاني فلم

(52) إحصاء مانجان ج 3 ص 42.

يكن يسندهما سوى عدد ضئيل من المدافع، وهذا من سوء التدبير.

أما الجيش المصري فقد رابط في مواجهة الجيش التركي على ثلاثة صفوف، فوقف في الصف الاول فريق من المشاة يبلغ عددهم ثلاثة ألايات، وعن يمينهم وشمالهم ألايان من الفرسان، وفي الصف الثاني وقف جنود الحرس والمشاة، يشد أزرهم من الجانبين ألايان آخران من الفرسان ورابط الاحتياطي من الفرسان والمشاة في الصف الثالث.

ونصب ابراهيم باشا مدافعه على ترتيب بديع، فجعل امام الصف الاول ثلاث بطاريات، واحدة في القلب، وأخرى في اليمين، والثالث على اليسار، ووضع بين الصف الثاني والصف الثالث ثلاث بطاريات، وفيها المدافع الثقيلة، وعلى جانبي الصف الثالث فرسان البدو من العرب.

ولقد كان ابراهيم باشا اسرع من خصمه الى رسم خطط القتال، واستقر رأيه بعد استشارة اركان حربه أن يكون البادئ بالهجوم.

فأمر كتائب الفرسان التي ترابط على ميمنة الصفوف الثلاثة بالزحف شرقا لتقوم بحركة التفاف حول ميسرة الترك، وتولى بنفسه قيادة هذه الحركة، لان على نجاحها يدور مصير المعركة.

فتحرك الفرسان وفقا لهذه الخطة، وتقدموا لمهاجمة فرسان الترك من الجنود غير النظاميين الذين كانوا على مقربة من الضيعة، وكان الهجوم شديدا وأطلق المصريون مدافعهم وبنادقهم على فرسان الترك فاوقعوا بهم وفرقوا جمعهم، وتراجع هؤلاء الى حدائق حمص، وهجم مشاة المصريون من القلب فتقلقل الترك عن مراكزهم وتقهقروا الى الوراء وبذلك انهزم الجناح الايسر من الجيش التركي باكمله وتخلى عن مواقعه.

وقامت ميسرة الجيش المصري بحركة بديعة، ذلك ان فرقة منها زحفت غربا واجتازت القناة التي تتفرع عن نهر العاصي، تتبعها المدافع، واحتلت شاطئ القناة الايسر، وبذلك سدت الطريق امام ميمنة الترك، وصار من المتعذر عليهم ان يقوموا بالهجوم من هذه الناحية.

تحرج مركز الجيش التركي امام هجمات المصريين، وزاد مركزه حرجا ان المدافع المصرية

كانت تطلق قنابلها بمهارة واحكام، فتصيب الهدف وتحصد صفوف الترك حصدا ولما رأى محمد باشا قائد الجيش التركي حرج مركزه أمر صفوفه بالهجوم، ولكن المشاة المصريين من جنود الصف الاول قابلوهم برصاص بنادقهم ففتكت بهم النيران فتكا ذريعا، وارتدوا على اعقابهم، فوقع الذعر في صفوف الترك وولوا الادبار مدحورين.

ولقد كان متوقعا ان يعود الترك للقتال بعد ان يلموا شملهم، اذ كانت قلعة حمص تحمي ظهورهم، ولكن هذا الظن ما لبث ان تبدد، ولم يقوَ الترك بل لم يفكروا في معاودة القتال، وتقدم ابراهيم باشا بجيشه الظافر، فاحتل المواقع التي كان الترك يرابطون بها، وصف جيشه على شكل مربع، ووضع المدافع على زواياه الاربع، فازداد مركزه قوة ومنعة، فتابع الترك تقهقرهم منهزمين، وبذلك انتهت واقعة حمص بانتصار الجيش المصري بعد قتال دام نحو اربع ساعات، اذ بدأت وقت العصر وانتهت عندما ارخى الليل سدوله، وبادر ابراهيم باشا فارسل الى ابيه ينبئه بهذا النصر المبين.

بلغت خسائر الجيش العثماني في واقعة حمص 2000 من القتلى و2500 من الاسرى، واستولى الجيش المصري على عشرين من مدافعه وعلى ذخائره وامتعته، واما خسائر المصريين فلم تزد عن 102 من القتلى و162 من الجرحى، ودخل المصريون في اليوم التالي مدينة حمص.

وتعد هذه الواقعة من اهم المعارك التي خاضها الجيش المصري، فقد كانت اول معركة كبيرة اقتتل فيها الجيشان المصري والتركي وجها لوجه[53]، وكانت قوات الجيشين متعادلة، فكلاهما مؤلف من نحو ثلاثين ألف مقاتل، ولكن الجيش المصري امتاز ببراعة القيادة وحسن النظام وبسالة جنوده والتفوق في المران العسكري ، فلا غرو أن كسب المعركة.

وكان لترتيب الخطط الحربية فضل كبير في انتصاره، وهنا تبدو كفاية ابراهيم باشا في القيادة ومهارته في الفنون الحربية.

(53) إن حصار عكا وإن كان أسبق من واقعة حمص إلا أنه لا يعد معركة، والمقصود من المعركة اصطدام جيشين في ميدان مكشوف. أما واقعة (الزراعة) فهي وأن كانت أيضا أسبق من معركة حمص إلا أنها لا تعد من المعارك الكبيرة بالنسبة لوقائع حمص وبيلان وقونيه ونصيبين.

وقد دلت معركة حمص على تفوق الجيش المصري على الجيش التركي في ميادين القتال، فكان لهذه الدلالة تأثير كبير في الاذهان، لان احدا لم يكن يتصور ان جيش السلطان ينهزم امام الجيش المصري الذي كان معدودا الى ذلك الحين جزءا من الجيش الشاهاني، وتلك اول مرة ظهر فيها الجيش المصري على الجيش التركي في معركة كبيرة، فمحت هذه المعركة ذكرى هزيمة الجيش المصري في معركة الريدانية امام جيوش السلطان سليم في بدء الفتح العثماني لمصر، واذا كانت معركة الريدانية قد قضت على استقلال مصر وجعلتها ولاية تركية فلا ريب ان معركة حمص والوقائع التي تلتها ارجعت لمصر استقلالها وقضت على الحكم العثماني فيها، فلم تقم له بعد ذلك قائمة.

الموقف الحربي بعد واقعة حمص:

ارتد الجيش العثماني بعد هزيمته في واقعة حمص قاصدا حلب.

أما جيش حسين باشا فكان قد بلغ أنطاكية بينما كان جيش محمد باشا والي حلب والجيش المصري على وشك اللقاء في معركة حمص.

توجه جيش حسين باشا انطاكية قاصدا الى حمص، فالتقى في طريقه بفلول الجنود المهزمة من جيش محمد باشا، وعرف منهم نبأ هزيمة حمص، فارتد الجميع الى حلب ليتخذوها قاعدة حربية لقتال الجيش المصري، وطلب حسين باشا من اعيانها ان يمدوه بالمؤونة ليتخذوها قاعدة حربية لقتال الجيش المصري، وطلب من اعيانها ان يمدوه بالمؤونة والرجال، ولكن اهالي حلب كانوا كارهين للحكم التركي واشفقوا على مدينتهم ان يحل بها الخراب اذا استهدفت للحرب، فأبوا على الجيش التركي ان يدخل احد من جنوده الى مدينتهم، ولم يسمحوا الا للجنود الجرحى والمرضى بالدخول.

في خلال ذلك كان ابراهيم باشا يتقدم بالجيش المصري نحو حلب، ولم يجد حسين باشا مكانا حصينا ياوى اليه، فانسحب شمالا الى مضيق بيلان جنوبي الاسكندرونة، وهو احد مفاتيح سورية من الجهة الشمالية وحصن مواقعه تحصينا منيعا.

واقعة بيلان

(30 يوليه سنة 1832[54])

بعد أن احتل الجيش المصري من غير مقاومة حماة ثم حلب جاءته وفود من اورقا وديار بكر تعلن خضوع المدينتين لحكم محمد علي تابع زحفه حتى صار على مقربة من مواقع العدو في بيلان.

كان الجيش العثماني الذي يقوده حسين باشا مؤلفا من نحو 45 ألفا من الجنود النظامية، لديها السلاح الكافي ويعززها 160 مدفعا، وهي قوة لا يستهان بها ترابط في مواقع منيعة، إلا أن الحالة المعنوية لم تكن على ما يرام، بعدما حل بالجيش التركي من هزائم متوالية وما تعاقب عليه من تغيير القواد واندحارهم، وعلى عكس ذلك كان موقف الجيش المصري، فان الانتصارات المتتابعة قد ملأت جنوده قوة وحماسة وجعلتهم يركنون الى قائدهم ابراهيم باشا الذي سار بهم من نصر الى نصر.

انتهت الواقعة بهزيمة الجيش التركي، بعد قتال ثلاث ساعات فقد فيه الترك من رجالهم نحو 2500 بين قتيل وجريح، واسر منهم 2000 اسير وغنموا 25 مدفعا وكثيرا من الذخائر.

وبعد انتهاء الواقعة احتل المصريون بيلان. أما الترك فقد فرت فلولهم الى الاسكندرونة لتلجأ الى العمارة التركية، ولكنهم لم يدركوا العمارة لانها اقلعت من الميناء بعد هزيمة بيلان، فسار المصريون في اعقابهم واسروا الكثيرين منهم واحتلوا الاسكندرونة، ثم تقدم فرسانهم وساروا حذاء الساحل واحتلوا بياس شمال الاسكندرونة واسروا فيها 1900 مقاتل من الجيش التركي، وسلمت ايضا انطاكية واللاذقية والسويدية.

كانت نكبة الجيش التركي في هذه الواقعة نكبة ساحقة، واختفى قائده العام على وجهه متنكرا خوفا من القصاص الذي هو لا بد ملاقيه اذا عاد الى الاستانة وفي تبعته هذه الهزيمة.

(54) اعتمدنا في بيان يوم الواقعة على رواية كادلفين وبارو ص 206.

زحف الجيش المصري في الاناضول

اجتاز المصريون بعد واقعة بيلان حدود سوريه الشمالية، ودخلوا ولاية اضنه من بلاد الاناضول، وعبروا نهري جيحون وسيحون واحتلوا ادنه وطرطوس، واخذ ابراهيم باشا يوطد مركزه وينظم الولايات التي فتحها قبل ان يزحف بجيشه الى الامام، واحتشد معظم الجيش في مدينة اضنه إذ كانت مفتاح الزحف على الاناضول وكانت ايضا صلة المواصلات بطريق البحر بين مصر والجيش المصري، وانفذ ابراهيم باشا كتائب من جنده فاحتلوا اورفا، وعينتاب ومرعش وقيصرية.

لم تنكسر عزيمة السلطان محمود امام الهزائم التي حاقت بجيشه، واعد جيشا جديدا مؤلفا من 53 الف مقاتل[55] عهد بقيادته الى الصدر الاعظم محمد رشيد باشا[56].

احتشد الجيش التركي في الاستانة، وعرضه السلطان محمود بنفسه ليبث في قلوب رجاله روح الشجاعة والاقدام، وزوده ببعض الالايات المشاة النظاميين وعدد وافر من المدافع.

تقدم رشيد باشا بهذا الجيش العرمرم، ليلتقي الجيش المصري، وكان ابراهيم باشا يواصل زحفه في الاناضول، فانفذ قوة من الجند احتلت مضيق كولك من مضايق جبال طوروس، واقصت عنه الترك، وباحتلال هذا المضيق ذللت عقبة من اكبر العقبات التي تعترض الجيش المصري في زحفه على الاناضول، ثم اعترضتهم عقبة اخرى وهي واد منيع يلي المضيق كان الترك ممتنعين به بالقرب من مدينة شفت خان فانفذ ابراهيم باشا قوة هاجمت الترك في الوادي ونشبت معركة انتهت بانسحابهم بعد ان فقدوا 200 قتيل وثلثمائة اسير، وكذلك امتنع الترك في اولو قشلاق وهاجمهم فيها المصريون واجلوا عنها، وبعد هزيمة الترك في اولو قشلاق جلوا ايضا عن هرقلة اركلي فانفتح الطريق امام الجيش المصري ومضى في زحفه حتى بلغ قونية التي اخلاها الترك من غير قتال،

(55) إحصاء كادلفين ص295.

(56) هو غير مصطفى رشيد باشا الصدر الأعظم في عهد السلطان عبد المجيد وصاحب الإصلاحات المشهورة.

فاتخذها ابراهيم باشا قاعدة عسكرية واخذ يتاهب لملاقاة الجيش التركي ويدرب جنوده على التمرينات في المواقع التي توقع نشوب القتال فيها، فكان ذلك دليلا على نفاذ بصيرته وبعد نظره وبراعته في القيادة، ولئن كان جيشه اقل عددا من الجيش التركي الا انه يمتاز بحسن النظام وكفاية القيادة والمران على القتال في المعارك العديدة التي خاض غمارها، ولا غرو ان بعثت الانتصارات التي احرزها في نفوس الجنود روح الامل والثقة ، فكانت هذه الروح من اقوى اسباب النصر والظفر.

واقعة قونيه

(21 ديسمبر سنة 1832)

في 18 ديسمبر سنة 1832 وصلت طلائع الجيش التركي بقيادة رءوف باشا الى شمالي قونيه وكانت مؤلفة من الجنود غير النظامية، فناوشهم ابراهيم باشا ليتحقق مبلغ قوتهم، ولما آنس منهم ضعفا اراد ان يكرههم على القتال، لكن رءوف باشا تجنب الدخول في معركة، فانقضى يوما 18 و19 ديسمبر في مناوشات حربية استولى فيها المصريون على كثير من الاسرى وغنموا فيها بعض المدافع.

وفي صبيحة يوم 20 ديسمبر تقدمت جيوش رشيد باشا الى قونيه، واخذ كل من القائدين يرتب مواقع جنوده.

وفي اليوم التالي ، يوم الواقعة، كان الضباب يخيم على ميدان القتال من الصباح فحال دون اكتشاف كل من القائدين موقع الجيش الاخر، على ان ابراهيم باشا كان يمتاز على رشيد باشا بانه درس الجهة التي دار فيها القتال دراسة دقيقة، ومرن جنوده على المناورات فيها قبل اشتباك الجيش.

وقد رابط الجيش المصري شمالي قونيه، وعلى مقربة من ميمنته شمالا بشرق مستنقعات من المياه، وعلى مسيرة فرسخ من ميسرته تقع مدينة سيله، وامامه الجبال، وعلى سفحها يرابط الجيش التركي الذي كان الضباب يحجبه عنه عن انظار المصريين.

واصطف الجيشان في مواقعها، تفصل بينهما نحو ثلاثة آلاف متر، ومرت لحظة خفت فيها، وطأة الضباب قليلا، فأمكن ابراهيم باشا ان يلمح موقع الجيش التركي، وقد رتب خطة الهجوم ترتيبا محكما، فرأى أن الهجوم على ميمنة الترك امر لا تحمد عواقبه، لانها مرابطة على سفح الجبل في مواقع حصينة، بعكس الميسرة التي كانت تستند الى مستنقعات مكشوفة.

انتهت الواقعة بهزيمة الجيش التركي، ودام القتال فيها سبع ساعات، اذ بدأت في الظهر وانتهت بعد غروب الشمس بساعتين، ولم تزد خسارة المصريين عن 262 قتيلا، و530 جريحا ، أما الجيش التركي فقد اسر قائده ونحو خمسة آلاف الى ستة آلاف من رجاله، من بينهم عدد كبير من الضباط والقواد، وقتل من جنوده نحو ثلاثة آلاف ، وغنم المصريون نحو 46 مدفعا، وعددا كثيرا من الرايات.

فلا غرو كانت معركة قونيه نصرا مبينا للجيش المصري، وصفحة فخار في تاريخ مصر الحربي.

ولقد كانت من المعارك الفاصلة في حروب مصر، لأنها فتحت امام الجيش طريق الاستانة، اذ اصبح على مسيرة ستة أيام من البوسفور، وكانت الطريق مخلاة لا يعترضه فيها جيش ولا معقل، فلا جرم ان ارتعدت فرائص السلطان محمود بعد هذه الواقعة اذ رأى قوائم عرشه تتزلزل امام ضربات الجيش المصري وانتصاراته المتوالية.

المسألة المصرية وتدخل الدول

استرعت انتصارات الجيش المصري انظار الدول الاوروبية، وفتحت باب المسالة المصرية على مصراعيه.

ان المسألة السياسية العالمية المعروفة بالمسألة المصرية بدأت تظهر – في تاريخ مصر الحديث منذ الحملة الفرنسية، فمن ذلك العهد اتجهت المطامع السياسية الدولية الى مصر، وتعددت المنازع في شأن مصيرها، فالحملة الفرنسية كانت صراعا بين فرنسا

وانجلترا على فتح مصر واستعمارها، فلما جر نابليون حملته على مصر تحول الى صراع سياسي، واخذت مطامع انجلترا تتجه نحو فتح مصر والسيطرة السياسية عليها، وان انجلترا لم تحارب فرنسا لاجلائها عن مصر، بل لتحل فيها محلها ولكي تحقق مطامعها الاستعمارية في وادي النيل[57].

واستمرت المسالة المصرية مثارا للمطامع الانجليزية منذ اسس محمد علي الدولة المصرية الحديثة، فلما اشتبكت مصر وتركيا في الحرب السورية اقترنت المسالة المصرية بالمسالة الشرقية، فاشتدت المنازعات الدولية بشانها وانبعثت المطامع القديمة التي كانت تسعى لها كل دولة حيال السلطنة العثمانينة.

نظرت روسيا بعين الخوف والوجل الى تقدم الجيش المصري واقترابه من عاصمة تركيا، وخشيت اذا أطرد هذا التقدم ان يستولي محمد علي باشا على عرش السلطنة ويمد نفوذ الدولة المصرية الى ضفاف البوسفور والدردنيل والبحر الاسود فيؤسس دولة قوية تقوم على انقاض السلطنة العثمانية المتداعية الاركان المختلة النظام، وليس مما يوافق سياسة روسيا ان يقع هذا الانقلاب لانه يحول دون تحقيق اطماعها في الوصول الى البواغيز والبحر الابيض المتوسط، فبادرت الى التدخل لمعاونة تركيا، واوفدت الجنرال مورافييف الى السلطان محمود ليعرض عليه استعدادها للدفاع بقواتها البرية والبحرية عن السلطنة العثمانية، ومعنى هذا الدفاع من روسيا بسط حمايتها الفعلية على تركيا، فهال فرنسا وانجلترا امر هذا التدخل وخشيتا على سياستهما ومصالحهما ان تستهدف للخطر اذا بسطت الروسيا حمايتها او نفوذها في تركيا، واتقاء لهذا الخطر بذلتا جهودهما لوقف تقدم الجيش المصري حتى لا تجد الروسيا مسوغا لحماية تركيا.

كما استخدمت فرنسا علاقاتها الودية مع مصر لاقناع محمد علي بتسوية الخلاف بينه وبين السلطان، واوفدت الى الاستانة الاميرال روسان سفيرا لها لفض الخلاف بين تركيا ومصر ومنع التدخل الروسي.

وبذلك صارت مصر قبلة انظار الدول الاوروبية، لاقناع محمد علي باشا بتسوية

(57) انظر الجزء الأول من «تاريخ الحركة القومية» ص63 والجزء الثاني ص218و 234 (الطبعة الأولى).

الخلاف مع تركيا حتى لا يؤدي تدخل الروسيا الى ازمة اوروبية قد تنتهي بتحكيم السيف بينهن.

فعلى خطة مصر في ذلك الحين كان يتوقف التوازن الاوروبي، لذا وفدت رسل التفاهم على محمد علي باشا من كل صوب.

فجاء الجنرال مورافييف الى الاسكندرية، وقابله وعرض عليه الوساطة بينه وبين السلطان، فاكرم محمد علي وفادته واحسن لقاءه، ولكن تمسك بوجهة نظره.

كما ارسل السلطان بايعاز من السفارة الفرنسية مندوبا عنه وهو خليل باشا ليفاوض محمد علي في حسم الخلاف وديا، كما طلب الاميرال روسان من محمد علي الا يشتط في طلباته، وان يكتفي من فتوحه بولايات صيدا (عكا) وطرابلس والقدس ونابلس.

فرفض هذه الشروط واصر على ضم سورية وولاية ادنه الى مصر، وقد اصر على الاحتفاظ باقليم ادنه وهو من صميم الاناضول لما اشتهر عنه من كثرة مناجمه ووفرة اخشابه، ولانه ينتهي بجبال طوروس التي اراد محمد علي جعلها الحد الفاصل بين مصر وتركيا، أما تركيا فقد ازداد خضوعها لروسيا ورضيت ان تحميها بقواتها البحرية والبرية، فجاء اسطول روسي ورسا في مياه البوسفور.

وقد رأى محمد علي باشا ان الدول انما تسعى الى هضم حقوق مصر ارضاء لتركيا، فوقف تجاهها موقفا مشرفا تمسك فيه بحقوق مصر، وبعث في هذا الصدد برسائل عدة تدل على قوة يقينه ومضاء عزيمته، واهمها الخطاب الذي ارسله الى الاميرال روسان سفير فرنسان في الاستانة بتاريخ 8 مارس سنة 1833 ردا على رسالته اليه، قال فيه:

«تلقيت رسالتكم المؤرخة 22 فبراير التي تسلمتها من ياوركم والتي تعترضون فيها علي وتعلنوني بأن لا حق لي في المطالبة بما عدا بلاد عكا والقدس ونابلس وطرابلس الشام، وان الواجب علي أن أسحب جيشي فورا، وتنذروني باني في حالة الرفض استهدف لاخطر العواقب، وقد اضاف ياوركم شفويا بناء على تعليماتي باني اذا بقيت متمسكا بمطالبي فسيجئ الاسطول الانجليزي والروسي الى سواحل مصر.

«على اني يا جناب السفير اتساءل باي حق تطلبون مني هذه التضحية؟ ان امتى باجمعها

تؤيدني في موقفي، وان في استطاعي بكلمة مني ان احرض شعوب الروملي والاناضول على الثورة فيلبوا ندائي، ويمكنني بتأييد امتى ان افعل اكثر من ذلك، لقد امتدت سيطرتي على اقطار عدة، والنصر حليفي في كل الميادين، ومع ان الراي العام يؤيدني في امتلاك سورية باكملها فاني قد وقفت زحف جنودي رغبة مني في حقن الدماء ولكي يتسع الوقت امامي لاتعرف ميول الدولة الاوروبية، ومقابل هذا الاعتدال وحسن النية وتلك التضحيات العديدة التي بذلتها امتي، والتي نلت الانتصارات الباهرة بفضلها وبفضل تأييدها لي، تطلبون من ان اتخلى عن البلاد التي فتحتها وان انسحب بجنودي الى منطقة صغيرة تسمونها ولاية! اليس في هذا حكم علي بالاعدام السياسي؟

«على أن لي ملء الثقة الا تأبى فرنسا وانجلترا الاعتراف بحقوقي ومعاملتي بالانصاف فان ذلك مرتبط بشرفها، واذا خاب املي فليس امامي الا ان اذعن لقضاء الله، وهنالك اوثر الموت الشريف على احتمال الذل والعار، وسأبذل نفسي بكل ابتهاج فداءا لقضية امتي، مغتبطا بخدمة بلادي حتى آخر نسمة من حياتي، ذلك ما صممت عزمي عليه، وقد روى التاريخ امثلة عديدة لمثل هذا الاخلاص، ومهما يكن ما صممت عزمي عليه، وقد روى التاريخ أمثلة عديدة لمثل هذا الاخلاص، ومعما يكن فان لي وطيد الامل في انكم ستقدرون عدالة مطالبي وتزيدون اقتراحي الاخيرة التي قدمتها الى خليل باشا، وفي انتظار تحقيق هذا الامل قد كتبت لكم هذا الخطاب الودي الذي تسلمه مني ياوركم يدا بيد»[58].

الاسكندرية في 8 مارس سنة 1833

محمد علي والي مصر

احتلال كوتاهية ومغنيسيا واقامة الحكم المصري في أزمير

وفي غضون ذلك تقدم ابراهيم باشا بجيشه فاحتل كوتاهية وصار على مسافة خمسين

(58) كادلفين وبارو ص375.

فرسخا من الاستانة، ثم انفذ كتيبة من الجنود احتلت مغنيسيا بالقرب من ازمير، وأنفذ رسولا الى ازمير ليقيم الحكم المصري بها، وقد وصل الرسول اليها ولم يلق بها مقاومة، وعزل حاكم المدينة طاهر باشا واقام بدلا منه احد اعيانها منصور زاده (فبراير سنة 1833)، ورحبت المدينة بهذا الانقلاب، ولكن الاميرال روسان سفير فرنسا في الاستانة تدخل في الامر حتى لا يستفحل النزاع و تتخذ الروسيا احتلال ازمير ذريعة الى حماية تركيا، فارسل الى ابراهيم باشا يعترض على ما فعله رسوله في ازمير وينذره بقطع العلاقات ، فلم يسع ابراهيم باشا الا الاجابة بانه لا يقصد احتلال ازمير، وبذلك انتهى الخلاف وعاد الحاكم القديم الى منصبه (مارس سنة 1833).

اتفاق كوتاهيه

(أبريل – مايو سنة 1833)

بذلت فرنسا جهدها لحسم الخلاف بين محمد علي وتركيا، وجددت مساعيها بين الفريقين، وكان ابراهيم باشا يتهدد تركيا بالزحف على الاستانة اذا لم تجب مطالبه، فاضطر الباب العالي الى الاذعان وارسل الى كوتاهية، حيث كان ابراهيم باشا يقيم بها، مندوبا عنه يدعى رشيد بك[59] يصحبه البارون دي فارين سكرتير السفارة الفرنسية ليقوم بالوساطة بين الطرفين. وبعد مفاوضة دامت اربعة أيام تم الاتفاق على الصلح في 8 أبريل سنة 1833، وهو المعروف باتفاق كوتاهية، ويقضي بأن يتخلى السلطان لمحمد علي عن سورية واقليم ادنه، مع تثبيته على مصر وجزيرة كريت والحجاز مقابل ان يجلو الجيش المصري عن باقي بلاد الاناضول.

وقد صدرت التوجيهات السلطانية بمضمون هذا الصلح، وارسل الصدر الاعظم

(59) هو الذي صار فما بعد الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا صاحب الإصلاحات المشهورة في عهد السلطان عبد المجيد.

الى محمد علي وثيقة مكتوبة[60] بفحوى هذه التوجيهات، وفيها اسناد ولاية سورية اليه والحاقها بولاية مصر وكريت.

ولكن هذا التوجيهات كان ينقصها اقليم ادنة، فبان من ذلك ان الباب العالي اراد الرجوع عن اتفاق كوتاهية بالنسبة لهذا الاقليم، وقد بقيت المسالة موضع خلاف بين الطرفين ووقف ابراهيم باشا جلاء الجيش حتى ينفذ الباب العالي ما تم الاتفاق عليه، فلم يسع السلطان الا ان يسلم بالتنازل عن ادنه، واصدر فرمانا في 6 مايو سنة 1833 بمضمون الاتفاق بتمامه، اعلن فيه تثبيت محمد علي باشا على مصر وكريت واسناد ولايات سورية اليه، وتجديد ولاية ابراهيم باشا على جدة مع مشيخة الحرم المكي، اي اسناد ادارة الحجاز الى عهدته، وتخويله ادارة اقليم ادنه [61].

وبمقتضى اتفاق كوتاهية صارت حدود مصر الشمالية تنتهي عند مضيق كولك بجبال طوروس، ويسمى بوغاز كولك تبعا التسمية التركية المضايق بالبواغيز.

وبذلك انتهت الحرب السورية بتوسيع نطاق الدولة المصرية وبسط نفوذها على سورية وادنه وتأييد سلطنها على كريت وجزيرة العرب.

ولا يغرب عن البال ان السلطان لم يقبل اتفاق كوتاهية الا مرغما، وكان يضمر نقضه اذا تهيأت له الفرصة في المستقبل، يدلك على ذلك انه لم يكد يقر صلح كوتاهية حتى عقد سرا مع الروسيا المعاهدة المعروفة بمعاهدة هنكار اسكله سي (8 يوليو 1833) وهي معاهدة دفاعية هجومية التزمت كل دولة بمقتضاها ان تساعد الدولة الاخرى اذا استهدفت لخطر خارجي او داخلي، وتعهدت تركيا بان تأذن للأسطول الروسي بالمرور من البحر الاسود الى البحر الابيض المتوسط، وتسد البواغيز في وجه جميع السفن التابعة

(60) منشورة صورتها الفوتوغرافية بالفة التركية في كتاب (خلاصة الوثائق التركية في مصر) للمسيو جان ديني Deny لوحة نمرة 23.

(61) في الفرمان أنه خول تحصيل أموال الجباية فيها، ومعنى هذا إدارة الولاية فعلا كما يستفاد من المخابرات الدولية التي تبودلت في هذا الصدد، فقد أورد البارون دي تستا في كتابه (مجموعة معاهدات الباب العالي ج2 ص377) رسالة المستر ماندفيل سفير انجلترا في الاستانة إلأى اللورد بالمرستون وزير خارجيتها بتاريخ 4 مايو سنة 1833 ينبئه فيها «بأن السلطان خول إبراهيم باشا إدارة ولاية ادنه بإسناد «تحصيل أموال الجباية فيها إلى عهدته»، وكذلك رسالة إبراهيم باشا إلى السلطان يشكره فيها على إسناد حكومة أدنه إليه، ولذلك كان الحكم المصري في إقليم أدنه ل يختلف في حدوده ومظاهره عن مثيله في الأقاليم السورية.

للدول الاخرى، ومؤدى هذه المعاهدة تخويل روسيا مد يدها في شئون تركيا وبسط حمايتها الفعلية عليها ، وهذه المعاهدة لم يبرمها السلطان على ما فيها من مهانة الا ليسعى في نقض اتفاق كوتاهية، لان تركيا لم تكن مهددة في ذلك الوقت بخطر خارجي او داخلي الا من ناحية مصر. فابرام معاهدة (هنكار اسكله سي) غداة اتفاق كوتاهية معناه ان تركيا لم تكن خالصة النية في ابرام هذا الاتفاق ولا في اقراره.

الحكم المصري في سورية

دخلت الشام في حكم الدولة المصرية بعد صلح كوتاهية الذي توج انتصارات الجيش المصري، واصبحت مصر المرجع الاعلى لحكومة الشام، وصار ابراهيم باشا حاكما عاما للبلاد السورية وقائدا للجيش المصري.

نظام الحكم المصري فيها

واخذ ابراهيم باشا في تنظيم سورية وتدبير امورها الادارية والسياسية والحربية، فعنى باقرار الامن والنظام في ربوعها، وامن الطرق، ومنع اعتداء البدو على غلات الاهالي واملاكهم وارواحهم.

اهتم إبراهيم باشا بتأمين حدودها الشمالية وتحصين مضايق جبال طوروس لصد هجوم الترك اذا حدثتهم انفسهم بالزحف على الشام، ورمم حصون عكا وأسوارها، وشيد الثكنات والمستشفيات، وخطط الطرق الحربية، واستقرت الحاميات المصرية في اهم المدن السورية.

وبلغ عدد الجيش المرابط في سورية نحو سبعين الف مقاتل رابط معظمه في الجهات الشمالية القريبة من الحدود التركية.

واتخذ ابراهيم باشا مقره العام في انطاكية لموقعها الحربي وقربها من التخوم الشمالية

وعين محمد شريف بك (باشا) [62] حاكما عاما على سورية سنة 1832[63] ولقب حكمدار عربستان، وظل في معظم سنوات الحكم المصري يتولى ادارة الايالات السورية جميعا.

وجعل سليمان باشا الفرنساوي على ايالة صيدا (عكا)، وعين اسماعيل بك سنة 1837 حاكما لولاية حلب، وعين محمود نامي بك احد خريجي البعثات المصرية محافظا لبيروت وبقى في هذا المنصب من سنة 1833 الى سنة 1840.

وجعل على ادارة الشئون المالية حنا بك بحري احد اعيان السوريين، فصار صاحب النفوذ الاكبر في ادارة شئون الحكومة واحوالها، وقد ذكر المسيو جومار ان تعيين احد السوريين الاكفاء في هذا المنصب دليل على رغبة ابراهيم باشا في اسناد كبار المناصب الى ابناء البلاد، وهو ما لم يكن مالوفا في عهد الادارة التركية، وقال الدكتور مشاقة[64]، وهو معاصر للحكم المصري:

«لم يمض على حصار عكا زمان حتى ارسل محمد علي تفويضا الى حنا البحري في سن النظم لحكومة سورية على النمط الحديث، وكان حنا البحري على جانب عظيم من اصالة الراي، وله القدح المعلي في السياسة المدنية، وكان العدل والانصاف شانه والنزاهة زمامه، لا فرق عنده بين القوى المثري والضعيف الفقير او المسلم والذمي، وكان يعاملهم بالقسط والعدل حسب وصية محمد علي باشا الذي كان عارفا ان لا قيام للدولة الا بالعدل والانصاف».

وعين ابراهيم باشا لكل بلد متسلما اي حاكما يتولى ادارتها.

والف في كل مدينة يزيد عدد سكانها على عشرين الف نسمة مجلسا يسمى (ديوان المشورة) يتراوح عدد اعضائه بين 12 و21 عضوا ينتخبون من بين نبهاء (أعيان) البلد وتجارها، وتنظر هذه المجالس في مصالح كل بلدة ومطلوبات الميري واليها ترفع بعض

(62) هو الذي صار وزير مالية مصر في أواخر عهد محمد علي، وهو غير شريف باشا الكبير رئيس الوزارة في عهد توفيق باشا وصاحب المواقف المشهودة في التمسك بالسودان.

(63) العدد 455 من (الوقائع المصرية) الصادر في 24 جمادي الثانية سنة 248 (نوفمبر سنة 1832).

(64) في كتابه (مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان) ص102.

الدعاوى للفصل فيها.

ووحد الادارة ووطد سلطة الحكومة المركزية، وابطل سلطة الامراء والرؤساء الاقطاعيين وخضد شوكتهم، وضرب على ايدي الاشقياء وقطاع الطرق وبسط رواق الامن في البلاد، ونظم طرق الجباية، وعامل الاهلين بالعدل والمساواة من غير تفريق بين الطبقات والمذاهب والاديان.

ونشطت التجارة والزراعة في عهد الحكم المصري، فعمم ابراهيم باشا تربية دود القز (الحرير)، واكثر من غرس اشجار التوت لهذا الغرض، وغرس في ضواحي انطاكية اشجار الزيتون، وازدهرت زراعة العنب، وعنى باستخراج بعض المعادن ولاسيما الفحم الحجري في لبنان، وراجت التجارة واتسع نطاقها، وكثرت المعاملات بين سورية والبلاد الاوربية.

وقد كان دخل الولايات السورية اقل من الخراج اي ان غلاتها تقل عن نفقاتها، وخاصة لما يقتضيه الانفاق على الجيش الموزع على المدن من المال، فكانت الخزانة المصرية توازن بينها فتسد عجز الميزانية وتحتمل مصر هذا الغرم في مالها.

كانت الادارة المصرية في سورية رغم ما بها من عيوب اصلح من الحكم التركي السابق، وحسب هذه الادارة فضلا انها اقرت الامن في البلاد واستنقذتها من الفوضى.

ويكفيك لتحقق مبلغ تقدم الادارة السورية في ظل الحكم المصري ان تقرأ ما كتبه مؤرخو سورية في هذا الصدد.

قال الاستاذ محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق[65] خلال كلامه عن الحكم المصري:

«كان من اول اعمال ابراهيم باشا الجليلة في بلاد الشام ترتيب المجالس الملكية والعسكرية واقامة مجالس الشورى وغيرها من النظم الحديثة، وترتيب المالية، فجعل نظاما لجباية الخراج ومعاملة الرعايا بالمساواة والعدل، لا تفاوت في طبقاتهم ومذاهبهم، ولذلك لم يلبث الامراء والمشايخ وارباب النفوذ ان استثقلوا ظل الدولة المصرية. وتمنوا

(65) في كتابه خطط الشام ج3 ص57.

رجوع العثمانيين ليعيشوا معهم كالحلمة الطفيلية تمتص دماء الضعفاء، وينالهم من ذلك مصة الوشل، مع ان البلاد رات في ايام ابراهيم باشا ابطال المصادرات وتقرير حق التملك، وتوطد الامن في ربوعها، واحييت الزراعة والتجارة والصناعة، وعممت تربية دودة القز (الحرير)، واستخرجت بعض المعادن ولاسيما معدن الفحم الحجري في قرنايل (لبنان).

«ويقال على الجملة ان الناس حمدوا دولة محمد علي في الشام، ولم يتبرموا بها لو لم يقم ابنه ابراهيم باشا بايعاز ابيه بتجنيد الشبان ولو لم يثقل كاهل الاهلين بالضرائب، فان هذا مما نفرت منه بعض القلوب ولاسيما من كان يقع عليهم عبء معظمها مثل اهل حلب واهل دمشق».

وقال الدكتور اسد رستم احد اساتذة التاريخ بجامعة بيروت الامريكية لمناسبة الكلام عن محمود نامي بك محافظ بيروت في عهد ابراهيم باشا:

«لما عزم عزيز مصر على ارسال بعض ضباط بحريته الى فرنسا وانجلترا لاتمام علومهم وممارسة الفنون الحربية انتخب حسن افندي الاسكندراني وشنان افندي والامير محمود نامي وارسلهم الى فرنسا، فتلقى محمود علومه العالية وتخصص في الرياضيات، ولما رجع من فرنسا ، عينه محمد علي باشا محافظا لبيروت، وابقاه في هذا المنصب سبع سنوات (1833-1840) تنشقت بيروت في خلالها نسيما منعشا من الغرب المتمدن، فاستيقظت من سبات العصور الوسطى، وخطت خطوتها الاولى في سبيل رقيها الحديث، وكان محمد علي باشا وابنه ابراهيم وعامله الامير محمود نامي لبيروت اول العثمانيين الذين اخذوا الافكار الحديثة فيما يتعلق بالحكومة والادارة وهم اول من وضعها، وضع الاجراء والتنفيذ، نعم ان سلطتهم في بيروت كان مطلقة، ولكنهم احكموا التدبير واحجموا عن الحكم الاستبدادي فشكلوا في هذه المدينة من سكانها مجالس تباحثوا مع اعضائها في جميع اعمالهم المتعلقة فكان هناك مجلس للمشورة يدعى مجلس شورى بيروت وديوان للصحة واخر للتجارة[66]».

(66) مجلة الكلية (التي تصدر عن جامعة بيروت) مجلد 13 ص130.

وقال سليمان بك ابو عز الدين احد ادباء سورية[67]:

«على انه لا يسع المنصف الا الاعتراف بان المبادئ التي شاء محمد علي ان يؤسس عليها الادارة والقضاء في سوريا كانت صحيحة بوجه عام، لأنها كانت ترمي الى تنظيم الاعمال وتوزيع الاختصاص بين هيئات مختلفة ومنع الاستبداد بتقييد الحكام وغيرهم من الموظفين بالنصوص القانونية، وتدريب الاهلين على ادارة شئونهم المحلية، غير ان جهل الحكام كيفية تطبيق القوانين وفطرتهم الاستبدادية وعدم وجود مراقبة فعالة على اعمالهم وعدم مراعاة تقاليد البلاد وعادتها وكثرة الاضطرابات في البلاد حالت دون بلوغ الغاية التي وضعت تلك القوانين من اجلها، ولإبراهيم باشا فضل خاص في السنين الاولى بعد الفتح في ضبط الاحكام وشدة مراقبة الحكام واجراء العدل بين الاهلين، وقد كان شديد الوطأة على المستخدمين الذين يحيدون عن السبيل القويم، فعاقب كثيرين منهم بالطرد والضرب والحبس للاعتداء على اهل البلاد او عدم النزاهة او غير ذلك مما يخرج عن جادة الاستقامة، فلو استمرت حكومة محمد علي في سوريا ناهجة هذا المنهج القويم الحكيم لملكت قلوب السوريين» [68].

وقال في موضع آخر: «من التغييرات الاجتماعية التي نشأت عن حكم محمد علي في سوريا اطلاق الحرية الدينية، ونشر روح الديمقراطية بالضرب على ايدي الزعماء والمتغلبين، ونزع السلطة من ايديهم، وانشاء العلاقة ما بين افراد الشعب وحكامه مباشرة، وتأليف مجالس مشورة تمثل الشعب بعض التمثيل ولها حق النظر في الشئون المحلية بعد ان كان النظر في جميع الشئون منوطا بحكام مستبدين».

هذا، وقد زار المارشال مارمون (الدوق دي راجوز)، سورية سنة 1834 فأجاب بما رآه من اقرار السكينة والامن فيها، وكتب في رحلته يقول:

«اذا بقيت اعمال محمد علي وبقى الامن الذي بسطه فيما فتحه من البلاد كما صار اليه الان من الاستقرار الذي يدعو الى الاعجاب فان هذه البلاد سينبه شانها وستتطور

(67) في كتابه (إبراهيم باشا في سوريا).

(68) (كتاب إبراهيم باشا في سوريا) لسليمان بك أبو عز الدين ص139.

تطورا كبيرا» [69].

ويقول المسيو لويس بلان المؤرخ الفرنسي في كتابه (تاريخ عشر سنوات):

«إذا اردنا ان نعرف ما افادته سورية من انتقالها من الحكم التركي الى حكم المصريين فما علينا الا ان نلقي نظرة على سهول انطاكية التي اكتست بأشجار الزيتون وضواحي بيروت التي كثر فيها الكروم، والنشاط الذي انبعث في حلب ودمشق، صحيح ان محمد علي اظهر جنفا وقسوة في حكم سورية، ولكن في ظل هذا الاستبداد العارض الذي كان ضرورة ولزاما حيث سادت الفوضى في تلك البلاد، قد نالت سورية النظام والعمران». [70]

الثورات في الشام

لكن الادارة المصرية في سورية لم تلبث ان اصطدمت بثورات محلية نشبت في مختلف الجهات ورزأت مصر بضحايا كثيرة، وحملتها متاعب وجهودا كثيرة لإخمادها.

فلنتكلم عن اسباب هذا الثورات.

وعد ابراهيم باشا السوريين بان يعفيهم من التجنيد ويخفض الضرائب ولا يكلفهم الا دفع الاموال الاميرية، وقد بر بوعده في السنوات الاولى من حكمه، فخفف عنهم بعض الاعباء المالية، واخذ في تنشيط الزراعة والتجارة، فشعر السوريين بالاطمئنان الى الحكم المصري وركنوا اليه.

ولكن هذه الحالة ما لبثت ان تبدلت لما اصدره محمد علي باشا الى ابنه في اواخر سنة 1833 واوائل سنة 1834 من الاوامر التي اثقلت كاهل الاهلين بأعباء فادحة وهي: أولا: احتكار الحرير في البلاد السورية. ثانيا: اخذ ضريبة الرؤوس من الرجال كافة على

(69) رحلة المارشال الدوق دي راجوز ج3 ص28.

(70) تاريخ عشر سنوات الجزء الخامس 421.

اختلاف مذاهبهم. ثالثا: تجنيد الاهالي. رابعا: نزع السلاح من ايديهم.

وقد تبرم الاهالي بهذه المحدثات وتذمروا منها، لان احتكار الحكومة للحرير من شانه الحاق الضرر بمنتجيه ومنع تنافس التجار على شرائه وحرمان المنتجين مكاسبهم منه.

وقد نفروا كذلك من ضريبة الرؤوس وخاصة المسلمين لانهم ما كانوا ملزمين بها من قبل، وزاد في تذمرهم تسخير الحكومة للأهالي في الاعمال العامة.

وكانت التجنيد ونزع السلاح اهم الاسباب المباشرة التي افضت الى الثورة، فقد نفذ التجنيد بطريقة قاسية تثير الخواطر، وكان كثير من المجندين يرسلون الى جهات لا يقع على اهلهم شيء من اخبارهم فيها، وجاء نزع السلاح ثالثة الاثافي، لان معظم الاهالي كانوا يحملون السلاح ليدفعوا به سطوات البدو والرحل وعدوانهم، فانتزاع السلاح من ايديهم امر لا تقبله نفوسهم عن طاعة واختيار، ومن هنا نشات الثورات والفتن.

وقد كان للدسائس التركية والانجليزية عمل كبير في تحريك تلك الثورات، فان الترك والانجليز ما فتئوا يستفزون السوريين الى الثورة ويوزعون عليهم الاسلحة ويحرضونهم على القتال ويستميلون اليهم رؤساء العشائر والعصبيات، تارة بالمال وطورا بالوعود، حتى افلحوا في تهيئة البلاد للثورة، كما انه ابطل سلطة الاقطاعيين وضرب على ايدي الاشقياء وقطاع الطرق الذين كانت لهم سطوة كبيرة في بعض البلاد، فؤلاء اولئك قد ساءهم انتزاع السلطة من ايديهم، فكانوا مدفوعين بالنوازع الشخصية لتحريض الاهلين على الثورة بالحكم المصري، قال الدكتور مشاقة في هذا الصدد خلال كلامه عن نظام الحكم المصري في سورية:

«هذا النظام وان يكن عادلا وشريفا قد كان باعثا قويا على كره الاعداء والمشايخ للمصريين حيث كف يدهم واوقف مطامعهم عند حد لا يمكن اجتيازه، وأمات استبدادهم بالشعب، وجعلهم امام الشريعة سواء لا امتياز ولا فرق بينهم وبين افراد الرعية، فحنقوا على الدولة المصرية وردوا ازالتها وارجاع الحكومة التركية[71]».

(71) مشهد العيان ص103.

وقائع الثورة
ثورة فلسطين

وصلت اوامر محمد علي بالمحدثات الجديدة الى ابراهيم باشا وكان في يافا ، فبادر من فوره الى اذاعتها بين القبائل وفي انحاء البلاد، فثقلت هذه الاوامر على الناس وطلبوا رفعها، فلم يجابوا الى طلبهم، فظهرت بوادر الاضطرابات في فلسطين.

ابتدأت الثورة على شواطئ نهر الاردن بالقرب من بيت المقدس في شهر ابريل سنة 1834، وتواطأت القبائل في هذه الجهات على الا يذعنوا لتلك الاوامر، وفي هذا اعلان للثورة.

فلما علم ابراهيم باشا بنبأ هذا العصيان سار بالجيش من يافا الى بيت المقدس، وكان لمبادرته تأثير كبير اضعف عزيمة الثوار، وهناك جمع نبهاء القوم واكابرهم (ابريل سنة 1834) فاستوضحهم مقصدهم، فأجابوه بانهم لا يعارضون في احتكار الحكومة للحرير، لكنهم يعارضون نزع السلاح وتجنيد الشبان في الجيش وأنهم لقاء ذلك يؤدون الضريبة ضعفين ويقدمون بعض اولاد المشايخ رهينة لضمان طاعتهم واخلاصهم، غير ان ابراهيم باشا ابى ان يتهاون في تنفيذ اوامر ابيه، فاستمهلوه مدة يراجعون قومهم وعشيرتهم، وانفض الاجتماع على غير طائل، وعاد ابراهيم باشا الى يافا ينتظر الجواب الاخير الذي وعد المجتمعون بإبلاغه اياه بعد مشاورة الاهالي، ولكي ينتظر ورود النجدات والتعليمات من مصر.

اخذت الثورة تستفحل، وخاصة لما ذاع بين الاهالي من ان تركيا تتأهب بجيش جديد لاسترجاع الشام من محمد علي، فجنح البدو الضاربون بجوار البحر الميت الى العصيان، وامتدت الثورة الى نابلس.

قمع العصيان

كان زعماء العصيان في تلك الجهات حاكم نابلس المسمى الشيخ قاسم الاحمد، وهو من رؤساء العشائر ذوي العصبيات القوية، وكان منهم زعيم آخر لا يقل عنه نفوذا ومكانة وهو أبو غوش صاحب قرية العنب الواقعة بين بيت المقدس ويافا.

هاجمت جماعة أبو غوش المخافر المصرية المعهود اليها تامين السبيل بين يافا وبيت المقدس من سطو قطاع الطرق، فقفلت الحامية راجعة الى يافا لقلة عددهم ازاء المهاجمين.

وكذلك هاجم العصاة حامية بيت المقدس، وكانت تبلغ الف مقاتل، فقتل منهم خمسون جنديا واضطر القائد الى الامتناع في قلعة المدينة حتى يأتيها المدد.

فلما علم ابراهيم باشا بهذه الواقعة انفذ الايا من الفرسان بقيادة الميرلاي حسن بك لنجدة الحامية وللتنكيل بقبيلة ابي غوش، ولكن النجدة المصرية لم تقو على مقاومة العصاة ورجعت مهزومة مضعضعة بعد ان قتل قائدها ونحو ثلاثين من جنودها، وتكاثر الثوار على القدس واقتحموا باب داود ودخلوا منه ، ووقع قتال شديد بينهم وبين الحامية المحصورة في القلعة، ونهبوا حوانيت المدينة وبعض بيوت لليهود، كذلك هاجم العصاة الخليل وقتلوا حاميتها وكان عددها 200 جندي.

فلما علم ابراهيم باشا باستفحال الثورة جمع جيشا من ستة آلاف جندي وسار من يافا في شهر يونية سنة 1834 . وزحف على معقل العصاة في قرية العنب التي امتنع بها جماعة ابي غوش، وكانت محصنة تحصينا منيعا، فحاصرها الجيش المصري واستمر القتال حولها ثلاثة أيام متوالية، وفي اليوم الثالث دخل المصريون القرية، فكان سقوطها في يدهم سببا في تشتيت العصاة، واحتل المصريون الطرق المفضية الى بيت المقدس وفرق الجيش جموع العصاة ودخل المدينة بعد ان فر كثير ممن انضموا الى الثوار.

على ان هذا القتال قد حمل الجيش خسائر جسيمة ومتاعب هائلة، فتحصن ابراهيم باشا في بيت المقدس.

وفي غضون ذلك عمل على التفريق بين القبائل، وافلح في استمالة بعض القبائل

فتفككت عراها، وعقد سليمان باشا الفرنساوي اتفاقا مع اولاد ابي غوش تعهدوا فيه ان يؤمنوه على اجتياز معاقلهم وان يوالوا الحكومة المصرية على ان تطلق سراح ابيهم الذي كان سجينا في عكا، وعلى العفو عنهم، وبذلك امنت الطريق بين يافا وبيت المقدس.

وفي اثناء ذلك عرض الشيخ قاسم حاكم نابلس على ابراهيم باشا ان يقدم طاعته على ان يعفي النابلسيون من الخدمة العسكرية، وجرت بينهما في هذا الصدد مفاوضات، فلما تم الاتفاق مع جماعة ابي غوش واستوثق ابراهيم باشا من ولائهم قطع تلك المفاوضات.

حضور محمد علي باشا

لما استفحل امر الثورة اعتزم محمد علي باشا المجيء الى فلسطين ليطمئن بنفسه على الموقف وليشرف على قمع العصيان، فحضر الى يافا يصحبه عدد كبير من الجند، وكان ابراهيم باشا وقتئذ في القدس، فذهب لاستقباله في يافا.

وكان العصيان قد امتد الى صفد، فقطع اهلها الطرق ونهبوا اليهود، فعهد محمد علي الى الامير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان، وكان على ولاء تام للحكومة المصرية، ان يخمد هذا العصيان ، فصار بالأمر وزحف على صفد وحاصرها وسلمت من غير قتال واعاد العصاة ما نهبوه من اليهود.

وقد بر ابراهيم باشا بوعده لآل ابي غوش فاطلق سراح زعيمهم وعين احد ابنائه متسلما (حاكما) للقدس.

اخماد الثورة

وجرد جيشا لمحاربة الشيخ قاسم حاكم نابلس، فدار قتال شديد بينهما انتهى بهزيمة الشيخ قاسم وفراره مع اتباعه الى الخليل.

وفي غضون ذلك عاد محمد علي باشا الى الاسكندرية بعد ان اطمأن من ناحية الجيش المصرية ومركزه، فوصل الى الاسكندرية في يوليه سنة 1834.

احتل الجيش المصري قرى نابلس: ثم تعقب الشيخ قاسم ورجاله الاشداء الى الخليل، وتطاحن الفريقان ثلاث ساعات انكسر بعدها الثوار، فدخل الجيش الخليل وانسحب المنهزمون الى الكرك وفر الشيخ قاسم ومن معه من زعماء العصيان الى البادية، ونزلوا على عرب عنزة، ولكن ابراهيم باشا تعقبهم وما زال بهم حتى اخذهم جميعا وقتلهم، وبذلك تم اخماد الثورة في فلسطين، واذعنت القبائل لسطوة ابراهيم باشا وشدة بأسه.

اضطرابات اخرى

وقد هاجت الخواطر في دمشق لما اوقع التجنيد من الحزن في نفوس اهالي المجندين، وفر عدد كبير من الناس الى البادية والى الجبال، وخشى شريف باشا والى ايالات الشام ان يعم الهياج، وخاصة بعد ورود انباء ثورة فلسطين، وفكف عن التجنيد ، لكنه جمع السلاح من ايدي الاهالي.

وكذلك وقعت اضطرابات في طرابلس سنة 1824 وائتمر الاهلون بالحامية، فاضطرت ان تنسحب الى الميناء، فارسل ابراهيم باشا المدد الى طرابلس، وعاقب مثيري الفتنة بإعدام ثلاثة عشر منهم وثارت الفتن في عكار وصافيتا والحصن. فأخمدتها القوة المسلحة، ووقعت كذلك اضطرابات أقل شانا منها في حلب وانطاكية وبعلبك وبيروت.

ثورة النصيرية

وشهدت الثورة في بلاد النصيرية شرق اللاذقية في اكتوبر سنة 1834، وكانت اهم ثورة بعد ثورة فلسطين، وهاجم الثوار اللاذقية فأمدها ابراهيم باشا، وزحفت قواته على

بلاد النصيرية ونشبت معارك عدة بينها وبين الثوار انتهت بانتصار الجيش المصري ونزع السلاح من ايدي الثوار وتجنيد نحو اربعة آلاف من اهل تلك البلاد.

ثورة حوران

كان ابراهيم باشا قد اعفى دروز حوران من التجنيد، ثم تراءى له ان يطبق عليهم نظام التجنيد، وحجته انه في حاجة الى زيادة عدد الجيش استعدادا لمقاومة هجوم العثمانيين الذي جاءت الاخبار بقرب وقوعه.

فتمرد الدروز على طلب حكومة دمشق، وكان من ذلك نشوب ثورة خطيرة في حوران (نوفمبر سنة 1837) وهي اشد ثورة عاناها الحكم المصري في سورية.

ونشبت الحرب وكانت سجالا. الى ان انتهت بتسليم دروز (وادي التيم)، ثم تسليم شبلي العريان وانحصار الثورة في اللجاة ثم انتهت بإخماد ثورة اللجاة (أغسطس سنة 1838). وبذلك انتهت ثورة الدروز بعد ان استمرت تسعة اشهر تكبد فيها الجيش المصري خسائر فادحة، ولقى فيها الاهوال ما لم يلقه في اخماد الثورات السورية الاخرى.

غنى عن البيان انه كان في امكان مصر ان تتفادى هذه التضحيات الاليمة والخسائر الفادحة لو لم يتشدد محمد علي باشا في تجنيد السوريين ونزع اسلحتهم، على أنه يجب الا يغرب عن البال ما كان للدسائس الانجليزية والتركية من الاثر الكبير في تحريض السوريين على الثورة كما قدمنا، ولكن مما لا نزاع فيه ان هذه الدسائس ما كانت لتفلح لو لم تلجأ الحكومة المصرية الى اثارة الخواطر بنزع سلاح الاهلين وتجنيدهم جبرا، ومن جهة أخرى فان الحكومة المصرية رغبة منها في منع ورود الاسلحة الى البلاد امرت بمنع دخول السفن التركية الى الثغور السورية، وصدت ورود القوافل من جهات الاناضول، فأصاب التجارة من هذه وتلك ضرر كبير، وقد كان للدسائس الانجليزية وسوء الحالة الاقتصادية في اواخر عهد الادارة المصرية اثر كبير في الحرب السورية التي شبت بين مصر وتركيا وحلفائها عقب ابرام معاهدة لوندره، فان الجيش المصري قد لقى فيها من

مقاومة السوريين ما زاد مركزه جرحا كما سيجئ بيانه.

الحرب السورية الثانية وواقعة نصيبين

(24 يونية سنة 1839)

ما فتئت تركيا بعد هزيمتها في معركة قونية وابرامها اتفاق كوتاهية تعد المعدات وتبذل الوسائل لاسترجاع سورية واقليم ادنه الى حوزتها، فحشدت منذ سنة 1834 جيشا في سيواس تأهبا للزحف على سورية عند سنوح الفرصة، وعهدت بقيادته الى رشيد باشا قائد الجيش العثماني الذي اسر في واقعة قونيه، فاخذ يستعد للزحف آملا ان يظفر بالجيش المصري فيمحو ما لحقه من العار والهزيمة في واقعة قونية. فتصميم تركيا على القتال واعتزامها استرجاع سورية بدا عقب هزيمتها في قونية، ولم يؤخرها عن امتشاق الحسام حتى سنة 1839 الا شعورها بانها اضعف جندا من مصر، فأخذت تتحين الفرصة المناسبة للثأر. على انها ما فتئت طول هذه المدة تدس الدسائس لمصر في سورية وتحرض اهلها على الثورات وخلع ايديهم من الطاعة. ثم توفى رشيد باشا سنة 1836، فخلفه في قيادة الجيش العثماني محمد حافظ باشا احد قواد تركيا المشهورين في ذلك العصر. وفي خلال ذلك حدثت مفاوضات بين تركيا ومصر لتسوية الخلاف بينهما بطريقة ودية، فأوفد السلطان محمود سنة 1837 مندوبه (صارم أفندي) ليفاوض في ذلك محمد علي، لكن هذه المفاوضة اخفقت اذ لم يتفق الطرفان على شروط يقبلانها.

محمد علي واعلان الاستقلال

ولما اخفقت تلك المفاوضات ورأى محمد علي دسائس الاستانة تزداد في سورية اعتزم اعلان الاستقلال ليقطع اخر سبب يربط مصر وتركيا، واستدعى وكلاء الدول في مصر واعلنهم بعزمه هذا (مايو سنة 1837). وهذه هي المرة الثانية التي اعتزم فيها محمد

علي اعلان الاستقلال، فالمرة الاولى سنة 1834 عقب الحرب السورية الاولى اذ صارح وكلاء الدول بما صمم عليه، فرفضت الدول طلبه، وحذرته من العاقبة[72] ثم جدد عزمه سنة 1838[73] معتمدا على حق مصر، ولأن استقلالها هو خير ضمانة لاستتباب السلام في الشرق. وكان محمد علي يعتقد ان الدول لا تعارضه في اعلان الاستقلال اسوة بما فعلته حيال اليونان، اذ عضدتها في تحقيق استقلالها وانفصالها عن تركيا وتأييدها، لكن الدول الاوروبية اعترضت على ما عزم عليه محمد علي، وحذرته من جديد عواقب عمله، وبدا تحيزها لتركيا جليا، وظهر تحاملها على مصر، مما جرأ السلطان محمود على التحرش بمحمد علي، فادى ذلك الى وقوع الحرب السورية الثانية.

مقدمات الحرب السورية الثانية

كان سفير انجلترا في الاستانة (اللورد بونسونبي) يحرض الباب العالي على التشدد في شروطه، مما ادى الى اخفاق المفاوضة، وكانت انجلترا لا تفتأ تضع العراقيل امام سياسة محمد علي وتؤلب تركيا والدول الاوروبية على مصر. فمن ذلك انها توصلت في سنة 1839 الى عقد معاهدة تجارية مع تركيا، من شروطها الغاء الاحتكار في جميع انحاء السلطنة العثمانية، وكان المفهوم ان هذه المعاهدة تسري على مصر لأنها كانت الى ذلك الحين جزءا من السلطنة، وقد وافقت فرنسا على هذه المعاهدة (نوفمبر سنة 1838) لان ظاهرها يوافق المبادئ الانسانية، ولم يكن من سبيل الى رفض مثل هذه المعاهدة. وقد فطن محمد علي باشا الى ان المقصود من وضعها هو احراجه، فلم يعلن اعتراضه عليها ولا قبوله اياها، وتغيب عن مصر ذاهبا الى السودان في رحلة طويلة، واظهر انه ماض للبحث عن مناجم الذهب في فازوغلي وتنظيم حكومة السودان، ولكنه كان يقصد الغياب حتى لا يواجه طلبات وكلاء الدول. وكانت تركيا تزداد تحفزا لتجريد جيشها

(72) كادلفين وباور، سنتان من تاريخ الشرق ج1 ص22، ص46.
(73) كادلفين وباور، سنتان من تاريخ الشرق ج1 ص22، ص46.

على سورية، ولم يكن غرضها استرجاع سورية فحسب، بل كانت ترمي ان تستمر في زحفها حتى تغزو مصر، واخذت حركات الجيش العثماني تزداد نشاطا بالقرب من التخوم السورية. وفي غضون ذلك بذلت الدول الاوروبية مساعي عدة لحل الخلاف بالطرق الودية بين الدولتين (مصر وتركيا) فأخفقت في مساعيها لان انجلترا كانت من وراء تركيا تحرضها على القتال.

خطة الترك في الزحف على الشام

حصن المصريون مضيق كولك من مضايق جبال طوروس تحصينا منيعا كونه طريق الزحف على سوريا من ناحية الاناضول، فشيدوا فيه القلاع المحكمة، وركبوا فيها مدافع ضخمة، بلغ عددها 115 مدفعا. [74] واصبحت مواقع المصريين منيعة بحيث صار متعذرا ان يهاجمها الجيش التركي فاعتزم قائده حافظ باشا عدم اجتياز هذه المضايق والزحف على الشام من جهات اورفه وديار بكر، حيث لا تفصلها عن الشام جبال وعرة كجبال طوروس. فلما علم ابراهيم باشا بهذه الخطة حشد معظم جنوده حول مدينة حلب ليراقب حركات الجيش التركي ويصد هجماته من كل طريق يجئ منه، وكانت طلائعه ترابط في عينتاب وكليس القريبة من الحدود التركية.

عبور الترك نهر الفرات

ولما اتم حافظ باشا استعداده اعتزم عبور الفرات ليزحف على الشام، فعهد الى اسماعيل باشا احد قواده اجتياز هذا النهر عند بيرة جك[75] الى عدوته اليمنى، فانتقل اسماعيل باشا الى الشاطئ الايمن يوم 21 ابريل سنة 1839، ووصل هذا النبا الى ابراهيم باشا،

(74) إحصاء المسيو أوديفير في مباحثه عن (الحكم المصري في بلاد القرمان) التي نشرت بمجلة الشرق الفرنسية سنة 1868 ص590.

(75) وتسمى البير، وهي واقعة على الضفة اليسرى لنهر الفرات.

فأخذ يحشد جنوده في حلب ويزيد موقفه مناعة في المدينة وما حولها.

ارسال محمد علي المدد الى الشام

وكان محمد علي قد بلغه تقدم الجنود التركية نحو الحدود، فأمر بإرسال الجند الى الشام ومعهم الذخائر، وعهد الى وزير الحربية احمد باشا المنكلي ان يلحق ابراهيم باشا ليعاونه في الحرب المنتظرة، فكان سفر المنكلي باشا اعلانا بقرب وقوع القتال، وقد علم وكلاء الدول بعزم المنكلي باشا على السفر فتدخل قنصل فرنسا العام[76] لدى محمد علي لوقف سفر وزير الحربية حتى لا تستعر نار الحرب ثانية بين تركيا ومصر، فطلب اليه محمد علي ان تعطيه الدول موثقا الا يزحف الجيش التركي على الشام، وفي مقابل ذلك يمنع سفر وزير حربيته بل ويستقدم ابراهيم باشا ايضا، فضمن له القنصل الفرنسي ذلك، وارتكن على خطاب بهذا المعنى جاءه من سفير فرنسا بالاستانة، وكان الحديث بحضور قنصل النمسا، فالتفت اليه محمد علي يساله: أتؤيد الرسائل الواردة له من السفير النمساوي ما يقوله قنصل فرنسا؟ فأجاب بالنفي، فلم يسع محمد علي الا ان ينفذ وزير الحربية الى حلب.

(76) المسيو كوشليه.

حركات الجيش التركي قبيل واقعة نصيبين

احتشدت طلائع الجيش التركي في قرية نصيبين وحولها، وهي بلدة واقعة في الاراضي العثمانية ، لكنها على مسيرة ساعات قليلة من الحدود التركية السورية[77].

واخذ حافظ باشا يستعد للزحف، فاحتل طلائعه من القرى ما حول مدينة عينتاب وفي غضون ذلك كان ابراهيم باشا قد ارسل الي ابيه نبا تخطى الاتراك حدود الاتفاق وسأله ما يأمر به حيال هذا الاعتداء، وفي منتصف يونيه ورد جواب محمد علي باشا يعهد الى ابنه بالا يكتفي بارجاع الاتراك الى الحدود، بل عليه حربهم وسحق جيشهم ما داموا لم يراعوا العهود والمواثيق، فلما تلا ابراهيم باشا الجواب اطمأن اليه، فاصدر اوامره الى قواده بالاستعداد لمهاجمة الجيش التركي الذي احتشد في نصيبين.

قوات الطرفين

كان الجيش التركي يتألف من 38 الف مقاتل ويحتل مواقع حصينة، ولم يكن ينقصه

(77) تقع قرية نصيبين على الطريق الواصل بين بيرة جك والإسكندرية، وموقعها غربي بيرة جك القائمة على الضفة اليسرى لنهر الفرات، وهي غير (نصيبين) التي بالجزيرة.

= (هامش الطبعة الثالثة)- جرى نقاش حول اسم هذه الواقعة، هل هو (نصيبين) كما هو معروف ومشهور، أم هو (تزيب) كما تفش سنة 1948 على قاعدة تمثال إبراهيم باشا، لأجل أن نتبين وجه الحقيقة في هذه المسألة، يجب بداءة ذي بدء أن نتعرف موقع المعركة، فهي قد وقعت في قرية شمالي حلب على الطريق الواصل بين (بيرة جك) على نهر الفرات والإسكندرية على البحر الأبيض المتوسط انظر الخريطة. وهذه القرية بهذا التحديد هي (نصيبين) ووجه اللبس في هذا الصدد ان اسم نصيبين يطلق على بلدة مشهورة في الجزيرة فظن بعضهم أنها ليست البلدة التي وقعت فيها المعركة لأنها لم تقع حقا في الجزيرة ولكن هذا اللبس يزول إذا تحققنا أن هذا الاسم يطلق على ثلاثة بلدان كما جاء في (معجم البلدان) لياقوت الحمودي (جزء ثان من ص-92 294) فهو يقول تحت كلمة (نصيبين) أنها مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام وإنها أيضا قرية من قرى حلب وأنها أيضا مدينة على شاطئ الفرات تعرف بنصيبين الروم.

فالاسم الصحيح لهذه البلدان الثلاثة هو (نصيبين) ولا محل لأن نستبدل به اسم تزيب الذي هو اسم افرنجي أو تركي محرف عن نصيبين ولم يرد في أي معجم من المعاجم العربية ولا مبرر أن نترك الاسم الأصلي العربي إلى الاسم المحرف.

القواد الاكفاء لان فريقا من الضباط الالمان وعلى راسهم القائد الشهير البارون دي مولتك الذي انتصر فيما بعد على الفرنسيين في الحرب السبعينية كانوا يرافقون القواد الترك أما الجيش المصري فكان عدده اربعين الف مقاتل[78]، لكن الجيش المصري كان يفوق جيش الترك في النظام وبراعة القيادة، ودربه جنوده، ومعنوياتهم العالية.

واقعة نصيبين

(24 يونيه سنة 1839)

اعتزم ابراهيم باشا ان يتبع خطة الهجوم في واقعة نصيبين، فحشد الجيش مشاة وركبانا على ضفاف نهر الساجور الذي كان يفصل الحدود المصرية والتركية.

وتحرك يوم 20 يونيه سنة 1839 صوب قرية مزار ليتخذها قاعدة الهجوم.

وتقع هذه القرية جنوبي نصيبين بغرب، وهي على ساعتين من معسكر الجيش التركي (أنظر خريطة الواقعة ص 279).

لم يلق المصريون مقاومة تذكر في احتلال مزار فقد اخلتها الحامية التركية وانسحبت منها الى معسكر الجيش في نصيبين، ورتب ابراهيم باشا مواقع جيشه في ضواحي مزار بالعدوة اليسرى من النهر المسمى باسمها.

وفي اليوم التالي 21 يونيه استقر راي ابراهيم باشا على اكتشاف مواقع الاتراك اولا لمعرفة الجهة الضعيفة فيهاجمهم فيها، فسار بصحبة سليمان باشا لارتياد هذا الاكتشاف ومعهما قوة مؤلفة من الف وخمسمائة من العرب واربعة الايات من الفرسان وبطاريتان من المدافع[79]، واقتربوا من مواقع الاتراك، فرأى ان خير وسيلة يتبعها هي الدوران حول مواقع الترك ليهاجمهم من الخلف.

وغداة هذا اليوم 22 يونيه شرع ابراهيم باشا ينفذ هذه الخطة واخذ ينسحب من

(78) إحصاء كادلفين وبارو في كتابهما (سنتان من تاريخ الشرق) ج1 ص259.

(79) إحصاء كادلفين وبارو في كتابهما (سنتان من تاريخ الشرق) جي1 ص247.

مواقعه الاولى استعدادا لحركة الالتفاف.

انفذ ابراهيم باشا حركة الالتفاف، فترك مواقعه الاولى، وسار مشرقا ، محاذيا نهر مزار ثم نهر كرزين[80] بعد ان يلتقي هو ونهر مزار، ثم انعطف شمالا حتى بلغ الطريق الموصل من حلب الى بيرة جك والمفضي الى ما وراء مواقع العدو في نصيبين، وفي ليلة 24 يونيه سنة 1839 هاجم حافظ باشا المصريين في جنح الليل املا ان ياخذهم على غرة ويوقع الفشل في صفوفهم، ولكنه ارتد بعد ان فتكت نيران المدافع المصرية بعدد كبير من جنوده، واستمر ابراهيم باشا تلك الليلة يتاهب لمهاجمة الاتراك في صبيحة الغد.

الواقعة

في صبيحة يوم، 24 يونيه، بدأت المعركة طبقا لخطة الهجوم التي رسمها ابراهيم باشا، وكان الجناح الايمن للجيش التركي يرتكز على اخوار عميقة لا سبيل الى اجتيازها، والقلب تحميه الاستحكامات التي اقامها الترك، اما الجناح الايسر فكان يمتد الى نصيبين ويتجاوزها قليلا مرتكزا الى غابة من اشجار الزيتون، فرأى ابراهيم باشا ان نقطة الضعف انما هي في هذه الناحية، فقرر مهاجمة الجناح الايسر، وامر يتقدم الصفوف المصرية لإنفاذ هذه الخطة.

ومما دل على براعة ابراهيم باشا في وضع الخطط الحربية انه رأى اكمة عالية تجاه مسيرة الاتراك وقد اهملوا احتلالها، فامر لفوره سليمان باشا الفرنساوي الذي كان على ميمنة الجيش المصري باحتلال تلك الاكمة، فبادرها ومعه فريق من الفرسان والمدفعية ونصبوا عليها المدافع، فانكشفت أمام نيرانها مواقع الترك، وكانت هذه الحركة مفتاح النصر في واقعة نصيبين.

وفي غضون ذلك وردت الذخائر للمدفعية، فصبت نيرانها على الترك، واشترك المشاة والفرسان والمدفعية في الضرب، الى ان تزلزلت صفوف الجيش التركي والتوت امام

(80) نهر كرزين هو نهير يصب في الفرات وتقع نصيبين على ضفته اليسرى.

هجمات المصريين، وظهر الضعف في اطلاق مدافعهم، فاخذ الاكراد يفرون متقهقرين ، فشدد ابراهيم باشا الهجوم على الميسرة، فلم يقو الترك على صد هذا الهجوم، ولجأوا الى الفرار تاركين بنادقهم وذخيرتهم، فاحتل الجيش المصري مواقعهم، وغنم جميع مدافعهم وذخائرهم وخيامهم وكل ما فيها من العتاد والميرة اذ لم يتمكن الترك من حمل شئ منها اثناء هزيمتهم، حتى ان حافظ باشا ترك خيمته المزخرفة، وفيها اوراقه واوسمته، فكانت معركة نصيبين نصرا مبينا للجيش المصري.

نتائج الواقعة

بلغت خسائر الترك في معركة نصيبين نحو اربعة آلاف قتيل وجريح، وكان من قتلاهم بعض القواد والضباط، واسر منهم بين اثنين عشر الف الى خمسة عشر الف اسير، واستولى المصريون على نحو عشرين الف بندقية و44 مدفعا، واستولوا في اليوم التالي على 30 مدفعا في حصن (بيرة جك) وكذلك استولوا على خزانة الجيش التي لم يتمكن الترك من اخذها عند الهزيمة، وكان بها من النقد ما قيمته ستة ملايين فرنك.

اما الجيش المصري فقد بلغت خسائره نحو اربعة الاف بين قتيل وجريح، وهي خسارة عظيمة، ولكنها كانت فداء للنصر المبين الذي نالته مصر في هذه الواقعة.

قضت هذه الواقعة على قوة تركيا الحربية، وانقذت مصر من الخطر الذي كان يتهددها من ناحية تركيا، وكان فيها اكبر انتصار حازه الجيش المصري في حروبه مع تركيا، وهي اعظم الوقائع التي خاض غمارها من جهة اهميتها الحربية ونتائجها السياسية، اما من الوجهة الحربية فقد رأيت انا تفوق المعارك الاخرى في عظم الجهود والخسائر التي بذلت فيها، واما من الوجهة السياسية فلانها حفظت استقلال مصر، وكانت له بمثابة السياج الذي صانه من الحظر، فلو ان تركيا فازت في هذه المعركة لاستمرت في زحفها على سورية ثم على مصر، ولقضت على استقلال مصر وردتها وولاية تركية لا تمتاز عن سائر ولايات السلطنة العثمانية في شئ.

وكان وقع هذه المعركة اليما شديد المضض على تركيا لأنها خاتمة الهزائم التي حاقت بجيوشها في معاركها المتعاقبة مع الجيش المصري.

وفاة السلطان محمود

توفى السلطان محمود في اول يولية سنة 1839 قبل ان يبلغه نبا انكسار جيشه، اذ كان على فراش الموت، فاسلم الروح دون ان يعلم بالطامة التي حلت بالجيش التركي في تلك الواقعة الفاصلة، وخلف بعده السلطان عبد الحميد في الوقت الذي تزلزلت فيه قوائم السلطنة من ضربات مصر، ولم تكن سن السلطان الجديد تتجاوز السابعة عشر، فلم يدر كيف يأخذ في امره ولا كيف يتجه بين العواصف التي هبت على عرشه.

تقدم ابراهيم باشا

اما ابراهيم باشا فانه استمر في تقدمه عقب انتصاره، واحتل بيرة جك على ضفة نهر الفرات اليسرى ثم عينتاب ومرعش واورفه.

تسليم الاسطول التركي

واعقب هذه الواقعة كارثة اخرى اصابت تركيا في اسطولها، وذلك انه لما بدأت الحركات العدائية الاخيرة بين مصر وتركيا صدرت الأوامر للأسطول التركي بالتحرك من بوغاز الدردنيل بقيادة القبودان احمد باشا فوزي لمنازلة العمارة المصرية، ولكن فرنسا وانجلترا ارسلتا بعض السفن لمنع التصادم بين الاسطولين تنفيذا للخطة التي كان عليها العمل بينهما من الحيلولة بين تصادم مصر وتركيا.

ولما هزم الجيش التركي في واقعة نصيبين وتولى السلطان عبد المجيد ورأى دعائم عرشه تتزلزل امام فتوحات الجيش المصري، جنح للسلم، فبعث برسول يدعى عاكف افندي الى مصر يعرض على محمد علي باشا عقد هدنة يمكن في خلالها اجراء المفاوضات للاتفاق على حل يرضي الطرفين، وعهد اليه ان يأمر فوزي باشا قائد العمارة التركية ان يعود الى الاستانة ولكن فوزي باشا كان قلقا على مركزه بعد موت السلطان محمود، اذ كان مقربا لديه ولدى اختصاص به، فلما خلفه السلطان عبد المجيد عين خسروا باشا[81] صدرا اعظم، وكان بينه وبين فوزي باشا عداء قديم، فعظمت وساوس فوزي باشا، (ظن ان استدعاءه الى الاستانة لم يكن الا لعزله او لقتله، وزين له وكيله عثمان باشا ان يلتجئ الى محمد علي باشا خصم خسروا باشا القديم ويسلمه الاسطول التركي بأكمله هدية خالصة، فينال منه المكافاة وحسن الجزاء، فأصغى فوزي باشا لهذا المشورة التي تنطوي في ذاتها على الخيانة والدناءة، واقلع بالعمارة التركية وخرج بها من الدردنيل ومضى الى الاسكندرية ، وكانت هذه العمارة على شان من القوة، مؤلفة من تسع بوارج كبيرة (غلايين) واحدى عشرة سفينة من نوع الفرقاطة، وخمس من نوع الكورفت، وعلى ظهرها 16107 من الملاحين، والايان من الجنود يبلغ عددهم 5000 فيكون الجميع 21.107.

فلما وصل فوزي باشا على راس هذه العمارة الى رودس ارسل وكيله الى محمد علي باشا بمصر يخبره بعزمه، فابتهج محمد علي بهذه الفرصة السعيدة ابتهاجا عظيما، وانفذ رسولا على السفينة البخارية النيل ليبلغه سروره مما اقدم عليه، ثم اقلعت الدوننمة العثمانية من رودس بقيادة فوزي باشا وبلغت الاسكندرية، وكانت الدوننمة المصرية خارج البوغاز لإجراء التمرينات البحرية بقيادة الاميرال مصطفى مطوش باشا، فدخلت الدوننمتان الى الميناء معا، وعدد سفنها نحو بخمسين سفينة حربية تقل نحو ثلاثين الف مقاتل، وعليها نحو ثلاثة الاف مدفع، فكان منظر دخول تلك العمارة الضخمة الى ميناء الاسكندرية يملا القلب جلالا وروعة، وصارت مصر بهذه القوة البحرية المزدوجة

(81) هو الذي كان واليا لمصر سنة 1803 واشتهر بعدائه لمحمد علي.

اقوى دولة بحرية في البحر الابيض المتوسط.

وتسلم محمد علي باشا هذا الاسطول الضخم، فكان لهذا الحادث تأثير كبير في سير المسالة المصرية، لان تسليم الاسطول التركي الى مصر بعد انتصارها في معركة نصيبين جعل كفتها الراجحة على تركيا في البر والبحر، وبلغت مصر في ذلك الحين اوج قوتها على عهد محمد علي.

معاهدة لندرة ومركز مصر الدولي

تدخل الدول بعد معركة نصيبين

ان انتصار الجيش المصري في معركة نصيبين قد وضع المسالة المصرية والمسالة الشرقية ومسالة التوازن الاوروبية عامة موضع البحث والنظر، وهذه هي المرة الثانية التي استرعت فيها انتصارات مصر انظار الدول الاوروبية واوقعتهن في الحيرة والارتباك، فالمرة الاولى كما تذكر كانت عقب انتصارات حمص وبيلان وقونية، وهذه المرة الثانية بعد نصيبين، وهذا يدلك على مدى تأثير تلك الانتصارات الباهرة.

ذلك ما يقضي به الانصاف، وقد ارادت تركيا ان تنقض هذا الاتفاق بحد السيف، فتحرشت بالجيش المصري وتحدته الى القتال، وهاجمت حدود مصر الشمالية التي رسمها اتفاق كوتاهية، واجبرت مصر على خوض غمار القتال، فوقعت معركة نصيبين التي انتهت بهزيمة الجيش التركي، فالنتيجة العادلة لهذه العزيمة ان يبقى اتفاق كوتاهية مرعبا من تركيا ومن الدول وخاصة لان سورية اقرب الى الدولة المصرية منها الى تركيا، وكل هذا يقضي بالاعتراف باستقلال مصر التام وانفصالها عن تركيا وانضمام سورية اليها.

ولو ان الدول الاوروبية عاملت مصر بمثل العطف الذي عاملت به اليونان، في ثورتها على تركيا، لما كان هناك شك في اقرار تلك النتيجة، لا بل ان مصر اولى باقرارها على

مطالبها العادلة لأنها فازت على تركيا بقوة جيشها وحده أما اليونان فلم ينجها من اثار الهزيمة سوى مظاهرة الدول الاوروبية وتحالفهن على تركيا، ومع ذلك فان السياسة الدولية الاوروبية قضت لليونان باستقلالها التام، أما مصر فقد حكمت عليها ان تبقى تحت السيادة التركية، وان تتخلى عن سورية وجزيرة العرب وأضنة وكريت، وائتمرت بها الدول وحاربتها وقصت اجنحتها، وقضت عليها باضعاف قوتها البرية والبحرية كما سيجئ بيانه، وهذه المقارنة تصور لك الفرق بين معاملة اوروبا لامة غربية ومعاملتها للامم الشرقية، وتريك المكيال الواحد يكبر ويصغر، كانه فيه روح الشيطان.

مواقف الدول

حرّك انتصار الجيش المصري في نصيبين مسألة التوازن الاوروبي والمسالة الشرقية، فوقفت الدول الاوروبية مواقف مختلفة تبعا لاختلاف اطماعها ونزعاتها.

فقد انتهزت روسيا الفرصة لبسط حمايتها الفعلية على تركيا بحجة الدفاع عنها.

أما فرنسا فكانت تميل -حسب الظاهر- لاقرار محمد علي باشا على سورية وجزيرة العرب طبقا لاتفاق كوتاهية ولما ادت اليه معركة نصيبين.

موقف انجلترا

جاهرت انجلترا بعدائها لمصر، واعلنت وجهة نظرها في وجوب المحافظة على كيان السلطنة العثمانية، وان هذا الكيان لا يقوم إلا برد سورية الى تركيا، واخضاع محمد علي بالقوة، واخذت تؤلب الدول الاخرى على مصر سعيا لاخضاعها وغايتها الجوهرية هي اضعاف الدولة المصرية خشية أن تزاحمها السيادة على البحر الابيض المتوسط ورقيبا عليها في طريقها الى الهند، ومن هنا كانت انجلترا تتمسك بكل عزم وقوة بوجوب رد سورية الى تركيا، لان امتداد نفوذ مصر في البلاد السورية يجعلها دولة بحرية قوية من

دول البحر الابيض المتوسط، ويجعل لها الاشراف على طريق الهند من ناحية الفرات والعراق، فضلا عن طريق البحر الاحمر وبرزخ السويس.

وكانت تتمسك ايضا برد الاسطول التركي الى الدولة العثمانية لان اندماجه في الاسطول المصري يجعل لمصر قوة بحرية كبيرة تخيف انجلترا.

ان عداء انجلترا لمصر من القواعد الاساسية لسياستها الاستعمارية، إذ أن وجود دولة مصرية قوية، تمد نفوذها الى شبه جزيرة العرب، تصل الى نهر الفرات وشاطئ الخليج الفارسين وسواحل اليمن، وهذه البلاد كلها واقعة في طريق الهند، فلا جرم ان تحنق انجلترا على مصر الفتية القوية، وتبغيها الغوائل وتدس لها الدسائس، فالسياسة الانجليزية هي التي سعت جهدها لتقليم اظفار مصر وقص اجنحتها، وابقائها تحت السيادة التركية ، وانقاص قوتها البرية والبحرية.

وكان لها من اضعاف مصر غاية اخرى هي احتلالها عندما تحين الفرصة، ولو بقيت قوة مصر الحربية على ما كانت عليه في عهد محمد علي لتعذر على انجلترا تحقيق هذه الغاية، فانها اخذت تتحين الفرص وتخلق المشاكل حتى احتلتها سنة 1882.

اما النمسا فكان وزيرها المشهور مترنيخ يميل الى تعزيز مركز تركيا، لئلا يعطي روسيا ذريعة للتدخل في شئون تركيا وبسط حمايتها عليها، فان في ذلك خطرا على النمسا، ولأنه كان ينظر الى قيام محمد علي ضد تركيا كثورة على الحاكم الرسمي، ومبدا مترنيخ مقاومة الثورات القومية التي يراد منها الخروج على سلطة الحكومات الرسمية.

موقف تركيا

تولى السلطان عبد المجيد عرش السلطنة بعد وفاة السلطان محمود الثاني، والسلطنة تتداعى اركانها تحت ضربات الجيش المصري، وتولى زمام الحكم والدولة لا جيش لها ولا اسطول فرأى من الحكمة ان يجنح الى السلم والمفاوضة راسا مع محمد علي لحسم الخلاف بين الدولتين بالحسنى، ومع انه استوزر خسرو باشا المشهور بعدائه القديم

لمحمد علي وجعله صدرا اعظم الا انه هو ووزيره ابديا رغبتهما في احلال الصفاء والسلام بين الدولتين محل الجفاء والخصام، ولم يكد السلطان عبد الحميد يعتلي عرش السلطنة حتى ارسل الى محمد علي مندوبا خاصا وهو (عاكف افندي) يحمل كتابا من خسرو باشا يعرب فيه عن عواطفه ويخوله ملك مصر الوراثي، ومع ان محمد علي كان لا يثق بحسن نية خسرو باشا ولا يفتأ يطلب عزله الا ان من المحقق انه لو ترك الامر للحكومة التركية وحدها لرضيت بإبرام الصلح مع محمد علي باشا على قاعدة الاعتراف باستقلال مصر واقرار سلطتها في سورية وجزيرة العرب.

مذكرة الدول الى الباب العالي

(27 يوليه سنة 1839)

لكن مطامع الدول ابت على مصر ان تجني ثمار تضحياتها وانتصاراتها، فقدم سفراؤها في الاستانة مذكرة الى الباب العالي في 27 يوليه سنة 1839 يطلبون اليه باسم الدول الخمس، النمسا، والروسيا، وانجلترا، وفرنسا ، وبروسيا، ان لا يبرم امرا في شان المسالة المصرية الا باطلاعهم واتفاقهم، وكان الكونت مترنيخ وزير النمسا الاكبر هو المقترح لهذه المذكرة، ووجهة نظره ان يحول دون انفراد روسيا بالتدخل في المسالة الشرقية.

كانت مذكرة الدول الى الباب العالي بمثابة الغاء لنتائج معركة نصيبين، وكانت من هذه الناحية انتصارا لوجهة نظر انجلترا، اما تركيا فقد وضعتها المذكرة تحت وصاية الدول الاوروبية، ففقدت بذلك استقلالها الفعلي.

وقد انقضت اشهر في تبادل الآراء بين الدول الاوروبية بقصد التوفيق بين وجهات نظرها، ولو سلكت فرنسا في خلال تلك الاشهر خطة الحكمة والحزم لوفرت على مصر كثيرا من الاعباء والخسائر التي احتملتها فيما بعد، فقد عرض اللورد بالمرستون حلا وسطا للتوفيق بين وجهة نظر انجلترا وفرنسا، وهو ان يعطي محمد علي الحكم الوراثي بمصر وولاية عكا ما عدا مدينة عكا ذاتها اي جنوبي سورية، فرفضت فرنسا

هذا العرض وتمسكت بوجهة نظرها، وكان هذا منها خطا كبيرا تحملت مصر عواقبه، فلو انها قبلته لانتهت الازمة بخير مما انتهت به بعد ذلك، اذ ادى رفض فرنسا الى انفراد انجلترا بالعمل وتأليبها الدول الاوروبية لإذلال مصر كما سيجئ بيانه.

وانتهزت الروسيا فرصة الخلاف بين فرنسا وانجلترا في المسالة المصرية فتوددت الى الحكومة الانجليزية ووافقتها على وجهة نظرها في المسالة، واوفدت البارون برينوف الى لندرة لتوكيد العلاقات بين الدولتين، واصبح سهلا على انجلترا وقد انضمت الروسيا اليها ان تكسب الى صفها النمسا وبروسيا.

تولى المسيو تيرس رياسة الوزارة الفرنسية ووزارة خارجيتها في مارس سنة 1840 ، وكان متمسكا بوجهة نظر فرنسا في المسالة المصرية، وهي ضم سورية الى مصر، وسعى في ان تنتهي هذه المسالة بالاتفاق راسا بين الباب العالي ومحمد علي، وعلم اللورد بالمرستون بهذه المساعي، فاخذ في احباطها، وعارضها بالمفاوضة مع الدول الاخرى، الروسيا، والنمسا، وبروسيا، وتركيا، لتقرير الحل النهائي بمعاهدة تضع بها مصر وفرنسا أمام الامر الواقع.

ابرام معاهدة لندره وشروطها

15 يوليه سنة 1840

كانت نتيجة هذه المفاوضات ابرام المعاهدة الشهيرة بمعاهدة لندره في 15 يوليه سنة 1840 بين انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا وتركيا، وللمعاهدة ملحق يتضمن الامتيازات التي تعهد السلطان بتخويلها محمد علي، ويعتبر هذا الملحق جزءا من المعاهدة، وهاك خلاصة شروط المعاهدة والملحق:

أولا: أن يخول محمد علي وخلفاؤه حكم مصر الوراثي، ويكون له مدة حياته حكم المنطقة الجنوبية من سورية[82] المعروفة بولاية عكا (فلسطين) بما فيها مدينة عكا ذاتها وقلعتها، بشرط ان يقبل ذلك في مدة لا تتجاوز عشرة ايام من تاريخ تبليغه هذا القرار ، وان يشفع قبوله بإخلاء جنوده من جزيرة كريت وبلاد العرب وإقليم أضنة وسائر البلاد العثمانية عدا ولاية عكا، وان يعيد الى تركيا اسطولها.

ثانيا: اذا لم يقبل هذا القرار في مدة عشرة ايام يحرم الحكم على ولاية عكا، ويمهل عشرة ايام اخرى لقبول الحكم الوراثي لمصر وسحب جنوده من جميع البلاد العثمانية وارجاع الاسطول العثماني، فاذا انقضت هذه المهلة دون قبول تلك الشروط كان السلطان في حل من حرمانه من ولاية مصر.

ثالثا: يدفع محمد علي باشا جزية سنوية للباب العالي تتبع في نسبتها البلاد التي تعهد اليه ادارتها.

رابعا: تسري في مصر ولاية عكا المعاهدة التي ابرمتها السلطنة العثمانية وقوانينها الاساسية، ويتولى محمد علي وخلفاؤه جباية الضرائب باسم السلطان على ان يؤدوا

(82) حددت هذه المنطقة في ملحق المعاهدة كما يأتي: يبدأ الحد من رأس النافورة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط (شمالي عكا) إلى مصب نهر السيسبان في شمال بحيرة طبرية، ثم يتبع الشاطئ الغربي لتلك البحيرة، فالضفة اليمنى لنهر الأردن، فالشاطئ الغربي للبحر الميت، ومن نهايته يمتد على خط مستقيم إلى رأس خليج العقبة على البحر الأحمر، ثم يتبع الشاطئ الغربي لخليج العقبة، ثم الشاطئ الشرقي لخليج السويس حتى مدينة السويس ذاتها (انظر الخريطة).

الجزية، ويتولون الانفاق على الادارة العسكرية والمدنية في البلاد التي يحكمونها.

خامسا: تعد قوات مصر البرية والبحرية جزءا من قوات السلطنة العثمانية، ومعدة لخدمتها .

سادسا: يتكفل الخلفاء في حالة رفض محمد علي باشا لتلك الشروط ان يلجأوا الى وسائل القوة لتنفيذها، وتتعهد انجلترا والنمسا في خلال ذلك ان تتخذ باسم الحلفاء بناء على طلب السلطان كل الوسائل لقطع المواصلات بين مصر وسورية ومنه وصول المدد من احداهما للأخرى، وتعضيد الرعايا العثمانيين الذين يريدون خلع طاعة الحكومة المصرية والرجوع الى الحكم العثماني وامدادهم بكل ما لديهم من المساعدات.

سابعاً: اذا لم يذعن محمد علي للشروط المتقدمة وجرد قواته البرية والبحرية على الاستانة فيتعهد الحلفاء بان يتخذوا بناء على طلب السلطان كل الوسائل لحماية عرشه وجعل الاستانة والبواغيز بمأمن من كل اعتداء.

تم ابرام هذه المعاهدة بان وقع عليها كل من اللورد بالمرستون عن انجلترا، والبارون نومان السفير النمساوي في انجلترا عن النمسا، والبارون بيلوف عن بروسيا، والبارون برينوف عن الروسيا، وشكيب افندي وزير تركيا المفوض في لندره عن الباب العالي، وقد ابرمت المعاهدة بغير علم مصر وفرنسا، فقد فوجئت الحكومة الفرنسية بها، فلما اذيع نبا ابرامها ادرك المسيو تيرس ما في هذا العمل من التحدي لفرنسا والغض منها، وكان من نتائجها ان توترت العلاقة بينها وبين انجلترا وكادت تقع الحرب، فارغت فرنسا وازبدت، واخذت تستعد وتحرض محمد علي باشا على نبذ قرارات الدول ، لكنها ادركت اخر الامر ان استعداداتها لا تغير من موقف الدول المؤتمرة، وانها لا قبل لها بان تخوض غمار حرب اوروبية، فتراجعت وتركت مصر وحدها امام الدول المؤتمرة، فاحتملت مصر نتائج سياسة فرنسا الخرقاء.

ان معاهدة لندرة تقضي بجعل حكم مصر وراثيا في اسرة محمد علي، اي باستقلال مصر الداخلي التام، وارجاع مصر الى حدودها الاصلية قبل حروبها الاخيرة، وحرمانها حكم جزيرة العرب وسورية وكريت واقليم ادنه، وتخويل محمد علي مدة حياته حكم سورية

الجنوبية.

ولعلك تلاحظ في هذه المعاهدة تعهد الدول باتخاذ وسائل العنف والقوة بتنفيذ شروطها حال رفض محمد علي قبولها، وتلاحظ ايضا تعهدها بحماية عرش آل عثمان والدفاع عن السلطنة العثمانية والبواغيز في حالة مهاجمة قوات محمد علي البرية والبحرية لها، وهذا يصور لك ما بلغته مصر في ذلك العصر من القوة واليأس، مما دعا الحلفاء الى التكاتف والتعاون لإجبارها على احترام معاهدة لندره وحماية تركيا من باسها.

دسائس انجلترا في سورية

أرادت انجلترا كما قلنا أن تضع مصر بهذه المعاهدة أمام الامر الواقع، وارادت ايضا ان تؤيد المعاهدة بالفعل، فأخذت قبل امضائها تحرض سكان لبنان على خلع طاعة مصر، فأرسل اللورد پونسونبي سفيرها في الاستانة المستر ريتشارد وود ترجمان السفارة الانجليزية الى لبنان، وكان قد تعلم اللغة العربية وجاب انحاء البلاد من قبل، فأثار اللبنانيين واستمال امراءهم ومشايخهم فأيدوا الثورة، واتسع مداها، فعمت انحاء لبنان.

اخذ الثوار يناوشون الحاميات المصرية وقتلوا بعض الحكام المصريين، واعلنوا الامتناع عن اداء الضرائب والمؤن العسكرية، ولكن ابراهيم باشا بادر بقمع هذا العصيان بما لديه من القوات، وجاءه المدد من مصر بقيادة عباس باشا فامكنه اخماد العصيان واحرق بعض القرى وقبض على رؤساء الفتنة وعددهم 57 رجلا، وابعدهم الى الاسكندرية ومنها الى سنار بأقصى السودان حيث بقوا بها الى ان انتهت الحرب واعيدوا الى بلادهم.

ولم تنقطع الفتن في لبنان وسورية، بل ظلت مستمرة خلال الحرب، وكان لها اثر كبير في احراج مركز الجيش، واخذ سليمان باشا في تحصين بيروت وغيرها من الثغور السورية توقعا لمجيء السفن الانجليزية.

ورات انجلترا في محمد علي عزيمة على المقاومة، فقررت تجريد مصر من عمارتها البحرية لكيلا يستطيع محمد علي امداد قواته في الشام بطريق البحر فيعجزه ذلك عن

امدادها برا بطريق الصحراء المقفرة التي تفصل مصر وفلسطين، فاصدرت اوامرها الى الكومودور نابييه قبل امضاء المعاهدة بالاقلاع باسطوله الى مياه مصر والشام، وعهدت اليه اجبار محمد علي تسليم العمارة التركية وكلفته اسر العمارة المصرية او تدميرها، وكان بعض السفن الحربية المصرية وقتئذ في مياه بيروت، فلما علمت فرنسا بهذا النبا بادرت بإرسال احدى سفنها الى بيروت لإبلاغ ابراهيم باشا الخبر، فعادت السفن المصري من فورها الى الاسكندرية وجاء الكومودور نابييه الى بيروت فلم يجدها وظل في عرض البحر يرقب الفرصة السانحة لأخذها.

واخذ محمد علي من ناحيته يستعد للمقاومة والدفاع، واصدر اوامره الى الاسطول بالمرابطة في ميناء الاسكندرية وعدم الخروج الى عرض البحر كيلا يستهدف للأساطيل الإنجليزية، لان حكومة انجلترا كانت عازمة على تجريد مصر من قوتها البحرية.

وفي اوائل شهر اغسطس سنة 1849 استفاضت انباء معاهدة لندره في الشام ومصر، واصدرت الحكومة الانجليزية اوامرها للأسطول الانجليزي بمحاصرة سواحل الشام ومصر واسر السفن المصرية حربية كانت او تجارية، فرجع الكومودور نابييه الى بيروت واستولى في طريقه على كل ما صادفه من المراكب واعلن الجيش المصري بإخلاء بيروت وعكا في اقرب وقت، ونشر بين سكان سورية ولبنان منشورات انباهم فيها بما تم عليه اتفاق الدول في معاهدة لندره، وخاصة ارجاع سورية الى الدولة العثمانية، ودعاهم الى العصيان ونزع ايديهم من طاعة الحكومة المصرية، فثار اللبنانيون على الحكم المصري عودا على بدء.

رفض محمد علي باشا شروط المعاهدة

(أغسطس سنة 1840)

كان محمد علي مصمما على التمسك بالبلاد التي فتحتها الجيوش المصرية واقرته عليها معاهدة كوتاهية، وصمم الا ينزل عن اي جزء من هذه البلاد، فاخذ في الاستعداد

للدفاع، وحشد الجنود في ثغور مصر، ووزع السلاح على عمال المصانع (الفابريقات) وطلبة المدارس الحربية، وعهد الى ابراهيم باشا ان يكون على اهبة القتال وان يتفقد ثغور الشام وحصونها وخاصة عكا وبيروت، وامد الجيش المصري في سورية بالرجال والعتاد.

لم تغير المعاهدة اذن من موقفه، واعتزم الا يعمل بها ولا يقر شروطها، وكانت فرنسا تحرضه على رفضها وتعده الا تتخلى عنه، وتمنيه بانها تدافع عنه بقوة جيوشها واساطيلها.

فازداد تمسكا بموقفه، ولو لم تعده الحكومة الفرنسية بمعاونته اذا حزب الامر، لكان له موقف غير موقفه هذا، لان محمد علي كان مشهورا عنه الحكمة وبعد النظر. وهو لا يفوته ان من وراء الطاقة ومن المتعذر على مصر محاربة دول خمس مجتمعات متالبات عليها، ولكنه كان مطمئنا الى معاونة فرنسا الحربية، فركب الشطط وارتدف العناد. وخسرت مصر من جراء ذلك حقوقا ومزايا وتضحيات جسيمة، ويتبين لك مبلغ هذه الخسائر من المقابلة بين ما اقرته معاهدة لندره، وما اضطرت مصر لقبوله بعد حرب شاقة تكبدت فيها متاعب واهوال.

ارسلت تركيا مندوبها رفعت بك الى الاسكندرية لإبلاغ محمد علي بشروط المعاهدة. فوصل يوم 11 اغسطس ، والتقى بوكلاء الدولة المتحالفة، واتفقوا على الخطة التي يتخذونها لتنفيذ ما تامر به الدول.

فبدا رفعت بك بمقابلة محمد علي في سراي راس التين يوم 16 أغسطس. وابلغه نبا المعاهدة ، وطلب اليه العمل بها، فغضب محمد علي واغلظ له في الجواب، واقسم الا ينزل عن شبر ارض من املاكه.

فلما رأى رفعت بك ان بلاغه لم يصنع شيئا طلب الى وكلاء الدول ان يقوموا من ناحيتهم بتبليغ محمد علي شروط المعاهدة، فجاءه قناصل انجلترا والروسيا والنمسا يوم 17 أغسطس، وابلغوه الشروط، وعرضوا عليه ان تكون مصر له ولورثته من بعده، وان تكون له ولاية عكا اي فلسطين مدة حياته، وامهلوه عشرة ايام يتهيأ فيها للقبول، ودونوا له مذكرة عليها توقيعاتهم، كتبوا فيها ما قالوه، وحذروه عواقب الامتناع عن

تنفيذ المعاهدة.

ولما انقضى الموعد ذهب اليه رفعت بك مصحوبا بوكلاء الدول ليتعرفوا ما استقر عليه.

فألفوه على رفضه ، وكان اشد تمسكا بموقفه السابق، فاعتزم رفعت بك مغادرة الاسكندرية والسفر الى الاستانة، ولكن وكلاء الدول طلبوا اليه البقاء حتى يتموا الاجراءات التي تقضي بها المعاهدة.

وفي اليوم التالي ذهبوا الى محمد علي، وابلغوه الانذار الثاني، فاستشاط غضبا واجابهم بانه سيزحف على الاستانة اذا تجددت الحرب ولما علم بعزم رفعت بك على السفر التفت الى وكلاء الدول الاربع وقال لهم: «اتعشم ان ترحلوا معه».

فأجابوه بان ليس لديهم تعليمات بمغادرة مراكزهم، فقال لهم: «ولكني لم يعد لي ثقة فيكم، والعوائد المرعية تقضي في حالة الحرب ان يرحل وكلاء اعدائنا عن البلاد، فبقاؤكم لا يتفق مع هذه الحالة».

فانصرف الوكلاء من حضرته بعد ان امهلوه العشرة الأيام الثانية المذكورة في المعاهدة ليراجع رأيه، وابلغوه انه لم يعد له حق في ولاية عكا، ولا تسمح له الدول الا بولاية مصر له ولذريته.

وفي خلال هذه المهلة استدعى محمد علي باشا رفعت بك وعرض عليه انهاء الخلاف بينه وبين تركيا دون تدخل الدول الاجنبية، على ان ينزل عن ولاية ادنه وجزيرة كريت وشبه جزيرة العرب. وان يكتفي بملك مصر الوراثي وحكم سوريا مدة حياته. وسلمه كتابا بهذا المعنى برسم السلطان، ولعله اراد ان يتفادى بهذه الرسالة التقيد بميعاد العشرة الايام التي تقضي بها المعاهدة، فان كتابه الى السلطان قد يفتح باب المفاوضة. ثم هو لا يعد رفضا صريحا.

ولكن رفعت بك ووكلاء الدول جاءوا في نهاية المعاهدة، وطلبوا مقابلة محمد علي، فلم يقابلهم، واستقبلهم بوغوص بك وزير الخارجية، وسامي بك سكرتير الباشا، وابلغاهم بنبأ الخطاب الذي كتبه الباشا الى السلطان، وان هذا الجواب يعد قبولا

للمعاهدة. فأجاب القناصل: واذا لم يقبل السلطان ان يخول الباشا حكم سورية فماذا يكون موقفه بعد؟ فقال بوغوص بك وسامي بك. انه ليست لديهما تعليمات للرد على هذا السؤال. فاعتبر القناصل ان هذا الجواب معناه رفض المعاهدة، وحرروا محضرا بذلك.

وغادر رفعت بك الاسكندرية ذاهبا الى الاستانة ليبلغ الباب العالي ما حدث، وحمل معه خطاب محمد علي الى السلطان، فتشاور الصدر الاعظم مع سفراء الدول في الاستانة، واستقر رايهم على خلع محمد علي من ولاية مصر، واصدر السلطان فرمانا بذلك، ارسل من فوره الى الاسكندرية، فوصل يوم 22 سبتمبر سنة 1849، وبلغ الى محمد علي.

وفي اليوم التالي غادر وكلاء الدول الاراضي المصرية، فأصبحت مصر في حالة حرب مع تركيا وحلفائها.

واخذ محمد علي يتأهب للحرب، وبادر الى تقوية استحكامات الاسكندرية، وعهد بذلك الى لجنة مؤلفة من نجله سعيد بك (باشا)، وسليم باشا، والمسيو موجيل، والمسيو هو سار، ومظهر أفندي (باشا).

الحرب بين مصر والدول المتحالفة وثورة السوريين على الحكم المصري

انتهزت إنجلترا فرصة ابرام معاهدة لندره واخذت في تنفيذها بالقوة، فامرت عمارتها البحرية بضرب الثغور السورية والاشتراك مع الجنود التركية في احتلالها، وكان ابراهيم باشا قد استعد للدفاع عنها فجاء إلى بيروت وعسكر في ضواحيها.

وفي خلال سبتمبر سنة 1840 جاءت العمارة الانجليزية إلى بيروت بقيادة الاميرال استوبفورد للاشتراك مع الكومودور نابيبه في ضرب بيروت بالمدافع، واشترك معها بعض السفن الحربية النمسوية والتركية، وفي 10 منه جاءت الحملة البرية، وكانت

مؤلفة من 1500 من الجنود الانجليز و5500 من العثمانيين، ونزلت هذه القوة في ميناء جونيه[83] تحت حماية العمارة الانجليزية.

وأرسل الاميرال الانجليزي انذارا إلى سليمان باشا بإخلاء بيروت فورا، فطلب سليمان باشا ميعاد اربع وعشرين ساعة كي يراجع ابراهيم باشا في الامر، فلم يقبل طلبه، وبدأ ضرب المدينة بالمدافع، واستمر في اليوم التالي حتى تهدم أكثر مبانيها، ولكن الحلفاء لم ينزلوا في ذلك اليوم جنودهم إلى المدينة خوفاً من ان يظهر عليهم الجيش المصري.

قلنا ان ابراهيم باشا كان على أهبة الدفاع عن سورية، وكان لديه من المقاتلين نحو تسعين ألف جندي، ولم يكن لدى الحلفاء في بدء القتال سوى عشرة آلاف مقاتل على الاكثر، ولذلك تردد قوادهم في احتلال بيروت رغم ضربها بالمدافع، وبقيت وقتا ما في يد الجيش المصري، ولكن جد في الموقف العامل جديد كان له تاثير سيء في مركز الجيش المصري، ذلك أن الإنجليز قد بذروا بذور الثورة في نفوس السوريين واللبنانيين وألقوا إليهم وخاصة بعد أن وزع عليهم عملاء الإنجليز الأسلحة والذخائر، وبلغ عدد ما وزعوه عليهم من البنادق نحو ثلاثين الف بندقية، فتحرج مركز الجيش المصري وأدرك أنه صار هدفاً لنارين، نار الحلفاء ونار الثورة، وهذه كانت اشد وطأة من قوات الحلفاء، فأثرت تلك الحالة في نفوس الجنود تأثيرا سيئاً نال من قوتهم، وتقطعت مواصلات الجيش بين مختلف المدن.

استيلاء الحلفاء على الثغور السورية

اشتبكت القوات المصرية المبعثرة مع قوات الحلفاء في بعض المواقع، واستوى الحلفاء على جبيل شمالي لبنان، ثم على البترون، وكذلك احتلوا حيفا وصور وصيدا، ثم سقطت بيروت في يد الحلفاء (أكتوبر سنة 1840) بعد ان التقى المصريون والحلفاء في واقعة بحر صاف وكانت الغلبة فيها للحلفاء.

(83) شمالي بيروت وتبعد عنها نحو عشرين كيلومترا.

وكذلك جلا المصريون عن طرابلس واللاذقية وادنه من غير قتال، فصار معظم الثغور في يد الحلفاء.

سقوط عكا

(نوفمبر سنة 1840)

اعتزم الانجليز احتلال عكا لأنها مفتاح فلسطين والشام، وكان لاحتلالها من الاهمية اكثر مما لبيروت ، فجاءت العمارة الانجليزية واخذت تضربها بالمدافع يومي اول و2 نوفمبر سنة 1840، ولكن ذهب الضرب عبثا وقاومتها الحصون والحامية المصرية مقاومة شديدة، ثم جاءها مدد من السفن البريطانية، فاعتزم الاميرال استوبفورد استئناف الضرب يوم 3 نوفمبر، فاصطفت السفن الانجليزية في ذلك اليوم، وكان عددها نحو عشرين سفينة حربية، وصبت قنابلها على الحصون وعلى المدينة، فأجابت الحصون ضربا بضرب مثله، ولكن حدث ان اصابت القنابل الانجليزية مستودع الذخائر فنسفته وانفجر انفجارا مروعا، وهدم الانفجار نحو ثلث مباني المدينة، وقضى على طابور بأكمله من المشاة، فراى طابور الحامية المصرية ان استمرار المقاومة لا يجدي، فأخلى المدينة واحتلها الانجليز والترك في صبيحة اليوم التالي.

وعلى اثر تسليم عكا سلمت يافا ونابلس، فتزلزل مركز الجيش المصري في الداخل، لما اجتمع عليه من تقدم الحلفاء واحتلالهم الثغور، وقطعهم المواصلات البحرية، وثورة الاهلين ، وانفصل عنه الامير بشير حاكم لبنان لما رأى نجمه اخذا في الافول، وعرض على الحلفاء انضمامه اليهم واستأسر لهم، فلم يطمئنوا له، ونفوه الى مالطة (أول نوفمبر سنة 1850).

انسحاب فرنسا من الميدان

وفي غضون هذه الحرب تغير مسلك فرنسا حيال مصر تغيرا عظيما، فبعد ان كان المسيو تيرس رئيس الوزارة الفرنسية يشجع محمد علي على رفض مطالب الحلفاء ويعده بمعاضدة فرنسا له، تراجع ونكص على عقبيه، وتبين لمحمد علي عدم استعداد فرنسا للحرب، وأن المسيو تيرس لم يكن جادا في وعده، ولو كان جادا لبادر بنجدة إليه في سورية يتماسك بها الجيش المصري، لكن شيئا من ذلك لم يحصل، وعمد المسيو تيرس الى سياسة التسويف، ثم اخذ يتراجع خطته، فاوفد رسولا وهو المسيو والسكي الى محمد علي باشا ليشير عليه بفتح باب المساومة مع الباب العالي في مطالبه، فاتبع محمد علي مشورته وعرض الصلح على قاعدة تخويله حكم مصر الوراثي في اسرته وحكم سورية مدة حياته، ونزوله عن كريت وادنه وجزيرة العرب، ولكن الباب العالي رفض هذا الصلح.

فحبط سعي المسيو تيرس وامعن في تراجعه، فاستدعى الاسطول الفرنسي الذي كان يراقب الاحوال في مياه الشرق، وامره بالعودة الى فرنسا، وهكذا اخفقت سياسة تيرس وتخبط من فشل الى فشل وعرض كرامة بلاده للامتهان، وجنى على مصر بان ورطها في رفض شروط معاهدة لندره وسول لها ثم تخلى عنها وتركها وحدها ازاء الدول المتألبة عليها، فاذعنت واضطرت الى قبول شروط اسوا مما عرض عليها في المعاهدة، فلم يجد المسيو تيرس تلقاء هذا الفشل الا ان يقدم استقالته، فاستقالت وزارته في اكتوبر سنة 1849، وليته كان من الممكن ان يستقيل عمله.

والف المارشال **soult** الوزارة الجديدة، فنفضت يدها من المسالة المصرية البتة.

ولقد حاول بعض المؤرخين الفرنسيين ان يبرروا مسلك فرنسا في ازمة سنة 1840، فزعموا ان الحكومة الفرنسية افهمت محمد علي من مبدا الازمة انها لا تحارب اوروبا تاييدا لمطالبه وان رسلها طلبوا اليه ان ينزل عن طرطوس وادنه، وان الملك لويس فيليب وعده تلقاء ذلك ان يسعى لتخويله ولاية مصر والشام له ولورثته من بعده، ولكن محمد

علي رفض ما عرضه لويس فيليب، وسلك خطة الانتظار والتردد، فتارة كان يعد قناصل الدول بالخضوع للسلطان، وطورا كان يبدي الرفض ان ينزل عن شئ.

مهمة الكومودور (نابييه)

ولما تم للحلفاء احتلال الثغور السورية وقطعت مواصلات الجيش المصري بحرا انفذ القائد العام لقوات الحلفاء الأميرال مونتاگو ستوپفورد **Montagu Stopford** بعض السفن الحربية الانجليزية بقيادة الكومودور السير تشارلز ناپييه **Charles Napier** الى مياه الاسكندرية للقيام بمظاهرة حربية امام الثغر لتهديد محمد علي باشا واجباره على الاذعان لمطالب الحلفاء.

جاء السير شارل نابييه يقود العمارة الانجليزية، وكان الشتاء قد اقبل، فرأى ان التظاهر لا يصنع شيئا، وانه لابد لإكراه محمد علي على التسليم من قوة برية تحتل السواحل المصرية، ولم يكن لدى الانجليز وحلفائهم من القوات البرية ما يكفي للنزول الى البر والاستظهار على الجيش المصري، لان الجيش كان على تمام الاهبة لرد عادية المعتدين، ولولا ذلك لما ترددت انجلترا في اغتنام تلك الفرصة لتحقيق اطماعها القديمة واحتلال البلاد، كما فعلت سنة 1807، ثم سنة 1882، فالقوه التي اعدتها مصر للدفاع عن كيانها هي التي حالت دون مخاطرة الانجليز بإنزال جنودهم الى الاراضي المصرية، وهذا ما جعل محمد علي مطمئنا على مركزه ، ومما يذكر عنه في هذا الصدد ان قنصل انجلترا[84] في مصر جاءه بعد التوقيع على معاهدة لندره وقابله بالإسكندرية وتهدده بان الدول مستعدة لإجباره بالقوة على الاذعان لشروطها، وان انجلترا وحدها كفيلة بذلك، ففهم محمد علي أن القنصل يرمي الى التهديد باحتلال مصر، فأجابه في لهجمة حازمة:

«إذا كانت الدول المتحالفة تريد ان تكرهني بالقوة على الاذعان لتتفضل بالمجئ، فاني

(84) الكولونل هودج Hodges.

على استعداد لمقابلتها، واذا كانت انجلترا تريد ذلك وحدها فاني اكثر استعدادا لمقابلتها، اني لا اهاجم احدا، ولكني مستعد للدفاع عن البلاد حتى آخر نسمة من حياتي».

وقد تأثر محمد علي من هذه المناقشة، وقال لمن حوله: «ان الانجليز يتهددونني بالنزول الى بر مصر، فليجربوا ولينفذوا وعيدهم، فسيرون اننا على استعدادا لملاقاتهم، وان الاجنة في بطون امهاتهم ستشترك في قتالهم».[85]

يتبين مما تقدم ان محمد علي كان على تمام الاهبة للدفاع عن البلاد، ولقد ادرك الكومودور نابييه ان لا سبيل الى اخضاعه بالقوة، فرأى ان يجرب معه خطة المفاوضة والمسالمة، فأوفد له رسولا يحمل اليه خطابا[86] يعرض عليه فيه رغبة الدول في ان تكفل له ملك مصر الوراثي على ان يرد الاسطول التركي الى الباب العالي، وان يسحب جنوده من سورية، واعرب له في الخطاب عن مقاصده الودية نحوه، وانه انما يبغي ابداء النصح اليه حقنا للدماء، ولم يفته في كتابه ان ينبهه الى الخطر الذي يستهدف له اذا هو اصر على الحرب.

وان مصر ليست في المناعة التي يعتقدها محمد علي، وان الاسكندرية يمكن ان تسقط كما سقطت عكا من قبل.

كانت هذه الرسالة كلمة من سلم وكلمة من حرب، ثم اعقبتها خطوة اخرى من الكومودور، ذلك انه جاء بنفسه وطلب مقابلة محمد علي، فأذن له فيها، فعرض عليه الاذعان لمطالب الحلفاء، وكانت عباراته في المقابلة اشد من اسلوبه في الرسالة فاصر محمد علي باشا على الرفض، فتهدده نابييه بإحراق المدينة، فلم يعبا بوعيده، واجابه في هدوء وسكينة، «هيا فاحرقها» ، فانسحب نابييه وامهل محمد علي اربعا وعشرين ساعة ليقرر رايه الذي سيستقر عليه.

فكر محمد علي في الموقف مليا، فرأى من الحكمة السياسية ان يجنح الى السلم ويقبل العرض الذي عرضه الكومودور نابييه، اذ لا طاقة لمصر بمحاربة الحلفاء مجتمعين، وخاصة بعد تخلي فرنسا وانسحابها من الميدان، كما أن أنباء الحرب في سورية تدل على حرج مركز الجيش المصري هناك، فان سقوط الثغور وخاصة عكا في يد الحلفاء

(85) موربيه، تاريخ محمد علي ج4 ص253.

(85) بتاريخ 22 نوفمبر سنة 1840.

وانسحاب الحاميات المصرية منها، وقيام الثورات والفتن في مختلف النواحي، مما رجح عنده فكرة الانسحاب من سورية، فتبادل والكومودور نابييه المفاوضة في سبيل الصلح، وانتهت بعقد اتفاق وقعه بوغوص بك وزير خارجية مصر والكومودور نابييه[87].

وهذا الاتفاق يقضي بان يجلو الجيش المصري عن سورية، ويرد محمد علي على الاسطول التركي الى الباب العالي، مقابل تخويله ملك مصر الوراثي بضمانة الدول.

وقد رفض الاميرال استوبفورد قائد القوات البريطانية الاعتراف بهذا الاتفاق بحجة ان الكومودور نابييه لا يملك عقده. ولم يكن منوطا به اجراء المفاوضة فيه، وكذلك رفضه السلطان وتشبث بعزل محمد علي، واعترض عليه اللورد بونسبني سفير انجلترا في الاستانة واعلن بطلانه، لكن اللورد بالمرستون راى فيه فضا لازمة خطيرة لم يكن معلوما مدى عواقبها، فاعلن باسم حكومته اجازته للاتفاق، وحمل الدول على قبوله، فارسلت انجلترا والنمسا وبروسيا والروسيا الى الباب العاليم مذكرة في 30 يناير سنة 1841 تطلب فيها اليه الرجوع عن قرار العزل، وتخويل محمد علي حكم مصر الوراثي، فاستجاب السلطان الى طلبات الدول، وفي غضون ذلك ارسل محمد علي باشا الى ابنه ابراهيم يأمره بالجلاء عن سورية والعودة الى مصر تنفيذا لاتفاقه مع نابييه.

اخلاء الجيش المصري سورية

اذعن ابراهيم باشا للامر، واخذ يتاهب لاخلاء البلاد، فبدا رجوع الجيش المصري في اواسط ديسمبر سنة 1840، واحتشد بالقرب من دمشق تمهيدا للانسحاب جنوبا، فاخلاها في ديسمبر سنة 1840، وكان عدد الجيش المصري وقتئذ نحو سبعين ألف مقاتل يتبعهم عدة الاف من افراد الاسر والبيوت المصاحبة للجيش من الموظفين وغيرهم، ولاقى الجنود متاعب هائلة في انسحابهم لما اصابهم من الاعياء والجوع والعطش والتعب في قطع المسافات الشاسعة، وما تحملوه من نقل المهمات والمدافع، وما

(87) بتاريخ 27 نوفمبر سنة 1840، وقد نشرناه في قسم الوثائق التاريخية.

استهدفوا له من مناوشات العرب، فمات كثير منهم في الطريق، وسار الجيش في انسحابه الى المزيريب شرقي بحيرة طبرية، ومن هناك توزع الى ثلاثة فيالق اخذ كل فيلق طريقا الى مصر، فالفيلق الاول وهو مؤلف من المشاة والخيالة النظاميين اخذ سبيله بطريق غزة فالعريش وكان يتولى قيادته احمد المنكلي باشا، والفيلق الثاني بقيادة سليمان باشا الفرنساوي وكان مؤلفا من المدفعية، سار بطريق الحج الى معان ومنها الى العقبة فالنخل فالسويس، والفيلق الثالث وكان مؤلفا من جنود الحرس وفرسان الهنادي والباشوزق بقيادة ابراهيم باشا. اتخذ سبيله الى غزة ومنها بحرا الى مصر.

وقد لقى فيلق المنكلي باشا الاهوال في طريقه، وفقد عددا كبيرا من رجاله بسبب الجوع والعطش والاعياء ووعورة المسالك ومناوشات العربان، وخسر هذا الفيلق نحو نصف رجاله، وسار فيلق سليمان باشا من طريق معان والعقبة، وكابد كذلك المتاعب المهلكة، غير انه لم يلق ما لقيه الفيلق الاول وفقد من رجاله نحو الف وخمسمائة.

ووصل الفيلق الثالث بقيادة ابراهيم باشا الى غزة بعد ما لقى من الاهوال في طريقه، ومات عدد كبير من جنوده ومن الموظفين والنساء والاطفال الذين صحبوه في الانسحاب.

ولما وصل غزة ارسل ابراهيم باشا الى ابيه يطلب اليه امداده بالمؤن والملابس والسفن لنقل الجيش بحرا الى الاسكندرية، واخلى غزة يوم 19 فبراير سنة 1841 وبذلك تم اخلاء الجنود المصرية لسورية.

وقد بلغ عدد الجنود الذين عادوا الى مصر نحو اربعين الف مقاتل، أي ان ما فقده الجيش خلال الانسحاب بلغ نحو ثلاثين الفا، وقد اورد المسيو موريه[88] احصاء مروعا يدل على هول الخسائر التي حاقت بالمصريين في انسحابهم من سورية. حيث ذكر ان عدد افراد الجيش والملحقين بهم كان قبل الانسحاب 200 الف نسمة، فلم يرجع منهم سوى ستين الفا، وقال تعليقا على هذا الاحصاء ان هذا الانسحاب وما اقترن به من الاهوال والضحايا يعد من افظع ما روى عن فجائع تقهقر الجيوش في التاريخ.

(88) في كتابه تاريخ محمد علي جزء 4 ص376

اخلاء جزيرة العرب

كان محمد علي يحرص قبل معاهدة لندره على استبقاء نفوذه وسلطته في الحجاز لما في ذلك من اعلاء هيبته في انحاء العالم الاسلامي باعتباره حاميا للحرمين، ولذلك ما فتئ يعمل منذ الحرب الوهابية على توطيد مركزه في ربوع الحجاز وفي شبه جزيرة العرب، وباسناد تركيا ولاية جدة الى ابراهيم باشا قد خولته حقوق السيادة التي كانت لها في شبه جزيرة العرب، واتصل امام مسقط بمحمد علي بروابط الود والصداقة والولاء.

على ان القوات الحربية المصرية التي استقرت هناك كانت دائما عرضة لتوثب القبائل، وقد نازعه في بسط نفوذه عامل آخر وهو السياسة البريطانية الاستعمارية، فان انجلترا بعد ان وضعت يدها على عدن كانت تنظر متوجسة الى القوات المصرية المجاورة لها في اليمن، واحتجت بان هذا الجوار مما يثير في نفوس الاهالي روح التعصب الديني، على ان محمد علي ظل محافظا على سلطة مصر في جزيرة العرب رغم ما يقتضيه ذلك من النفقات الطائلة، الى ان تحرجت الحالة في ختام سنة 1840 ورأى ملك مصر مهددا في سورية، فاسترجع قواته من الجزيرة.

فالقوات المصري بقيت محتلة الحجاز ومعظم جزيرة العرب مدى عشرين عاما تخللتها ثورات عدة احتملت مصر في سبيل اخمادها متاعب هائلة ونفقات طائلة.

ففي سنة 1824 ثار الوهابيون في بعض البلدان فاشتبكوا في مناوشات مع القوات المصرية حتى ظهرت عليهم.

وفي سنة 1827 نشبت ثورة في مكة حيث قتل الشريف يحيى ابن اخيه لاتهامه بالائتمار به والتواطؤ عليه مع احمد باشا يكن والي الحجاز من قبل محمد علي، ولما كان يتوقعه الشريف من عواقب انتفاضة غادر مكة ولاذ بقبيلة حرب واستصرخها ، فثارت في وجه السلطة المصرية.

فقام احمد باشا يكن لمحاربتها لكنه انهزم بالقرب من جبل عرفات واشتد بذلك ساعد الثوار وانضمت اليهم القبائل، فلما علم محمد علي بنبا هذه الثورة انفد الى الحجاز مددا

من خمس اورط من الجنود النظامية والف من الفرسان، وعين الشريف محمد بن عون الذي كان نزيل القاهرة شريفا لمكة بدلا من الشريف يحيى الثائر فذهب ابن عون صحبة المدد المصري الى الحجاز، فتشجع احمد بك يكن بهذا المدد واستظهر به، وضرب الحصار على الطائف حيث امتنع الشريف الثائر واتباعه، ثم توقع الشريف سقوط المدينة في يد الجيش المصري، ففر منها فتعقبه الفرسان وما زالوا على اثره حتى اخذوه هو وثلاثة من اشراف مكة الذين ناصروه في ثورته، فجئ بهم الى القاهرة واستبقاهم محمد علي رهائن في يده ليضمن استقرار الامن في الحجاز.

وفي سنة 1829 ثارت هناك بعض القبائل وامتنعت عن اداء ما كان مضروبا عليها سنويا من البن، ومقداره 1200 قنطار، فانفذ محمد علي الى جدة قوة جديدة لاعادة النظام واقراره.

وفي سنة 1832 شبت في جدة فتنة عسكرية قوامها بعض الضباط من العناصر غير النظامية من بقايا الجيش القديم. وكان والي الحجاز وقتئذ خورشد بك، فطالبه الضباط والجنود ومعظمهم من الارناءود والترك بما تأخر من عطائهم، وساروا بمجموعهم الى مكة يتبعون زعيميهم زنار اغا وتركي بيلمز ، فتوسط شريف مكة بين خورشيد بك والمتمردين واتفقوا على ان يعود هؤلاء الى جدة ويوافيهم بها خورشيد بك، فذهب اليهم ولكنهم اسروه، ونادوا بتركي بيلمز واليا على الحجاز، وكان هذا العمل هو المجاهرة الصارخة بالتمرد والفوضى، وانضم اهالي مكة الى المتمردين نكاية بالمصريين، فشبت نار القتال بين الجنود المتمردة والحامية المصرية، ولكن الحامية ردتهم على اعقابهم.

وفي خلال هذه الفتنة ورد الى مكة نبا استيلاء الجيش المصري على عكا، وكانت الحرب السورية الاولى مستعرة، فاخمد هذا النبأ جذوة المتمردين، ولما علم الباب العالي بالفتنة ابتهج بها وارسل فرمانا الى تركي بيلمز يقره واليا على الحجاز نكاية بمحمد علي وتشغيبا عليه.

وصل نبا هذه الفتنة الى مصر، فبادر محمد علي الى انفاذ الالاي السابع من الجنود النظامية و1500 من الفرسان، فبلغت عدتها نحو 4000 مقاتل، وعقد لواؤها لأحمد

باشا يكن[89] وجعله رئيسا لعسكر الحجاز، وناط به اخماد الفتنة، وكان محمد علي عظيم الاهتمام بتوطيد نفوذ الحكومة المصرية في الحجاز واليمن لما للحرمين الشريفين من الاهمية السياسية والدينية، ولان ثغور الحجاز واليمن هي العقد الوثيقة في خيط الاتصال بين مصر ومتاجر الهند وجزيرة العرب.

وصلت الحملة المصرية بقيادة احمد باشا يكن الى ينبع، وسارت منها الى جدة فاحتلتها بعد ان انسحب منها تركي بيلمز الى قنفذة وكانت بها حامية مصرية، فلما امتنعت عليه استمر في انسحابه الى الحديدة من ثغور اليمن، ثم استقر في مخا ولم يقو امام صنعاء على رده، فعهد محمد علي الى احمد باشا يكن والي الحجاز بمطاردته، ففي سنة 1833 سار اليه في خمسة عشر ألف مقاتل، وكان شيخ العسير مواليا للجيش المصري، فحاصر مخا حتى فتحها عنوة، وهرب تركي بيلمز والتجا الى احدى السفن البريطانية، وبذلك انتهت الفتنة ، ولكن شيخ العسير نهب مخا نهبا مدمرا وكانت مستودعا لمتاجر الهند، فبارت التجارة الهندية بسبب هذا النهب سنين عددا. [90]

وقد اجمع محمد علي ان يجتث جذور الثورة في جزيرة العرب ويستولي على اليمن، وكانت الحملات والامراض قد ثغرت في صفوف الجيش المصري فنقصتها وكذلك وزعت الحاميات العسكرية في قنفذة والحديدة وبعض بلاد اليمن، فنقصت قوة الوحدات المتحركة من الجيش، وقد علم محمد علي بهذه الحالة، فانفذ قوة جديدة من ثلاثة آلايات من المشاة والفين من الفرسان بقيادة ابراهيم باشا يكن الذي جعله سر عسكر اليمن سنة 1836 ، فبلغ عدد الجيش المصري في جزيرة العرب ثمانية عشر الف مقاتل، فمضى ابراهيم باشا يكن يزحف على اليمن يعاونه الشريف عون.

سارت الحملة الى بلاد العسير، وهناك احتمل الجنود مشقات هائلة من وعورة الطرق وسوء المناخ وقلة الماء وفداحة المتاعب، ووقعت المصادمات والمناوشات بينها وبين القبائل، فاندحر الجيش المصري امام البدو وحلت به خسائر جسيمة، ورجع ابراهيم

(89) كان قد انفصل عن ولية الحجاز إلى وقت، ثم أعيد إلى منصبه ثانية وقلده محمد علي رئاسة عسكر الأقطار الحجازية.

(90) مانجان ج3 ص64.

باشا يكن ادراجه الى الحجاز بعد ان فدحته الخسائر ثم استأنف زحفه على اليمن فاحتل الثغور وبعض المواقع في الداخل.

ولما علم محمد علي بالأنباء الاولى عن حملة اليمن عهد بقيادة جنود الحجاز الى خورشيد بك الوالي السابق الذي وقعت في عهده فتنة زكي بلمز، وكانت الهزائم التي حاقت بالجيش المصري قد شجعت الوهابيين على الانتقاض في نجد، فاتجه خورشيد بزحفه شمالا ووصل الى الدرعية، وتخطى فتوحات ابراهيم باشا، وزحف على الاحساء ووصل الى شاطئ الخليج الفارسي. وجمع عدة من السفن واحتل جزائر البحرين في الخليج، ولما رات القبائل سرعة زحف الجيش المصري اقبلت تقدم الطاعة له وامتدت سلطة مصر الى الخليج الفارسي، ولكن السياسة الانجليزي هالها تقدم نفوذ مصر الى مصب دجلة والفرات والى مياه الخليج الفارسي القريب من الهند، وخشيت على سلطانها هناك ان يزعزعه امتداد نفوذ مصر الى حيث بلغ، كما انها خشيت من نفوذها في بلاد اليمن لأنها طريقها للهند، فاحتلت عدن ورسخت قدمها فيها، وبذلت مساعيها ومنها تهديد محمد علي بان تثير عليه تركيا والدول الاوروبية، فاصدر امره الى خورشيد بك بإخلاء البحرين، أما في اليمن فقد اعلن امام صنعاء ولاءه لإبراهيم باشا لكي يتقي بطش الانجليز بعد ان احتلوا عدن.

ولما أوشكت سنة 1840 على نهايتها رأى محمد علي ان بقاء الجيوش المصرية في جزيرة العرب يحمل الخزانة نفقات لا قبل لها بها، وانه في حاجة الى حشد جنوده حشدا واحدا حينما تألبت عليه الدول المتحالفة مع تركيا بعد معركة نصيبين، فاستقر عزمه على استدعاء الجند من جزيرة العرب، ثم اخلائها الى غير رجعة سنة 1841 تنفيذا لمعاهدة لندره، وبذلك طويت صحيفة الحكم المصري في الجزيرة.

مركز مصر الدولي بعد معاهدة لندره

ان معاهدة لندره هي الوثيقة الاساسية لمركز مصر الدولي من سنة 1849 الى نشوب الحرب العالمية الاولى سنة 1914، فهي التي حددت هذا المركز وجعلت لمصر شخصية دولية مستقلة، ورفعت مركزها من ولاية كغيرها لا تختلف عن سائر ولايات السلطنة العثمانية الى دولة مستقلة استقلالا مقيدا بقيود السيادة التركية.

ان مصر قد حققت استقلالها بالفعل في الحرب السورية الاولى التي انتهت باتفاق كوتاهية سنة 1833، لكن معاهدة لندره وان تكن حرمت مصر ثمرة انتصاراتها وقيدت استقلالها بقيود شتى، الا انها قد اعترفت بان لمصر مركزا دوليا مستقلا عن تركيا، اذ جعلت حكومتها وراثية في اسرة محمد علي، ولم يعد لتركيا، ولا لغيرها من الدول أن تعبث بهذا الاستقلال الذي اصبح مكفولا بمعاهدة دولية.

ولم يرد في معاهدة لندره من القيود العملية التي تحد ذلك الاستقلال سوى دفع جزية سنوية للباب العالي، وسريان معاهدات تركيا في مصر، واعتبار قواتها الحربية جزءا من قوات السلطنة العثمانية.

كما تضمنت الفرمان العثمانية ألا يزيد عدد الجيش المصري في زمن السلم عن 18000 الف جندي وللباب العالي ان يرفعه الى ما شاء في زمن الحرب وألا تبني مصر سفنا حربيا الا بإذن صريح من الباب العالي.

-13 لما كان امتياز حكم مصر الوراثي المخول لمحمد علي واسرته مقرونا بالشروط السابقة فالإخلال باي منها يؤدي الى سقوط حقهم في هذا الامتياز. [91]

(91) وأصدر السلطان فرمانا آخر في ذلك اليوم (13 فبراير) بإسناد أقاليم السودان (النوبة ودارفور وكردفان وسنار وجميع توابعها وملحقاتها) إلى محمد علي وهو الذي تكلمنا عنه في الفصل السادس.

النتيجة

أصبحت مصر منذ سنة 1840 دولة مستقلة غير مكتملة السيادة استقلالا داخليا يضاف اليه بعض مظاهر الاستقلال الخارجي، مثل حق مصر في قبول ممثلي الدول الاجنبية كالقناصل والوكلاء.

ولا نزاع في ان قيود السيادة العثمانية التي قيدتها بها معاهدة لندره هي نتيجة تامر الدول الاوروبية على مصر وانحيازها الى تركيا، فاذا كانت مصر لم تحقق في ذلك العصر كل امانيها وحقوقها الشرعية في الاستقلال المطلق من كل قيد فإنما يرجع ذلك الى الاضطهاد الذي وقع عليها من الدول المتحالفة، وهو الاضطهاد الذي حرم مصر ثمرة انتصاراتها ووقف حجر عثرة في سبيل تحقيق استقلالها التام، ولا يخفى ان سبب الاضطهاد الذي وقع على مصر يرجع لاطماع انجلترا واهوائها، فان الحكومة الانجليزية كما فصلنا ذلك هي التي املت سياستها على الدول الاوروبية تحقيقا لأطماعها الاستعمارية في الشرق.

ومن الواجب ان نقول انه لولا حروب مصر المتواصلة وانتصاراتها في عصر محمد علي لما رضيت اوروبا ولا تركيا باستقلال مصر المقيد، بل لرجعت بها ولاية كسائر ولايات السلطنة العثمانية يتعاقب عليها الولاة الترك. فلولا تلك الحروب وما اظهرته مصر من القوة والمنعة لما احتفظت باستقلالها الذي نالته في ميادين القتال. فالدماء التي جادت بها، والتضحيات التي احتملتها، هي التي حفظت ذلك الاستقلال وصانته من الضياع، فلم يعد في استطاعة تركيا ولا الدول الاوروبية ان تعيدها الى حالتها القديمة [92].

انتهى النقل عن عبد الرحمن الرافعي.

(92) عصر محمد علي عبد الرحمن الرافعي ط 5 دار المعارف مصر 1989. ص 320-217 باختصار

هذه المأساة!!!

بهذه الطريقة المأساوية انتهى مشروع (الدولة المركز) الذي سعى محمد علي باشا لتحقيقه ليبقى الإقليم مفككا ومشتتا ولتبقى السلطة الإسمية بيد العثمانيين السلاجقة أما السلطة الحقيقية فكانت تنتقل تدريجيا ليد الغرب الأوروبي الصاعد علميا وحضاريا وعسكريا في هذا الوقت.

كان الغرب يدق الأسافين في نعش الإمبراطورية المتهالكة ويعد العدة للتخلص منها ولكن ليس لصالح دولة مركز قوية مقرها مصر يمكن لها أن تتلافى خطايا العثمانيين البرابرة أعداء الرقي والحضارة الإسلامية عشاق التسلط وسفك الدماء!!.

كان الغرب أيضا يعد العدة ويهيء الأرضية للمد الوهابي السعودي الذي تنفس الصعداء بهزيمة مصر في هذه الدورة من الصراع والذي لم يكن ممكنا له أن يقيم دولته ولو بعد ثمانين عاما من هذه المأساة لو كانت هذه الدولة المركز استقرت وتمكنت.

الذين يتباكون الآن على حالة التقسيم والتشرذم التي رسخها اتفاق سايكس بيكو يتغافلون إما عمدا أو جهلا عن حقيقة أن الغرب ما كان له أن يفلح في احتلال مصر والشام قبل أن يجري تقاسم المنطقة كغنيمة باردة بين الإنجليز والفرنسيين لو بقي الشام موحدا مع مصر كما أمل وعمل من أجل تحقيق هذه الغاية ومن قبلها الدولة الفاطمية القوية الغنية.

من المنطقي أن نخلص من خلال قراءة دفتر هذه المحنة لحقيقة أن القوة العسكرية وحدها ليست كافية لفرض الوحدة والحفاظ على الاستقرار وأن الضمانة الأساس للحفاظ على الكيان هو وعي الشعوب وإحساسها بالعدل والاستقرار وهو ما يبدو أنه لم يكن حاضرا في وعي محمد علي، بالدرجة الكافية رغم أن أمتنا دينها الإسلام الذي حض على الوعي والعلم والفقه ورفع مكانة العلماء.

لا شك أن أحد أبشع الجرائم التي ارتكبت في حق أمة لا إله إلا الله وما تزال ترتكب حتى الآن هو تغييب الوعي الصحيح بالإسلام وهو أمر لا يمكن النظر إليه باعتباره

مجرد طريق يوصل إلى الجنة وينجي صاحبه من النار، كونه دعامة رئيسية من دعامات البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

ما فعله محمد علي هو حشد القوة العسكرية المسنودة بقوة علمية ساعدته على تأسيس جيش قادر ومتمكن وعمق حضاري لا يتوفر إلا لقلة من شعوب المنطقة، إلا أن عيوب المجتمعات العربية ونقاط ضعفها القديمة والراسخة مكنت الوحش الإمبريالي الصاعد آنئذ من إحباط خط الصعود العربي والإسلامي الذي قاده محمد علي وحاول من خلاله التخلص من الكابوس العثماني الذي بقي جاثما على أنفاس العرب ثمانين عاما إضافية ناهيك عن الإجرام البريطاني الذي قضى على استقلال مصر بعد هذه المأساة بأربعين عاما.

ما زالت مصر تعيش على هذا (العمق) الحضاري الذي لم يجر تحديثه ولا تفعيله منذ سقوط الدولة الفاطمية بل العكس هو الصحيح حيث شرعت الأبواب وأزيلت العوائق أمام ريح السموم الوهابية الآتية من نجد والتي ضاعفت دوافع انتشارها وتمددها سواء كانت دوافع ذاتية ترتبط بطبيعة المشروع الوهابي التكفيري أو دوافع ثأرية انتقاما من الدور المصري بقيادة محمد علي باشا وولده إبراهيم في القضاء على الدولة الوهابية الأولى!!.

على المستوى الإقليمي كرست معاهدة لندن رفض الغرب المطلق لتوسع الدور المصري إلى حدوده الطبيعية نحو الشمال الشرقي وألغت نتائج انتصاره التاريخي على الحركة الوهابية حيث قررت المعاهدة (تخويل محمد علي وخلفائه حكم مصر الوراثي، ويكون له مدة حياته حكم المنطقة الجنوبية من سورية المعروفة بولاية عكا (فلسطين)، شرط ان يقبل ذلك في مدة لا تتجاوز عشرة ايام من تاريخ تبليغه هذا القرار ، وان يشفع قبوله بإخلاء جنوده لجزيرة كريت وبلاد العرب وإقليم أضنة وسائر البلاد العثمانية عدا ولاية عكا، وان يعيد الى تركيا اسطولها).

لماذا قرر المستكبرون سحب الجيش المصري من جزيرة العرب بعد قضاء محمد علي باشا على الدولة الوهابية الأولى وهو الانجاز الذي عجزت عنه الدولة العثمانية

السلجوقية ما لم يكن مقررا سلفا في استراتيجية الاستكبار العالمي إعطاء الفرصة لهذا النبت الشيطاني أن يكبر ويتحول إلى دولة وازنة مشاغبة تبقى دوما كبؤرة زلزالية تضمن عدم الاستقرار في المنطقة حتى سنحت لها الفرصة بعد بضعة عقود لتتمكن وتسيطر بدلا من لجوء هؤلاء المستكبرين للتدخل المباشر!!.

يزعم الغرب الاستكباري الذي انتقلت قيادته الآن من عاهرة أوربا لأمريكا أنه يحارب الإرهاب ولا بأس أن يسمح له ببعض العمليات داخل حدوده كي يتسنى له الزعم أنه ضمن ضحاياه بينما تشهد هذه الصفحات التي سردناها أنه المسئول الأول عن عودة الدولة الوهابية للحياة بعد أن قضى عليها المصريون.

كانت ولا زالت مأساة العقل السياسي العربي انعدام قدرته على استيعاب الدور الذي يلعبه صراع المذاهب والأفكار واتكائه على مؤسسات (دينية) عاجزة أصابتها الشيخوخة والهرم لحظة ولادتها فكيف يمكنها استعادة دور موهوم لم تؤده ولو للحظة واحدة طيلة تاريخ من الفشل والإحباط.

الطفرة الوهابية

عقب الهزيمة القاسية التي تعرضت لها مصر عام 1967 وجدت القيادة المصرية نفسها في موقف لا تحسد عليه فهي مضطرة للتصالح مع آل سعود ومحتاجة لدعمهم المالي من أجل إعادة تسليح الجيش المصري والتجهيز للمواجهة الآتية حتما وكان طبيعيا أن تتخلى عن مواقفها المتشددة التي اعتمدتها سابقا في مواجهة المد الوهابي من يومها إلى أن بلغ قمته في أعقاب ثورة 25 يناير حيث أسس الوهابيون عدة أحزاب أهمها (النور) الذي استطاع الحصول على الثلث المعطل في أول برلمان للثورة.

تحول الخصم السعودي الوهابي إلى صديق مفروض ما من صداقته بُد كما يقول المتنبي (ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى *** عدوا له ما من صداقته بد).

منذ هذه اللحظة توسع الاختراق الوهابي لمصر، ولا يعني هذا أن مصر لم تعرف هؤلاء ولم ترهم من قبل، بل يعني أن الأبواب قد فتحت لهم على مصراعيها للتمدد من يومها وحتى الآن.

على سبيل المثال أنشيء قرب منزلي عام 1968م في مدينة المنصورة مسجد الجمعية الشرعية الوهابية في موقع مميز كان ملكية عامة هو المقابر القديمة للمدينة، ووقتها كان الموقف الشعبي من (السنيين) موقفا سيئا للغاية بسبب ممارساتهم التي بدت وقتها للرأي العام غريبة ومنفرة.

توسعت تلك المساجد بعد ذلك وانتشرت في أغلب مصر لتؤدي مهمتها الرئيسية

وهي التبشير بالوهابية تحت ستار إحياء السنة وإماتة البدعة وغيرها من الشعارات المتغيرة والمتبدلة التي جرى توظيفها كي يسهل على الماس ابتلاع تلك الوصفة السامة.

من بضعة مساجد ومقرات في بعض المدن الرئيسية إلى آلاف المساجد على مستوى الجمهورية للجمعيتين الرئيسيتين، أنصار السنة والجمعية الشرعية، ناهيك عما ألحق بهذه المساجد من معاهد ومدارس ومستشفيات، وكلها تقود إلى نتيجة جوهرية هي تأسيس القاعدة البشرية الوهابية التي خرجت بعد ذلك تلك التنظيمات الإرهابية التي تكاثرت وانتشرت في شتى بقاع الدنيا.

يرى السذج والبسطاء أن الهدف الأساس لهذه الكيانات هو نشر الدعوة الوهابية وحسب، بينما نرى نحن أن وراء ذلك خطة وخطوة وراء خطوة وصولا إلى الحرب العالمية الدائرة الآن في المنطقة والتي تسعى من خلالها الوهابية الأم لإقامة وهابستان العظمى التي تضم الشام والعراق والتي تتحالف مع إسرائيل الكبرى.

السؤال هو: من يمول هذه الجمعيات ويسهم في بنائها؟!.

هل هي صناديق التبرعات الخشبية التي يضعها هؤلاء وفوقها لافتة (تبرع يا أخي لبناء بيت من بيوت الله) وهل يمكن التعويل على ما تجلبه هذه الصناديق من أموال لا تغني ولا تسمن من جوع؟!.

الذي أعرفه أنا ومن خلال علاقتي التي كانت قريبة آنئذ بمنشئي هذه المساجد أن الممول الأساس لبناء هذه القلاع هو النظام السعودي ومؤسساته المختلفة، وقد بلغت الأمور أبعد من هذا عندما هدمت مساجد تابعة لوزارة الأوقاف وأعيد بناؤها بتمويل سعودي ومباركة من وزير الأوقاف الأسبق زقزوق شريطة إزالة الأضرحة الملحقة بها ومن بينها مسجد جدي (سيدي علي النفيس رضوان الله) في قلب دمياط.

بتاريخ 18 نوفمبر 2009 نشرت جريدة روز اليوسف اليومية بقلم محمود محرم تحت عنوان: أطراف جديدة تنضم إلي صراع مشايخ «أنصار السنة» حول «كعكة التمويل» ما يلي:

تزايدت حدة الصراعات الدائرة بين قيادات جماعة أنصار السنة المحمدية علي خلفية

الأموال الواردة من دول الخليج والكيفية التي جرت وفقها عملية التوزيع بين الأعضاء، وبلغ الصراع ذروته في الاجتماع الأخير لمجلس إدارة الجمعية قبل أيام، حيث كشفت مصادر بالجماعة عن وصول الأمر حد التشابك بالأيدي بين الأعضاء وتبادل الشتائم الخارجة، حتي إن الشيخ أسامة سليمان مسئول العلاقات العامة للمساجد والفروع أصيب بغيبوبة سكر خلال الاجتماع.

زاد الموقف اشتعالا الخطاب الذي نشرت روزاليوسف نسخة منه في الصفحة السابقة من «ضد التطرف»، والموجه من قبل جمال سعد رئيس تحرير مجلة التوحيد ـ صوت الجماعة ـ الي الأمير عبد الرحمن آل سعود يطلب منه التعامل معه هو والشيخ جمال المراكبي الرئيس السابق في تقديم الأموال للجماعة باعتبارهما ممثلين رسميين لها وان الأخير هو الرئيس الشرعي للجماعة.

أحد أعضاء مجلس إدارة الجماعة قال ان رئيس تحرير التوحيد انكر في بداية الاجتماع صحة الخطاب وتنصل من المسئولية عنه لكنه عاد واعترف مرة أخري قائلا انه خطاب قديم غير ان التوقيع كان يحمل تاريخ 9 نوفمبر الجاري، مما دفع عددا من أعضاء المجلس لاتهام سعد بإهدار أموال الجماعة وقدموا بذلك مذكرة يطلبون فيها التحقيق في الواقعة غير ان د. عبد الله شاكر رئيس مجلس الإدارة قال لهم ان يقدموا طلبهم للنيابة العامة لانه لا يتستر علي أي وقائع

أما جريدة الواشنطن بوست الأمريكية فتقدم رؤية أشمل للتمويل الوهابي كتبه ديفيد أوتاوي **David B. Ottaway** في عددها الصادر بتاريخ 19 أغسطس عام 2004 جاء فيه: بدأ تصدير المذهب الوهابي إلى جميع أنحاء العالم على نطاق واسع، عام 1962م، وذلك عندما قام آل سعود، حكام المملكة العربية السعودية، بتمويل رابطة العالم الإسلامي من أجل تشجيع «التضامن الإسلامي». حيث كان آل سعود يسعون إلى مواجهة تيار القومية العربية الذي كان يقوده الرئيس المصري جمال عبد الناصر، والذي كان ينادي بإسقاط الملكية السعودية.

كانت العائلة المالكة تري في تصدير الإسلام الذي يسمونه «الدعوة» واجباً مقدساً.

حيث أن بلادهم هي مهد الإسلام، وأن مملكتهم تستضيف الحرمين الشريفين في مكة والمدينة.

في عقد الستينيات كانت المملكة فقيرة نسبياً. ولم يكن لديها الكوادر المدربة لتسيير رابطة العالم الإسلامي ولذا قامت بتوظيف العشرات من المدرسين، والعلماء والأئمة المصريين الذين ينتمون إلى جماعة الأخوان المسلمين، وهي حركة تمارس النشاط السياسي السري، وتسعى إلى إعادة الحكم الإسلامي إلى المجتمعات العلمانية العربية.

بحلول العام 1982م أحست العائلة المالكة السعودية أنها مهددة بالثورة الإسلامية التي بدأها الزعيم الشيعي المسلم آية الله الخميني في إيران، و بعض المتطرفين من مواطنيها، الذين قاموا بالاستيلاء على المسجد الحرام في مكة لفترة مؤقتة في عام 1979م. واتجهت العائلة المالكة إلى الدعوة مرة أخرى.

أصدر الملك فهد توجيهاً بأنه «ليس هناك أي حد للإنفاق على نشر الإسلام»، على حد قول نواف عبيد، وهو محلل سعودي متخصص في الشئون النفطية والأمنية. إن المملكة العربية السعودية الآن لديها المال: حيث أن إيراداتها النفطية قد تصاعدت منذ الحظر النفطي في عام 1973م. واستغل الملك فهد هذه الأموال في بناء المساجد والمراكز الإسلامية والمدارس بالآلاف في جميع أنحاء العالم. وخلال العقدين التاليين تمكنت المملكة من بناء 200 كلية إسلامية 210 مركز إسلامي و 1.500 مسجد و2.000 مدرسة للأطفال المسلمين في الدول الغير إسلامية، وذلك بناء على ورد في الموقع الشخصي للملك فهد على الإنترنت. وفي عام 1984م قام الملك ببناء مجمع لطباعة القرآن في المدينة بتكلفة 130 مليون دولار، مخصص لإصدار ترجمات للقرآن الكريم بعدة لغات. وبحلول العام 2000م كانت المملكة قد وزعت 138 مليون نسخة من القرآن الكريم في جميع أنحاء العالم.

وقال «ديفيد أوفهوسر «**David D. Aufhauser**، وهو مستشار سابق بوزارة الخزانة الأمريكية، أمام إحدى اللجان في مجلس الشيوخ في يونيو الماضي « ليس من المعروف حجم المبالغ التي أنفقت على نشر المذهب الوهابي، ولكن هناك بعض

التقديرات التي تشير إلى أنه يتجاوز مبلغ 75 مليار دولار». كما أن إدوارد مورس Edward L. Morse، وهو محلل نفطي في شركة هس لتجارة الطاقة Hess Energy Trading Co، قال، إن الملك فهد قد خصص حسابا نفطياً خاصاً يقوم بحجز قيمة مائتي ألف برميل في اليوم- أي 1.8 مليار دولار في العام حسب مستوى الأسعار في عقد الثمانينيات. وأكد الخبير النفطي نواف عبيد، وجود هذا الحساب في عقدي الثمانينيات والتسعينيات، وقد إغلق مؤخراً.

وزارة نشر الوهابية!!

بعد حرب الخليج في عام 1991م، شجبت بعض العناصر الراديكالية في المملكة والأخوان المسلمين، استدعاء آل سعود للأمريكيين للدفاع عنهم. ورداً على ذلك قام الملك فهد بتشديد الرقابة على حملات الدعوة والأعمال الخيرية، وحاول تخليصها من تأثير الأخوان المسلمين، حيث قام بتأسيس مؤسسة خيرية جديدة وتحت الإشراف السعودي، وهي مؤسسة الحرمين الخيرية.

وكجزء من هذه الجهود قام السعوديين بإنشاء وزارة للشئون الإسلامية في عام 1993م، والتي كان يرجى منها أن تكون المؤسسة الرئيسية التي تعمل على تصدير المذهب الوهابي. حيث أن الاسم الرسمي للوزارة هو، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ويتولاها الشيخ صالح آل الشيخ، وهو من أحفاد ابن عبد الوهاب.

إن هدف التخفيف من نزعة التمرد لدى الأخوان المسلمين كان ناجحاً إلى حد ما. ويقول بعض العلماء السعوديين وبعض المصادر، أن الوزارة أصبحت معقلاً للمتعصبين.

تقع وزارة الشئون الإسلامية في مبني من الخرسانة والزجاج في حي الملز بالرياض بالقرب من مطار المدينة القديم. وفي حوار أجري معه في مكتبه في مارس، قال آل الشيخ أن الوزارة تجتمع أسبوعياً «لتنسيق السياسات الإسلامية لمختلف الوزارات في خارج

البلاد.»

إن امتداد برامج الوزارة شيء مرعب. فهي تدفع رواتب 3.884 من الدعاة والوعاظ الوهابية، حيث أن هذا العدد يساوي ستة أضعاف عدد الدبلوماسيين السعوديين الذين يعملون في جميع السفارات السعودية في الخارج والبالغ عددها 77 سفارة. وإن المسئولين التابعين للوزارة في إفريقيا وآسيا لديهم من الأموال التي يقومون بتوزيعها أكثر مما لدى السفراء السعوديين، وذلك حسب عدد من المصادر السعودية. كما أن مسئولي وزارة الشئون الإسلامية يمثلون مفوضين دينيين، ويؤدون دور الرقابة على السلوك الأخلاقي للدبلوماسية السعودية. وفي الولايات المتحدة، فقد أصبح قسم الشئون الإسلامية الذي يتكون من أربعين شخصاً والذي أنشئ في السفارة السعودية بواشنطن، جهة مستقلة مع قليل جداً من الإشراف من قبل السفير الأمير بندر بن سلطان الغائب دائماً.

وقدر آل الشيخ ميزانية وزارة الشئون الإسلامية بمبلغ 530 مليون دولار في العام، جلها يصرف كمرتبات لأكثر من 50 ألف شخص ضمن كشف الرواتب بالوزارة. وهذا الرقم لا يشمل مئات الملايين من الدولارات التي يقدمها الملك فهد وبعض كبار الأمراء كمساهمات شخصية من اجل نشر الإسلام في الداخل والخارج، وذلك على حد قول أحد المحللين السعوديين والذي أصر على عدم ذكر اسمه نظراً لحساسية الموضوع. وقال، إن النفقات الحقيقية لنشر الإسلام تتراوح بين مليارين وملياري ونصف في العام.

وقال آل الشيخ إن وزارته «تشرف» على الجمعيات الخيرية في الخارج، وذلك «للتأكد من أن أموالها تذهب إلى غاياتها الصحيحة»، كما أنها توفر كتباً دينية وعلماء للمراكز والمدارس والجامعات الإسلامية التي تدعمها السعودية. وقال «لكن ليست هناك مسئولية مباشرة عنها».

إن آل الشيخ هو المشرف المباشر على إحدى المؤسسات الخيرية التي تدعمها الحكومة السعودية، وهي مؤسسة الحرمين الخيرية، والتي أضافت جيشاً قائماً بذاته يتكون من ثلاثة آلاف من الدعاة إلى الـ 3.884 الموجودين أصلاً لدى الوزارة.

إن الميزانية السنوية لمؤسسة الحرمين التي تتراوح ما بين أربعين وستين مليون دولار،

تنفق على المساجد والمدارس والقرآن والآبار والغذاء وألبسة الحجاب، إلى جانب عشرات العيادات والمراكز الصحية ومراكز رعاية الأيتام، في بعض الأطراف الفقيرة جداً من العالم. وقد غطت المؤسسة خمسين بلداً حول العالم.

وفي عام 1997م عملت هذه المؤسسة أول تواجد لها في الولايات المتحدة عندما دخلت أشلاند **Ashland** بولاية أوريجون **Oregon**. وقد صُنفت كمنظمة مؤيدة للإرهاب، كما تم تصنيف رئيسها عقيل عبد العزيز العقيل، الذي ظل يشغل منصب مديرها العام منذ إنشائها. وقد كان يديرها من المكتب الرئيسي في الرياض.

إن البنية التحتية للدعاة والأموال السعودية في الولايات المتحدة، قد بدأت كوقاية ضد انتشار المذهب الشيعي الراديكالي في المساجد الأمريكية، والذي أخذ في التزايد بعد أن قام الخميني بخلع شاه إيران.

وقال وزير الخارجية السعودي، الأمير سعود الفيصل، في حديث أجري معه في مارس الماضي «لقد طلبت دول غربية كثيرة من المملكة العربية السعودية التدخل في هذه المراكز الإسلامية، لأنهم في ذلك الوقت كانوا يعتبرون المملكة العربية السعودية دولة معتدلة.» وقال «لقد أحس الأمريكيين بالاطمئنان بعد تواجد السعوديين.«

ولقد نما هذا التواجد بشكل سريع بفضل الأموال السعودية. وقدم موقع الملك فهد على الإنترنت قائمة من ستة عشر مركزاً إسلامياً وثقافياً قامت المملكة بالمساعدة في تمويلها في كاليفورنيا **California** وميسوري **Missouri** وميتشجن **Michigan** وإلنوي **Illinois** ونيو جيرسي **New Jersey** ونيو يورك **New York** وأوهايو **Ohio** وفيرجينيا **Virginia** وميريلاند **Maryland**. أكبرها هو مسجد الملك فهد في مدينة كولفر **Culver City** وهي إحدى ضواحي لوس أنجلس **Los Angeles** ، حيث أن المسجد كان قد بني بمبلغ ثمانية ملايين دولار كتبرع شخصي من الملك وابنه، وولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز [93] ، وقد تم تدشينه رسمياً في عام 1998م ويتسع لألفين من المصلين. ويشتمل المسجد كذلك على مدرسة قرآنية ومركز

(93) المترجم : لقد صححت الصحيفة ذلك حيث ذكرت أن المقصود هو الأمير عبدالعزيز بن فهد.

للبحوث الإسلامية ومكتبة.

لقد ترأس الحملة قسم الشئون الإسلامية بالسفارة السعودية في واشنطن. وفي أوج تلك الحملة كان لدي القسم من 35 إلى 40 دبلوماسياً وميزانية سنوية قدرها ثمانية ملايين دولار، على حد قول أحد المسئولين السعوديين.

وفي عام 1989م قام السعوديين أيضاً بإنشاء مركزاً إسلامياً قوياً، وهو معهد العلوم الإسلامية والعربية في أمريكا، في فيرفاكس **Fairfax**. حيث أن المعهد يتبع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وهي المعقل الرئيسي لتعاليم الوهابية.

في ديسمبر الماضي أوقفت الخارجية الأمريكية الإجراءات التي كانت تسمح لعلماء الدين والدعاة أن يستخدموا جوازات سفر دبلوماسية سعودية، مجبِرة بذلك – على الأقل – أربعة وعشرون من هؤلاء على مغادرة البلاد. وقد كان من أشهر المرحلين جعفر شيخ إدريس، وهو عالم سوداني معروف على نطاق واسع في العالم الإسلامي، ومؤسس الجامعة الأمريكية المفتوحة في مدينة الإسكندرية **Alexandria** بالولايات المتحدة، والتي كان لديها في عام 2002م، 540 من الطلاب المسجلين لتلقي الدراسات الإسلامية في مستوى البكالريوس والدراسات العليا.

كذلك إقفل معهد العلوم الإسلامية والعربية بسبب هذه الإجراءات الصارمة. كما أُمر اثنا عشر من العلماء الذين كانوا يعملون فيه من الذين كانت بحوزتهم جوازات سفر دبلوماسية بمغادرة الولايات المتحدة. وفي بداية يوليو الماضي قام العشرات من عناصر مكتب التحقيقات الفيدرالي **FBI** والجمارك ودائرة الضرائب الداخلية **IRS** بمداهمة مباني المعهد واستجوبوا ما تبقى من المدرسين، وهم ستة من غير السعوديين. انتهى النقل.

جيش عرمرم من دعاة الوهابية يتلقون رواتب شهرية نفطية وجوازات سفر دبلوماسية تتيح لهم حرية التحرك أينما شاؤوا، والأهم من هذا أن الوهابية والولايات المتحدة يد واحدة في وجه حركة التشيع في شتى أنحاء العالم.

من خلال قرائتنا لتاريخ العلاقة بين مصر وآل سعود نرى طفرة وهابية حدثت بسبب

الطفرة النفطية، إلا أننا نعتقد أن خطط التوسع الوهابي وضعت موضع التنفيذ في اللحظة التي أعلن فيها عن تأسيس الدولة السعودية.

عندما نشر هذا التقرير عام 2004 مـ أي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بثلاثة أعوام قدر حجم الإنفاق السعودي لنشر الوهابية بما يتجاوز ال 75 مليار دولار وهو رقم يستند إلى شهادة أدلى بها مسئول سابق في الخزانة الأمريكية استنادا إلى أن فهد بن عبد العزيز قد خصص حسابا نفطياً خاصاً يقوم بحجز قيمة مائتي ألف برميل في اليوم- أي 1.8 مليار دولار في العام حسب مستوى الأسعار في عقد الثمانينيات. وأكد الخبير الأمني نواف عبيد، وجود هذا الحساب في عقدي الثمانينيات والتسعينيات.

من المفيد أيضا أن نلفت الانتباه إلى أن الإنفاق على الترويج للوهابية لم يكن يوما قاصرا على دولة آل سعود فهناك المئات وربما الآلاف من (فاعلي الخير) الذين يقومون بنفس المهمة.

يأخذنا هذا إلى وجه آخر من وجوه النفاق والتلون السعودي وهو محاولة التنصل من شلالات الدم التي أغرقت عالمنا الإسلامي بفضل التمدد الوهابي والقول بأن هذا التمويل ليس سياسة دولة بل تصرفات فردية!!.

الطفرة النفطية

مصر تدفع الثمن مرتين مرة عند الهزيمة ومرة أخرى عند الانتصار.

البعض سيقول هذا قدرنا، داعيا للتسامي فوق (السفاسف)، أما الواقع فيقول أن آل سعود هم ذراع الصهيونية الضارب والممتد في قلب العالم الإسلامي، المنفذ لسياساته والمتماهي معه في كل خططه ومؤامراته.

مأساتنا ليست قدرنا فالمهم أن نتسلح بالوعي لنعرف مع أي صنف من الكائنات نتعامل وألا نسلم أمورنا للمنافقين المرتشين حملة المباخر والطبالين والزمارين الذين اصبحت سيرتهم معروفة للقاصي والداني.

مقال جميل ورائع نشره كاتب اسمه (أسامة خالد) يعري فيه أكذوبة التحدي والتصدي الذي قام به الملك السعودي فيصل في مواجهة أمريكا والغرب مما أدى لاغتياله حسب وكالة أنباء (مصطفى بكري!!).

نص المقال:

قطع النفط عن أمريكا القصة الكاملة

الكاتب: أسامة خالد

19 يوليو، 2013

كثيرا ما تُختَزل سير القادة في الذاكرة الشعبية بأحداث معدودة تُستَنبط منها صفاتهم وطموحاتهم. تُضَخم تلك الأحداث وتُسطح ويُعاد تفسيرها حسب الحاجة. يصعب استحضار شخصية الملك فيصل دون الرواية الأسطورية لقطع النفط عن الولايات المتحدة التي انطلقت شرارتها مع بدء حرب أكتوبر في مثل هذا اليوم العاشر من رمضان من عام 1393هـ الموافق للسادس من أكتوبر من عام 1973. تخفي الرواية المنتشرة أكثر مما تظهر وتنقل معها سردًا مشوّها للتاريخ.

أتاح مشروع ويكيليكس مؤخرا أكثر من مليون وسبعمائة ألف برقية توثّق مراسلات السفارات الأمريكية ولقاءاتها واستراتيجيتها وتحليلاتها في حقبة السبعينيات. تعد تلك البرقيات مرجعا ثريا وسردا دقيقا يساعد على فهم كواليس السياسة الحديثة، ولعل أهم حدث على الصعيد العربي في تلك الفترة كان حرب أكتوبر. راجعت مئات من تلك البرقيات وفيما يلي سرد للدور الكامل للسعودية في الحرب وقطع النفط.

طالما كان سلاح النفط موضعا للسجالات الإعلامية والتهديدات الصورية ففي أغسطس 1973 التقى الملك فيصل بالمُمثّل الأمريكي لشركة أرامكو (حيث كانت ملكية الشركة تشترك فيها السعودية وأمريكا) فأخبره أن السعودية قد تستخدم سلاح النفط للدفاع عن القضية الفلسطينية. التقى المُمثّل بعد ذلك بوزير الداخلية الأمير فهد

الذي أكد على قوة علاقته بأمريكا وإيمانه بأن مصلحة السعودية تكمن في تلك العلاقة وأنه بصفته رئيس المجلس الأعلى لشؤون البترول والمعادن سيحرص أن تبقى السياسة النفطية تحت السيطرة [94]. في سبتمبر 1973 زار الملك فيصل السفارة الألمانية ليؤكد عمق العلاقة بين السعودية وأمريكا وعلى ضرورة أن تسعى ألمانيا والسعودية للتقرب من أمريكا وحفظ العلاقات معها فعدتها السفارة تراجعا عن التهديد [95].

في 10 رمضان الموافق 6 أكتوبر كانت السعودية أمام اختبار حقيقي حين شنّت سوريا ومصر هجوما مشتركا لاستعادة الجولان وسيناء الذيْن احتلتهما إسرائيل عام 1967. تؤكد البرقيات السرية أن السعودية لم تكن تعلم عن الهجوم شيئا، بعكس الروايات التي تحاول إبراز دورها زاعمة أن استخدام النفط كان قد رُتّب له مسبقا لإنجاح المعركة. الواقع أن الملك فيصل بدا مستاءً من الهجوم لأنه سيضعه في موقف حرج مع الولايات المتحدة ولأنه سيبدو متخلفا عن الركب ولأن الاتحاد السوفيتي قد يجدها فرصة للنيل منه [96]. في 8 أكتوبر التقى محمود ملحس مساعد الأمير فهد بالسفير الأمريكي وأكد له أنه منزعج مما أقدمت عليه سوريا ومصر وأنه يعده عبثيا لكن السعودية ستضطر لمساعدتهما مراعاة للضغوط الداخلية [97]. ظهر سريعا التفوق العسكري العربي لدرجة أذهلت الدبلوماسيين الأمريكيين الذين علموا أن أمريكا ستزود إسرائيل بالسلاح فطلبوا من واشنطن أن يكون تدخلها هادئا [98]. كان المسؤولون السعوديون على علم بتسليح أمريكا لإسرائيل لكنها برّرت لهم ذلك بأن الاتحاد السوفيتي يزود العرب بالسلاح وأن ذلك يجعل الكفتين غير متساويتين [99].

عتّمت الصحافة السعودية على أي ذكر لتسليح أمريكا لإسرائيل بل ذهبت أبعد من ذلك فحذفت أجزاءً من خطبة للسادات يشير فيها إلى معونة أمريكا لإسرائيل [100]؛

(94) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA03604_b.html
(95) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04119_b.html
(96) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04506_b.html
(97) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04352_b.html
(98) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04358_b.html
(99) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04511_b.html
(100) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04563_b.html

وأخبرت وزارة الإعلام السفارة الأمريكية أنها أقدمت على ذلك تفاديا لتهييج المشاعر ضد أمريكا [101].

في هذه الأثناء التقى السفير البريطاني بعدد من المسؤولين السعوديين وجميعهم بلا استثناء كان قلقا من أن السعودية قد تضطر للمشاركة الفعلية لأنها إن لم تفعل فسيحملها العرب المسؤولية حال الخسارة وسيلومونها حال الفوز وانتقد بعضهم بشدة السادات وبدأه للمعركة [102].

في 9 أكتوبر كان وزير الدولة للشؤون الخارجية عمر السقاف في الأمم المتحدة وهدد بقطع النفط، لكن يبدو أنه كان تصريحا ارتجاليا إذ إن السفارة البريطانية سألت سعود الفيصل عن ذلك فأخبرهم أنه لم يكن على علم مسبق [103] .صرّح الأمير سلطان أيضا أن السعودية ستقلل من إمدادات النفط لكن الخارجية السعودية أخبرت السفارة أن حديث الأمير سلطان عام ولا علاقة له بالظروف الراهنة. في ذات الأثناء أخبر مسؤولون سعوديون السفارة الأمريكية أنهم يستبعدون أن تخوض السعودية الحرب [104] ،لكنها لا تستطيع أن تمكث هكذا ولذا فإن اضطرت للمشاركة فستكون مشاركتها رمزية[105].

في 10 أكتوبر أخبرت السعودية الأردن أنها سترسل كتيبة إلى سوريا فخاف رئيس الوزراء الأردني زيد الرفاعي من ذلك فاتصل بالسفارة الأمريكية في عمّان ليطلب منها أن تتواصل مع الملك فيصل لأن الأردن لن تستطيع أن ترفض [106].

في هذه الأثناء كانت الصحافة السعودية تهوّل من دور السعودية وتشيد بمشاركتها في الجبهة السورية ولتتأكد أمريكا أن السعودية لن تُقدِم على شيء ولتُحكِم قبضتها راسلت وزارة الخارجية الأمريكية شركات الدفاع الأمريكية طالبة منها ألا تشترك في أي نشاط خارج الحدود السعودية [107]. في 11 أكتوبر التقى الأمير نواف بن عبد العزيز السفير

(101) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04574_b.html
(102) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04376_b.html
(103) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04379_b.html
(104) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04401_b.html
(105) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04379_b.html
(106) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04394_b.html
(107) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973STATE201397_b.html

الأمريكي ليؤكد له حرص السعودية على علاقتها بأمريكا وعلى ضرورة وقف إطلاق النار وأكد له أن العرب لا يريدون تدمير إسرائيل بل تنفيذ قرار مجلس الأمن 242 القاضي بانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام 1967. [108]

في 10 أكتوبر دعت الكويت الدول المُصدّرة للنفط لاجتماع عاجل لبحث استخدام سلاح النفط وجاءت الدعوة بعد تنامي ضغط البرلمان الكويتي والاحتجاجات الشعبية [109] عدت السعودية المبادرة محرجة لأنها لا تريد المغامرة[110] في ذات الوقت أكد ولي العهد الكويتي جابر الأحمد الصباح للسفير البريطاني أن الكويت «لا تريد أن تضر أصدقاءها فهي تحتاجهم». في 17 أكتوبر عُقد الاجتماع وسرعان ما وشى وزير النفط السعودي أحمد زكي يماني بمجرياته التفصيلية للسفارة الأمريكية: كانت العراق وليبيا تقفان في الجانب «الرديكالي» فطالبا بقطع النفط تماما وقطع العلاقات مع أمريكا وسحب أرصدة الدولار لينهار، لكن السعودية واجهت بشدة كل تلك المقترحات، فدعت العراق الدول للانسحاب من الاجتماع لكن أحدًا لم يلحق بها. انتهى الاجتماع بعد التسوية إلى خفض نسبة الإنتاج ٪5 على الأقل شهريا وبأثر رجعي حتى حل القضية[111].

في 19 أكتوبر طلب الرئيس الأمريكي ريتشارد نكسون من الكونغرس اعتماد معونة عسكرية عاجلة لدعم إسرائيل بمبلغ 2.2 مليار دولار. كان التطور صارخا ولا يمكن كتمانه كما كُتِمت المعونات السابقة، فاضطرت السعودية لإعلان قطع النفط عن أمريكا بعد أن قامت ليبيا بذلك.

حاولت العراق استثمار الفرصة لرفع سقف الطموحات فطالبت بتأميم شركات النفط وسحب جميع الأرصدة العربية من الدولار وقطع العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع أمريكا ثم هاجم إعلام العراق السعودية واتهمها بالخيانة والوقوف على

(108) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04423_b.html
(109) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04423_b.html
(110) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04441_b.html
(111)https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04615_b.html

المصالح الأمريكية. وصرّح وزير النفط السوري أنه كان ينتظر إجراءات أقوى على الجبهة النفطية [112].

قُسّمت الدول المستهلكة للنفط لثلاثة أقسام: دول مُقاطَعة وهي الدول التي تسلح إسرائيل ولا تنال من نفط السعودية شيئا (أمريكا وهولندا والبرتغال)، ودول مُحبّذة وهي الدول التي أدانت إسرائيل وتنال حصتها كاملة كما كانت قبل الحرب دون نقصان (بريطانيا وفرنسا وإسبانيا)، ودول غير مُحبّذة وهي الدول التي لم تنحز للعرب وتتأثر بالنقصان الشهري المتصاعد لإمدادات النفط (بقية دول العالم) [113]

لم يكن قرار قطع النفط مؤثرا على بقية العلاقات العسكرية والتجارية والدبلوماسية والشخصية بين السعودية وأمريكا.

على الصعيد العسكري التقى نائب وزير الدفاع الأمير تركي بن عبد العزيز برئيس البعثة الأمريكية للتدريب العسكري في 21 أكتوبر (بعد الحظر بيومين) ليؤكد له أن السعودية اضطرت لاتخاذ هذه «القرارات السياسية» وأنها يجب ألا تؤثر في التعاون العسكري [114] ، وبعد أسبوع زار نائب رئيس شركة ريثيون الأمريكية للسلاح وزير الدفاع الأمير سلطان ليطمئن على استمرار صفقة شراء معدات دفاعية [115]،ثم زار وفد سعودي ولاية جورجيا الأمريكية ليستلم طائرات حربية من شركة لوكهيد [116] ،وتواصل رئيس الحرس الوطني الأمير عبد الله بن عبد العزيز مع السفارة الأمريكية طالبا صفقات للحرس الوطني [117].

أما على الصعيد الاقتصادي فأكّد رئيس مؤسسة النقد السعودي أنور علي للسفارة الأمريكية أن السعودية لا تنوي سحب أرصدتها من الدولار، وراسلت السفارة الأمريكية وزارة الخارجية الأمريكية لتبلغها أن بإمكان رجال الأعمال الأمريكيين

(112) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04672_b.html
(113) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973STATE224421_b.html
(114) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04663_b.html
(115) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04725_b.html
(116) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973STATE223317_b.html
(117) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA05461_b.html

القدوم وإتمام صفقاتهم كما كانوا [118] وأجريت مشاورات عن استمثار شركة جنرال موتورز في السعودية[119].

أما على الصعيد الدبلوماسي فاستمرت الاتصالات الدبلوماسية بين المسؤولين السعوديين والسفارة الأمريكية بل أُبلِغت أن السعودية لن تقطع علاقتها بأمريكا حتى لو قطعتها كل الدول العربية. وأكد أحمد زكي يماني أن علاقة السعودية بأمريكا ستكون أقوى مما كانت بعد انتهاء الأزمة [120]. وأكد الملك فيصل لوزير الخارجية الأمريكي هنري كسنجر أن المقاطعة لن تنتهي فحسب بل سيزداد الإنتاج النفطي عما كان عليه قبل الحرب [121].

أما وزير الدولة للشؤون الخارجية عمر السقاف فزار عددا من العواصم العربية (منها القاهرة ودمشق) ثم عاد ليبدي للسفارة الأمريكية استياءه من التوجه العربي «العدواني» لأنه وجد أنهم يعتقدون أن بإمكانهم الإثخان في إسرائيل ولم يكونوا حريصيين على إيقاف إطلاق النار وطلب من أمريكا أن تصدر تصريحا يعزّز من موقف «المعتدلين» (السعودية والمغرب وتونس) [122].

وفوق ذلك كله كانت العلاقات الشخصية بين المسؤولين السعوديين والأمريكيين متينة إذ كان السعوديون يسمون الأمريكيين «الأصدقاء»، وفي عيد الفطر لعام 1973 (في ظل توتر حاد على الجبهة المصرية الإسرائيلية) دعا وزير النفط أحمد زكي يماني السفير الأمريكي لقضاء إجازة العيد معه [123]. كانت السعودية في وضع ممتاز: قدّمت أقل ما يمكن أن تقدمه، وحافظت على علاقات متينة بأمريكا، وحقق الملك فيصل منزلة نضالية لم يسبق له أن نالها [124] (ولا تزال تذكر له إلى اليوم). وعلاوة على ذلك كله زاد دخل السعودية نتيجة لزيادة لارتفاع الطلب على النفط وانخفاض العرض؛ حيث

(118) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04855_b.html
(119) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA05020_b.html
(120) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA05099_b.html
(121) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA05123_b.html
(122) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA05120_b.html
(123) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04708_b.html
(124) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04574_b.html

قدرت السفارة الأمريكية الزيادة بأنها من 4 إلى 8 مليارات دولار سنويًا [125].

في 26 نوفمبر 1973 عُقِدت قمة عربية في الجزائر وحضرها الملك فيصل وقررت القمة أن تترك المجال لكل دولة لتخفض من إنتاجها النفطي كما شاءت. أبدى السفير السعودي في بريطانيا عبدالرحمن الحليسي سعادته للسفير الأمريكي لأن هذا القرار سيخفف الضغط على السعودية [126].

في 22 ديسمبر عقدت أوبك اجتماعًا في طهران ومثّل السعودية وزير النفط أحمد زكي يماني وأصر فيه الشاه على رفع أسعار النفط من 3.05 دولار إلى 7 دولار. رفضت السعودية الارتفاع مطلقا لكن الشاه أكد أنه تشاور مع أمريكا وبريطانيا وكلاهما وافقا على الرفع. اتصل يماني بالسعودية فأمره الأمير فهد ألا يواجه الشاه وأن يقبل. عاد يماني من الاجتماع ليشي مجددا بمجرياته للسفير الأمريكي ويخبره أنه حاول جاهدا أن يقنعهم بتخفيض الأسعار، فأخبره السفير أن الولايات المتحدة -بعكس دعوى الشاه- لم توافق على الرفع فأجابه يماني أن السعودية ستدعو لاجتماع آخر عاجل لأعضاء أوبك للتراجع عن القرار [127]. وهذا ما جرى، ففي 8 يناير 1974 اجتمعت دول أوبك في جنيف وهددت السعودية بأن تخفض وحدها الأسعار [128].

في أواخر ديسمبر 1973 تلقى الملك فيصل رسالة من معمر القذافي يحرض فيها على السادات الذي بدأ مفاوضات السلام مع إسرائيل ويتهمه فيها بالخيانة، فسارع عمر السقاف في اليوم التالي إلى السفارة الأمريكية ليعرضها عليهم ويعرض عليهم مسودة رد الملك التي خطّأ فيها القذافي وحدثه عن ضرورة القبول بالحلول «الواقعية» [129].

في 18 يناير 1974 وقّعت مصر وإسرائيل اتفاقا تنسحب بموجبه إسرائيل عن غرب قناة السويس (التي احتلتها بعد بدء الحرب) وتحافظ على سيطرتها على معظم سيناء، وبقيت الجبهة السورية دون تسوية. في أواخر يناير تصدّرت السعودية مساعي إلغاء

(125) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04574_b.html
(126) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973LONDON14170_b.html
(127) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1974JIDDA00102_b.html
(128) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1974JIDDA00102_b.html
(129) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA05741_b.html

المقاطعة عن أمريكا وسعت لإقناع بقية الدول ثم التقى عمر السقاف بالسفير الأمريكي ليبلغه بالردود التي تلقاها (لم يمانع إلا ليبيا)، واعترف السقاف للسفير أنه رغم سعادته بانتهاء الحرب إلا أن ما تم لا يمكن أن يعد إنجازا لهدف المقاطعة [130]. في أوائل فبراير التقى السفير الأمريكي بنواف بن عبد العزيز (مستشار الملك فيصل) ومساعد بن عبد الرحمن (وزير الاقتصاد) وكلاهما أبلغاه أنه لو كان الأمر بيد الملك فيصل لألغى المقاطعة فورا لكنه يخشى من أن يناله نقد بقية الدول العربية وأن يُتّهم بشق الصف العربي ولذا فلن يتخذ قرارا قبل قمّة طرابلس التي عقدت أخيرا في 13 مارس [131].

لم ينتج عن تلك القمة اتفاق لأن ليبيا أصرت على تأجيل إلغاء المقاطعة لحين تسوية الجبهة السورية، فأُجل إعلان الرفع إلى قمة أوبك في فينا لأن الحضور رأوا أنه من غير الملائم أن يتم ذلك من الأراضي الليبية رغم معارضتها [132]. في 18 مارس أعلن أحمد زكي يماني في مؤتمر صحفي لأوبك أن السعودية ومصر والكويت وقطر والإمارات والبحرين قرروا إلغاء المقاطعة عن أمريكا مع امتناع ليبيا وسوريا عن ذلك [133]. تعهد يماني أن تعوّض السعودية أمريكا عن النقص الذي سيلحقها بسبب مقاطعة ليبيا وأنها ستزود إنتاجها 300،000 برميل [134]، بل ذهب أبعد من ذلك وأخبر السفارة سرًا أن السعودية ستزيد الإنتاج إذا ما احتاجت أمريكا ذلك [135].

في الأيام التالية شنت الصحافة اليسارية هجوما على موقف السعودية وعدَّته بعضها خيانة للقضية وتعاميا عن أن أمريكا لم تقدم شيئا بل أثبتت الحرب تماهيها مع الموقف الإسرائيلي [136].

أحست السفارة الأمريكية بمقدار الهجوم فأرسلت إلى واشنطن طالبة أن يشكر

(130) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1974JIDDA00495_b.html
(131) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1974JIDDA00720_b.html
(132) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1974TRIPOL00316_b.html
(133) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1974VIENNA02407_b.html
(134) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1974JIDDA01534_b.html
(135) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1974BAGHDA00177_b.html
(136) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1974BEIRUT03167_b.html

الرئيس الأمريكي الملك فيصل وأن يهنئه وأشادت ب«حكمة» السعودية ودورها «القيادي » [137].

وهكذا انتهت 150 يومًا من قطع النفط عن الولايات المتحدة: لم يكن الدور السعودي بطوليا فدائيا ولا رياديا، بل كان دور الحريص على تخفيف المقاطعة وتأجيلها قدر المستطاع ثم دور الواشي بالاجتماعات والمراسلات ثم دور الساعي لرفع المقاطعة سريعا بأقل المكاسب. كانت معركة إعلامية ومساومة سياسية ما تزال أساطيرها سائدة حتى اليوم.

خاص بموقع «المقال«

http: / /www.almqaal.com /?p=2928

عندما قامت مصر بشن هجومها على الكيان الصهيوني في حرب أكتوبر 1973 بالتحالف مع سوريا بلغت الأزمة النفسية لآل سعود ذورتها (فالسعودية لم تكن تعلم عن الهجوم شيئا عكس الروايات التي تحاول إبراز دورها زاعمة أن استخدام النفط كان قد رُتّب له مسبقا لإنجاح المعركة).

ألاّ تعلم السعودية بموعد وخطة الهجوم يعني أن السادات لم يكن يثق بهم ليكشف لهم عن خططه ومن باب أولى ليستعين بهم ثقة منه أنهم لن يقدموا له ما يحتاجه من مساعدة!!.

كما يأتي التعبير عن استياء الملك فيصل من الهجوم الذي وضعه في موقف حرج مع الولايات المتحدة وما أكده محمود ملحس مساعد الأمير فهد للسفير الأمريكي عن انزعاجه مما أقدمت عليه سوريا ومصر وأنه يعده عبثيا لكن السعودية ستضطر لمساعدتهما إرضاء للرأي العام الداخلي، متسقا بصورة واضحة مع النهج السياسي السعودي غير الراغب لا في قتال إسرائيل ولا إغضاب الولايات المتحدة.

يمكنك أيضا أن تلاحظ أن آل سعود يصفون حرب أكتوبر بالعبثية وهي ذات الصفة التي استخدمت في وصف المواجهة بين حزب الله وإسرائيل بعد أكثر من ثلاثين عاما.

---

(137) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1974JIDDA01402_b.html

WHICH SEEMED TO BE POINTLESS EXERCISE LEADING ONLY TO BAD CONSEQUENCES FOR EVERYONE. SAUDI ARABIA NEVERTHELESS، FOR DOMESTIC REASONS IF FOR NO OTHER، WOULD HAVE TO SUPPORT BOTH COUNTRIES، MILITA - ILY IF NEED BE. MALHAS SAID THAT THERE COULD BE NO DOUBT THAT EGYPT STARTED THE BATTLE AND SAG FEARFUL OF WHAT WOULD HAPPEN IN THE NEXT 24 HOURS.

كيف يقال إذا أن اتفاقا مسبقا قد أبرم بين السادات وفيصل على استخدام النفط كسلاح في معركة يراها آل سعود ليست فقط عبثية بل ستؤدي حتما إلى آثار ونتائج سيئة تضر بالجميع؟!.

كيف يقال أن هذا الاتفاق المزعوم له نصيب من الوجود في حين تنقل الرسالة التي أرسلتها البعثة الدبلوماسية الأمريكية في جدة عن كل من كمال أدهم رئيس المخابرات السعودية وسعود الفيصل أن أيا من سوريا والقاهرة لم يطلب مشاركة السعودية في الحرب [138].

الذي نخلص إليه أن آل سعود وسائر مشايخ الخليج وجدوا أنفسين محاصرين عندما اندلع الصراع بين مصر وسوريا من ناحية وإسرائيل من الناحية الأخرى بكل ما يحمله هذا الصراع من عناصر تحمل إمكانية امتداد الحريق لعقر دارهم، كما أن من رفع راية استخدام سلاح النفط دعما لدول المواجهة كانت الدول المسماة بالراديكالية خاصة العراق وليبيا وكان الآخرون مضطرون لمجارة ومماشاة هؤلاء في نفس الوقت الذي لم تتوقف فيه رسائلهم التطمينية لأمريكا وسائر داعمي الكيان الصهيوني وأنهم سيعملون على وقف حظر النفط بأقصى سرعة ممكنة، كما أن أي كلمة لوم لم توجه لأمريكا على

(138) https://www.wikileaks.org/plusd/cables/1973JIDDA04379_b.html

إمدادها لإسرائيل بالسلاح في تلك الظروف الحرجة حيث (عتّمت الصحافة السعودية على أي ذكر لتسليح أمريكا لإسرائيل بل ذهبت أبعد من ذلك فحذفت أجزاءً من خطبة للسادات يشير فيها إلى معونة أمريكا لإسرائيل؛ وأخبرت وزارة الإعلام السفارة الأمريكية أنها أقدمت على ذلك تفاديا لتهييج المشاعر ضد أمريكا).

لماذا قمنا بهذا السرد المفصل لحقيقة الموقف السعودي في حرب أكتوبر وأن آل سعود لم يكونوا قادة استخدام سلاح النفط، بل كانوا في الواقع قادة إجهاض استخدام هذا السلاح؟!.

السبب الأول: أن وقوف آل سعود وتحديدا فيصل المزعوم مع مصر في حربها من أجل تحرير سيناء لا يتفق مع حقيقة أخرى لم تنل حظها من الأضواء ولا زالت مقصورة التداول على الناصريين وبعض القوميين الذين يتعاطفون مع شخص عبد الناصر وأغلبهم ليس لديه موقف جذري من آل سعود، وهي أن آل سعود تعاونوا مع الصهاينة لضرب مصر في حرب 1967.

كيف يكون ملك العدوان والإجرام أحد أبطال التحرير؟!.

السبب الثاني: وهو أن كثيرا من المحللين السياسيين يفرقون بين موقف آل سعود المعادي لمصر وموقفهم الحالي المعادي لإيران وكأن الأسباب هنا مختلفة جوهريا عن الأسباب هناك وهذا في رأيي سذاجة بالغة بل وانعدام للرؤية.

السبب الثالث: هو التوقح السعودي الوهابي الذي أدمنه هؤلاء وتبجحهم بالدعم المالي الذي قدم للنظم المصرية المتعاقبة منذ عهد السادات وحتى الآن واعتباره ثمنا ليس لبعض المواقف التي يتعين التزامها إرضاء لهم بل ثمنا لمصر حكومة وشعبا وأرضا وهو ما تجلى واضحا في الضغوط الهائلة التي مورست على القيادة المصرية الحالية من أجل الحصول على جزيرتي تيران وصنافير.

في رأينا أن هذا (الدعم) هو جزء قليل من التعويضات التي يتعين على آل سعود دفعها لمصر جراء الخسائر والمصائب التي نزلت بعالمنا الإسلامي عامة ومن ضمنه مصر وما قانون جاستا الذي سيجري بمناسبته ذبح البقرة السعودية سوى تعبير عن هذا السياق

والتوجه الذي أصبح عالميا!!.

وقبل أن ننتقل إلى مناقشة الأوضاع الراهنة نعود إلى تلك الفترة التي تضاعفت فيها مداخيل النفط في أعقاب حرب أكتوبر وأصبح لدى آل سعود مزيدا من الفوائض تمكنهم من مواصلة مغامراتهم الرامية إلى فتح العالم ووضعه تحت سيطرتهم عبر حصان طروادة الوهابي!!.

لم يكن ممكنا بحال من الأحوال بلوغ هذه الدرجة من الامتداد والتوسع دون امتلاك هذا الكم الهائل من الأموال التي مكنت فهد بن عبد العزيز من (تخصيص حساب نفطي يقوم بحجز قيمة مائتي ألف برميل في اليوم- أي 1.8 مليار دولار في العام حسب مستوى الأسعار في عقد الثمانينيات)، وهي طفرة ما كان ممكنا أن تحدث لولا حرب أكتوبر التي ضحى فيها المصريون والسوريون من أجل رد غائلة التمدد الصهيوني فإذا بها تنتج تمددا وهابيا أسوأ وأضل يقاتل الآن جنبا إلى جنب مع الإسرائيلي!!.

الأحداث التي جرت بعد ذلك وشكلت مسار العلاقة بين مصر وآل سعود تثبت هذه الحقيقة التي يصر متواكلوا ومتأكلوا السياسة المصرية على تجاهلها وهي أن دولة آل سعود رغم تلك الفرضية الوهمية الواهية القائلة أنهم دولة تحرص على استقرار الدول الشقيقة والجارة، لا يأبهون كثيرا لاستقرار تلك الدول ولا حفظ كيانها أو دفعها نحو الرقي والتطور (خاصة مصر)، بل يسعون بكل ما أوتوا من قوة لتحويل ما يسمى بالتعاون المشترك لتحقيق مزيد من الاختراقات وزرع الألغام والأفخاخ وتفجيرها عندما تسنح الفرصة ويحتاجون لمزيد من الابتزاز.

الدعم السعودي المالي لمصر قبل وبعد الطفرة النفطية!!

«وعدت فصدقت، وتعهدت فوفيت» هذا ما قاله الرئيس الراحل أنور السادات للملك الراحل فيصل بن عبد العزيز وهما واقفان على أطلال خط بارليف الذي دمرته القوات المصرية خلال حرب تشرين أول/ أكتوبر من عام 1973. وتقول الدوائر

الرسمية السعودية عبر كتاب أصدرته تحت عنوان «آل سعود/ الدولة والموقف» صفحة 110 أن رد الملك فيصل جاء على الشكل التالي:

«عبرنا القناة بعد فترة من الوقت لم يكن أحد من أخواننا يتصور أنها كافية لعبورها.. وهذا كان بفضل الله ثم بفضل الرئيس السادات وعمله المشكور.. لا شك أنه من واجب كل عربي وكل مسلم أن يقف بجانبكم للدفاع عن ديننا ووطننا وأمتنا ولرد الاعتداءات التي ارتكبها أعداؤنا».

إلا أن محتوى هذا الحوار يتناقض كثيراً مع ما ورد في مؤتمر صحفي عقده الرئيس أنور السادات ونشرته جريدة السياسة الكويتية في 15-5-1975 حيث سئل السادات : «هل الدعم العربي الذي يقدم حالياً هو بالمستوى المطلوب؟» فأجاب الرئيس المصري بما يلي : «شرحت لأخواني وأريد أيضاً أن أشكر الأخوة العرب جميعاً على كل ما قدموه لنا، ولا يتصور أحد أن إحنا اقتصادنا وصل إلى الصفر فعلاً في سنة 1973 زي ما سمعتموني قلت فعلاً، ونحن الآن نعاني من ضائقة رهيبة يحاول البعض أن يستغلها ويستثمرها، ولكن أفضل أن أتصل بالأخوة العرب فيما بيننا، لأننا عائلة واحدة عن أني أخرج إلى الشارع وإلى الصحف وأقول أنا وأنا وأنا ووضعي وحالتي. أفضل إحنا ولأنه لنا في مصر تقاليد كشعب إنتو عارفينه، نضع المشكلة أمام الأخوة وما نطلبش واحنا نقول عندنا مثل يقول الشكوى لأهل البصيرة عيب».

من الواضح أننا هنا أمام تناقض فعلي بين ما ينشر في الوسائل الرسمية السعودية من حديث جانبي ليس عليه حسيب ولا رقيب وما تنشره وسائل الاعلام عن مؤتمرات صحفية جرت في العلن وأمام وسائل الإعلام المختلفة؛ ومع ذلك فهناك جانب في التناقض الحاصل والذي يتعلق بمصداقية المصدر، وهذه مسألة لا يمكن إثباتها إلا باللجوء إلى الوقائع والأرقام الفعلية التي تتحدث عن مستوى الدعم العربي لدول المواجهة ومقارنته بمكانة الدعم السعودي لتلك الدول.

من جهة أخرى، لا بد من الإشارة أيضاً إلى الدور الذي يمكن لظروف الزيارة التي أحاطت بزيارة الملك فيصل أن تلعبه في التصريحات المذكورة أعلاه والتي أدلى بها

السادات. فالآمال التي علقتها الحكومة المصرية على زيارة الملك فيصل تنعكس عبر ما أشارت إليه الصحف المصرية في تلك الفترة من توقعات بأن يتبرع الملك فيصل أثناء زيارته بمليار دولار، ثم سادت الخيبة عندما اقتصر ما قدمه على 300 مليون دولار فقط (139).

كان هذا بعد توقف القتال وإبرام اتفاق فصل القوات على الجبهة المصرية أما قبل أكتوبر 1973مـ وما بعد يونيو 1967مـ أي مرحلة إعادة بناء القوات المسلحة حيث فقد الجيش المصري أغلب أسلحته فالوضع لم يكن أفضل من هذا!!.

يقول الدكتور نبيل خليل:

للوقوف على نسبة هذه الأرقام من مجمل الدعم المطلوب عبر مؤتمرات القمة العربية ومقارنتها مع ما قدمته الدول العربية كل حسب قدراتها الاقتصادية نعود إلى ما نجم عن اجتماع القمة الأول الذي انعقد في آب/ أغسطس من عام 1967 أي بعد هزيمة حزيران/ يونيو أو ما عرف بالنكسة، حيث صدر قرار بدعم دول المواجهة.

قدمت ليبيا في تلك المناسبة 30 مليون جنيه استرليني، تبعتها السعودية حيث ساهمت بخمسين مليون جنيه استرليني، بينما بادرت حكومة الكويت بمبلغ وصل إلى خمسة وخمسين مليون جنيه. وهذا إن قورن بالثروات والمصادر النفطية لكل من البلدين الأخيرين (الكويت والسعودية) لوجدنا فارقاً كبيراً يدل على عدم انسجام فعلي بين ما هو مقدم فعلياً وما يملكه البلدان، وبالتالي متوجبات كل منهما تجاه الصراع الدائر، ما قد يعيدنا إلى ما سبق من فرضية اتخاذ فيصل القرارات ضمن حدودها الدنيا في محاولة منه لإرضاء المواطن السعودي والعربي قدر الإمكان.

هذا ما تكرر أيضاً في القمة التالية التي انعقدت في الرباط، حيث تقدمت دول المواجهة، والتي كانت تتألف من مصر وسوريا والأردن، بطلب مليارين ونصف المليار دولار، بينما تقرر تقديم مليار وثلاثمائة مليون، دفعت الإمارات منها 300 مليون بينما دفعت الكويت 400 مليون ودفعت السعودية 400 مليون دولار أيضاً أي أن المبالغ المدفوعة

(139) http://www.nabilkhalil.org/faisal006.html#_ftn8

قد تساوت هذه المرة، كما ارتفعت بالمقارنة مع ما دفع في القمة السابقة مع أنها بقيت جميعها ضمن تخفيض قارب المليار دولار عن المبلغ المطلوب. علماً أن عائدات النفط السعودية لعام 1974 قد بلغت 28 مليار ونصف المليار دولار [140].

كانت مصر السادات تحتاج لمليار دولار على الأقل فلم يتفضل عليها فيصل آل سعود إلا ب 300مليون دولار فقط لا غير.

لم يكن هذا التقتير بسبب إملاق أو حتى خشية إملاق لأن آل سعود وشركاؤهم الأمريكان كانوا يتحسبون للأزمة النفطية الآتية حتما (فكان أن بدأت شركات النفط منذ بداية عام 1972 تزيد من حجم إنتاجها بنسب عالية، متوقعة حظراً شرق أوسطياً يسبب زيادة في أسعار الخام. أما مصير تلك العائدات فتقول صحيفة نيوزويك الصادرة في 1975-4-7 أن السعودية تقوم بتكديس فوائض عائداتها بمعدل 20 مليار دولار سنوياً في بنوك نيويورك ولندن، ويقدر ما أودع في الولايات المتحدة وحدها بهدف الاستثمار عام 1974 بما يقارب 15 مليار دولار) [141].

كان القرار السعودي بتوجيه أغلب التمويل دفعا للطفرة الوهابية بدلا من إعادة التوازن إلى الإقتصاد المصري الذي أنهكته الحروب.

فبينما خصص الملك السعودي حسابا نفطيا يقوم بحجز قيمة 200 ألف برميل في اليوم- أي 1.8 مليار دولار في العام، لم تزد قيمة الأموال التي جرى توجيهها للاقتصاد المصري عن 300 مليون دولار أي بنسبة 1/ 6 وهو ما يظهر بوضوح أن دفع الاقتصاد المصري نحو الأمام وإنهاء اعتماده على المساعدات لم يكن يوما ما من أولويات آل سعود، كما يمكننا القول أن الإصرار على تمويل الجماعات الوهابية الإرهابية بالتزامن مع تقديم الدعم الاقتصادي يعني شيئا واحدا أن آل سعود يأخذون بالشمال ستة أضعاف ما يقدمونه باليمين إذ أن هذه التنظيمات الإرهابية التي كانت تعد نفسها آنئذ للانقضاض على نظام السادات بدعم وتوجيه سعودي مثلت ولا تزال تمثل عنصر عدم استقرار واهتزاز للمجتمعات التي تعمل فيها وتجعل أي مشاريع تنموية مجرد وهم كبير.

(140) http://www.nabilkhalil.org/faisal006.html#_ftn8

(141) المصدر السابق.

إنهم يعطونك عجلة لتدير الاقتصاد محشور بها عصي وخوابير وهابية تضمن ألا يزيد مدى الانطلاق عن متر واحد وفي أفضل الأحوال عشرة أمتار!!.

أعداؤنا المصريون!!

تقول القاعدة المنطقية: توضيح الواضح يزيده غموضا!!.

هل يمكن لمؤرخ أو سياسي عاقل أن يتجاهل أو يتغافل عن هذا التاريخ الطويل من الصراع بين مصر وآل سعود؟!.

الجواب: يمكن ولا يمكن!!.

في زمن الهزيمة المادية والمعنوية التي دفعت العرب للاعتراف بالكيان الصهيوني والقبول بالتطبيع معه وفي زمان تسود فيه البلاهة والغفلة والتضليل يصبح الإصرار على استذكار هذا التاريخ دون جدوى حيث تساوت كل المعاني ليصبح الأعمى والبصير والظلمات والنور والظل والحرور والأموات والأحياء سواء، وأصبح الهم الأوحد للطبقة الحاكمة هو التنعم بلذة السلطة والبقاء على قيد الحياة وتناول الإفطار دون أن نعرف كيف ومن أين سيأتي غذاء المستضعفين المحرومين!!.

أما الأسوأ من كل هذا فهو انقسام ساحة السياسة الإقليمية قسمين رئيسيين: حملان وذئاب.

ذئاب يخططون لالتهام الحملان وحملان يعيشون وهم الصداقة (العربية الإسرائيلية) و(الوهابية المصرية) وهو وهم مطلوب له أن يستمر فالذئاب لا يملكون قدرة التهام هذا الكم الضخم من الحملان بقضمة واحدة فالأمر يحتاج إلى تخطيط وتكتيك ومهل زمنية لكن الحملان ستأكلهم الذئاب حتما مهما تذرعوا بشعارت الصداقة حتى لو تأخر بسبب ضرورات الواقع لا أكثر.

عندما انعقدت قمة الكويت العربية الاقتصادية يوم 19 يناير 2009 وقبل عامين من بدء الغزوة الوهابية لسورية في مارس 2011 دعا الملك السعودي (لمصالحة عربية)

وانعقدت جلسة تبويس لحى بين فريق الذئاب الذي ضم السعودية وقطر والكويت وخروفين كان يجري الإعداد لذبحهما وسلخهما هما مصر وسوريا، ليتبين بعد ذلك أنها كانت جلسة تخدير للحملان حتى الانتهاء من تجهيز المسلخ لتنفيذ المهمة المطلوبة!!!.

الكويت- ا ف ب

دعا العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز، إلى «إنهاء كافة الخلافات بين الأشقاء العرب بدون استثناء». وجاء ذلك في كلمته بالجلسة الافتتاحية للقمة العربية الاقتصادية الأولى بالكويت الاثنين 2009-1-19، والتي شهدت لاحقا لقاء مصالحة بين قادة السعودية ومصر والكويت وقطر وسوريا في مقر إقامة الملك عبد الله.

وقال العاهل السعودي إن «مبادرة السلام العربية لن تبقى طويلا على الطاولة»، مشيرا إلى أن «إسرائيل أمام خيارين: الحرب أو السلام». وأعلن «تبرع الشعب السعودي بمليار دولار لإعادة إعمار غزة»، وحول لقاء المصالحة، ذكر المصدر ان الاجتماع الخماسي التأم في ضيافة العاهل السعودي بعيد انتهاء الجلسة الافتتاحية للقمة التي تعقد في ظل انقسامات عربية حادة.

من جانبه، أكد رئيس الوزراء القطري الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني حصول «مصالحة اثناء قمة الكويت بين قادة السعودية ومصر وسوريا ومصر وقطر» بمبادرة سعودية.

وكان الملك عبد الله قد أعلن خلال جلسة افتتاح القمة «تجاوز مرحلة الخلاف» بين العرب.

وقال: اسمحوا لي أن أعلن باسمنا جميعا أننا تجاوزنا مرحلة الخلاف، وفتحنا باب الإخوة العربية والوحدة لكل العرب دون استثناء او تحفظ، وأننا سنواجه المستقبل نابذين خلافاتنا صفا واحدا كالبنيان المرصوص [142] .

الوحيد الذي اعترته الدهشة هو المخلوع حسني مبارك وسبب دهشة المسكين وقتها لم تكن لشكه في نوايا الملك السعودي بل لأنه لم يخطر ولم يستشر!!.

يتحدث أبو الغيط وزير خارجية المخلوع عن هذا الأمر قائلا (يطرح الرئيس اليمني

(142) http://www.alarabiya.net/articles/2009/01/19/64501.html

اقتراحا بناء على طلب الرئيس السوري بشار الأسد بأهمية بناء الجسور بين مصر وسوريا وأن يلتقي وزيرا خارجية البلدين أو رساء المخابرات للبحث في إنهاء الخلافات، ولا يتحمس الرئيس، وتعقد القمة الاقتصادية العربية في الكويت في يناير 2009، وفجأة يطرح الملك عبد الله بن عبد العزيز مبادرته في مصالحة سوريا ونسيان الخلافات حماية للموقف العربي ونتيجة للهجوم الإسرائيلي على غزة وتعكس تعليقات الرئيس المصري أنه تأذى من التحرك السعودي المنفرد الذي أطلقه الملك دون تنسيق معه ويضطر للقول في حديث معي أنه اضطر للوقوف مع السعودية لمواجهة توابع أزمة الهجوم الإسرائيلي على لبنان لأنه كان يرى ويرصد عمق مشاعر الضيق الشديد لدى الملك تجاه الرئيس السوري واصفا إياه بالشاب الأرعن ويضطر الرئيس للاشتراك في غذاء عمل بالكويت مع الملك والرئيس السوري رغم ضيقه الشديد من المبادرة السعودية المنفردة، حماية للمصالح المصرية بالسعودية، وهو اجتماع لم يسفر عن تغيير كبير في العلاقات المصرية السورية) (143).

المدهش أن الذئب السعودي دعا للمصالحة والتضامن حسب أبو الغيط بسبب العدوان الإسرائيلي على غزة في حين حدثت القطيعة بسبب الموقف السعودي المماليء للعدوان الإسرائيلي على لبنان!!.

السؤال المهم الذي لم يكلف أبو الغيط نفسه طرحه ومن باب أولى الإجابة عليه في ظل المسلسل الدامي الذي بدأ عرضه في سوريا منذ مارس 2011 والمستمر حتى الآن بإخراج وتمويل سعودي: هل كان ممكنا طرح وتنفيذ سيناريو (الربيع العربي) من إنتاج وإخراج السعودي دون البدء بإطاحة حسني مبارك (الحريص على المصالح المصرية في السعودية) وقبله بن علي في تونس؟!.

الربيع العربي كما أرادته الشعوب كان تمردا على القمع وعلى ثلاثين عاما من الطوارئ وتزوير الانتخابات وخنق الحريات، ولو كان آل سعود جادين في حرصهم على بقاء صديقهم حسني لنصحوه بتغييرات استباقية تمنع تفجر الأوضاع، لكنهم لم يفعلوا،

(143) شهادتي أحمد أبو الغيط نهضة مصر 2013. ص 370.

وكل ما فعلوه هو عرضهم اللجوء السياسي عليه وكان جوابه الرفض ربما لأنه أدرك الغاية الحقيقية لآل سعود ولكن بعد فوات الأوان وضياع الفرصة!!.

الربيع العربي كما أراده ذئاب آل سعود ربيع وهابي مكن أزلامهم بالفعل من الحكم في خمس بلدان عربية (اليمن- تونس- المغرب - ليبيا -مصر) ولولا تماسك هذه الشعوب خاصة في سوريا ومصر واليمن وإدراكها للخدعة لتحولت المنطقة بأسرها إلى محمية وهابية أو خلافة وهابية عاصمتها الرياض!!.

أما على المستوى السوري فقد أصبح الأمر الآن جليا واضحا وهو أن هذه المصالحة لم تكن سوى جرعة مخدر حتى يحين الوقت الملائم لشن الهجوم النهائي على سوريا خاصة ومحور المقاومة عامة.

هكذا دأب الذئاب يأكلون ويطمئنون ويخاصمون ويتصالحون ثم يأكلون مرة أخرى!!.

ربما لم تكن الإطاحة بحسني مبارك أمرا مطلوبا في حد ذاته لكنها تحولت إلى محطة إجبارية يتعين عبورها وصولا إلى إطاحة الأسد وقصم ظهر محور المقاومة.

يبقى السؤال عن رؤية الوهابية السعودية لمصر ودورها وليس لعبد الناصر حيث يتصور أصحاب النوايا الحسنة أن الخلاف كان مع شخص الزعيم الراحل الذي نجحت وسائل الدعاية الوهابية في تصوير سياساته كسياسات عدوانية متطرفة مقابل سياسة الحكمة والتعقل التي اتبعها النظام السعودي!!.

تكشف بعض الوثائق فضلا عن سياق العلاقة بين مصر وآل سعود أن الصدام بين الأسرة السعودية ومصر الدور صدام جذري عكس الصورة التي نجح الإعلام المضاد في تقديمها والقائلة أن الصدام كان بين عبد الناصر الشخص صاحب السياسة الراديكالية وأن آل سعود كانوا في موضع الدفاع عن النفس وأن الصراع قد تحول إلى مودة ووئام بمجرد أن التزمت الزعامة المصرية ما بعد عبد الناصر بسياسات معتدلة.

الواقع يقول أن الزعامة المصرية ما بعد عبد الناصر قد أجبرت على التخلي عن أغلب دورها ولزمت دارها تبحث عن قوت يومها وأن هذا التراجع لم يكافأ من قبل المحور

الصهيووهابي المعادي لهذا الدور إلا بمزيد من الملاحقة والترصد لئلا تفكر في التمرد مرة أخرى ولتبقى حيث قرر لها هذا المعسكر أن تبقى.

سياقات الصراع المعاصر

تقرير اللجنة المشكلة من كيم روزفلت
وزارة الخارجية الأمريكية (وثيقة رقم 43/ 36651 بتاريخ 19 أغسطس 1964)
محضر مقابلة جرت بين السفير الأمريكي والملك فيصل:
اتصل بي البروتوكول صباح أمس لإبلاغي أنني مطلوب في الطائف الساعة 4،15 ولم يعطني البروتوكول أي إيضاحات عدا أن هناك طائرة سوف تحملني إلى الطائف بعد الظهر.

استقبلني الملك فيصل في قصر الشبرة الساعة التاسعة مساء في حضور السقاف وفرعون وقال الملك أن هناك شيئا حدث وهو يريد إخطاري به بنفسه كصديق شخصي وممثل لبلد صديق له ولأسرته. ثم قال الملك أنه خلال يومين سابقين يومي 13و14 قامت ثلاث طائرات مصرية باختراق المجال الجوي السعودي جنوب شرق جيزان فوق مناطق قبائل الحارث وأبو عريش وأن هذه الطائرات قامت بعدة دورات على ارتفاعات منخفضة في محاولة ظاهرة للاستفزاز كما أن معلومات لديه من داخل اليمن تؤكد أن هناك قوات مصرية تتحرك صوب الحدود السعودية وقد حاولت أن أسأل الملك بإلحاح عن تفاصيل أكثر بشأن هذه المعلومات ولم يكن لديه شيء لا عن حجم هذه القوات ولا عن تسليحها ولا مواقعها، كما قال الملك أن هذه التطورات تثير في ذاكرته ما سبق أن سمعه عن مؤامرة بين مصر والعراق والأردن لغزو وتقسيم بلاده على النحو التالي: حسين يأخذ الحجاز باعتبارها مملكة هاشمية في السابق والعراق تأخذ المقاطعة الشرقية واليمن تأخذ الجنوب وباقي المملكة يدخل تحت سيطرة ناصر.

قال لي الملك أن ناصر أوحى لصديقه هيكل أن ينشر خطة عن منظمة عربية للبترول

ثم أضاف: أن السعودية محاصرة وقد لا تكون السعودية دولة كبيرة أو قوية لكنها دولة تريد أن تحتفظ بأرضها وشرفها وإذا كان ناصر يريد أن يضع يده على المملكة متصورا أن فيصل سيبقى ساكنا في انتظار أن يخنق فهو مخطئ في ذلك وأشار إلى أنه سيقوم عسكريا وهو قد اتخذ عدة قرارات يريد أن يبلغني بها الآن.

1 - قرر إدخال إسلحة إلى المنطقة منزوعة السلاح على حدود اليمن.

2 - قرر إعطاء أوامر بالفعل لقواته بالاحتشاد على حدود اليمن لتكون في وضع يسمح لها بالدفاع عن السعودية.

3 - هو الآن لا يعتبر نفسه مرتبطا باتفاق فصل القوات في اليمن وسوف يساند الملكيين بأي طريقة يراها مناسبة.

أبديت دهشتي للملك كما أبديت استغرابي لكل ما قاله عن الاتفاق الثلاثي بين مصر والعراق والأردن.

ثم أطلعني على تقرير مخابرات سعودي يحوي معلومات عن أن ضباطا من الجيش المصري رتبوا لقتل عبد الناصر يوم 26 يوليو.

وأضاف إن ناصر مريض جدا ثم أمر الملك بإخلاء القاعة من كل الحاضرين وانتهزت الفرصة ورجوته ألا يبعث بقوات إلى حدود اليمن وأن يحتفظ بما يشاء من قوات في أوضاع تأهب في أي مكان يراه بعيدا عن الحدود وقلت له أننا لسنا متحمسين لتوسيع نطاق الحرب في اليمن وتدخل بحدة قائلا أخرجوا القوات المصرية من اليمن وسينهار هذا النظام الذي يدعون مساعدته في شهر أو اثنين.

ثم استجمع الملك حيويته ليقول لى: إنكم يجب أن تبذلوا أقصى جهد للخلاص من هذا الرجل الذى يفتح الطريق للتسلل الشيوعى -وكان يعنى ناصر- ثم قال: لماذا تصبرون عليه؟ ألا ترون أنه لا يكف عن مهاجمتكم يومياً، مرة فى فييتنام، ومرة بسبب كوبا، ومرة بسبب الكونجو؟

ويستطرد السفير الأمريكى: أبديت تحفظى، لكن الملك كان لا يزال مُصراً على أن ناصر يعادينا ويخدعنا وأننا ما زلنا نحاول استرضاءه. وذكّرته بأننا عطلنا توريد القمح

إلى مصر طبقاً للقانون ٤٨٠. وعقّب الملك (أوقفوا عنه الطعام تماماً وسوف ترون ما يحدث) [144].

وثيقة أخرى

المملكة العربية السعودية
اللجنة الخاصة بمجلس الوزراء
توصيات اللجنة عن الوجود العدواني المصري في اليمن
مولانا صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز المعظم
صاحب الجلالة

بناء على توصياتكم الكريمة لوضع التقرير الخاص عن وجود العدو المصري في اليمن وتوجيهات جلالتكم لاقتراح ما نراه من موجبات إزالته احتمعت يوم 5 رمضان 1386هـ الموافق 16 ديسمبر 1966 اللجنة الخاصة بمجلس الوزراء بحضور أصحاب السمو وعدد من الخبراء الأمريكان الآتية اسماؤهم

سمو الأمير فهد بن عبد العزيز وزير الداخلية
سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع وزالطيران
سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض
صاحب المعالي كمال أدهم مندوب رئيس الوزراء ومستشار المكتب الخاص
السيد كيم روزفلت مدرب خبراء وزارة الدفاع والقسم العسكري الأمريكي

وقررنا ما يلي:

1 – رفع التقرير المرفق لجلالتكم –لخطة الخلاص– من هذا العدو الجاثم في اليمن وكل الأعداء لرفعه بعد إقراره من جلالتكم إلى فخامة الرئيس ليندون جونسون والحذف منه أو الإضافة إليه ما ترونه جلالتكم.

(144) المشروع القومي الذي لم يتم. دكتور ذوقان قرقوط. ص 504-503، مكتبة مدبولي القاهرة ط 2006.

2 – تأكد لنا بما لا شك فيه أبدا أن المصريين المعتدين لن ينسحبوا من اليمن ما لم يرغموت بقوة جبارة تضربهم وتشغلهم بأنفسهم عنا إلى الأبد، وأنه ما لم تتحرك صديقتنا العظيمة أميركا لدعم إسرائيل لردع المصريين فلن يأتي عام 1990 هـ أو كما قال الخبراء الأمريكيون عام 1970مـ وفي هذه الأرض لنا أو لأمريكا بقية من وجود، بعد أن تأكد لنا أن ما دفعناه من أموال شارك في دفعها أصدقاؤنا الأمريكان وشركة أرامكو زادت عن ألف مليون ريال بين أسلحة وذخيرة ونقليات وأدوية وعملة نقدية وورقية وفضية وذهبية ذهبت كلها دون جدوى، ولسوف ندفع أضعافها في سبيل نصرنا على المصريين والثوريين في اليمن، لكن هذه الأموال لن تجدي ما لم يتحرك أصدقاؤنا الأمريكان لاقتلاع هذا العدو المشترك من جذوره، إلا أن الشيء الذي يطمئن نفوسنا أن أمريكا أصبحت متفقة مع وجهة نظرنا أكثر مما مضى حسبما أخبرنا السيد كيم روزفلت والجنرال ليبي قائد القوات الضاربة في الشرق الأوسط وإخوتنا الخبراء الأمريكان الذين كتبوا إلى مراجعهم العالية. واستطاعت هذه المراجع إقناع الرئيس جونسون بجدوى مثل هذه التوصيات. إلا أن الرئيس جونسون طلب منهم أن تكون المبادرة من جلالة الملك فيصل ليبعث برأيه في الموضوع بصفته عاهل المملكة العربية السعودية المعتبرة في المنطقة والمسئولة عن هذه المشكلة بالذات، ويقول الإخوة الخبراء الذين فاتحوا جونسون في رغبة المملكة أنه أردف قائلا رغبته أن يكتب عاهل المملكة رسميا قائلا: (مع أنه سبق لإسرائيل أن تقدمت بطلب دعمها مستأذنة لخوض معركة حاسمة مع المصريين والسوريين تُشل أنظارهم بعدها عن النظر لشيء اسمه «القومية العربية» لكننا لم نرد للولايات المتحدة الأمريكية أن تقدم على دعم إسرائيل في معركة مصيرية كهذه في منطقة أكثرها دول عربية تحيط بإسرائيل ما لم نأخذ رأي كبار أصدقائنا العرب في المنطقة، وموافقة جلالة الملك فيصل وأسرته بالذات مع الاستئناس برأي الملك حسين، وبعد ذلك سنبدأ بدعم إسرائيل لإجراء عملية الشلل النهائي لمصر وسوريا بواسطتها حينما نرمي بكل ثقلنا في هذه المعركة لنضمن لها النجاح). هذا هو حرفيا ما نقله لنا الخبراء الأمريكان على لسان السيد الرئيس جونسون وسيشرح الخبراء لجلالتكم مفصلا والله

الموفق يحفظكم ويأخذ بيدكم لتحقيق الآمال [145] .

اللجنة الخاصة بمجلس الوزراء

بصمة خاتم المملكة العربية السعودية

رئاسة الوزراء

كانت الوثيقة السابقة هي المذكرة التي رفعت للملك السعودي فيصل وكان أن تبناها ورفعها إلى الرئيس الأمريكي ليندون جونسون وهي الوثيقة المنشورة فى كتاب (عقود من الخيبات) للكاتب حمدان حمدان الطبعة الأولى 1995 عن دار بيسان على الصفحات من -489 491 .

والنقل هنا عن الدكتور وليد سعيد البياتي في مقال منشور على موقع عرب تايمز:

وأعرض لكم الآن نص الرسالة :

تقول الرسالة التى بعثها الملك فيصل إلى الرئيس جونسون (وهى وثيقة حملت تاريخ 27 ديسمبر 1966 الموافق 15 رمضان 1386 ، كما حملت رقم 342 من أرقام وثائق مجلس الوزراء السعودي) ما يلى:-

من كل ما تقدم يا فخامة الرئيس ، ومما عرضناه بإيجاز يتبين لكم أن مصر هى العدو الأكبر لنا جميعا ، وأن هذا العدو إن ترك يحرض ويدعم الأعداء عسكريا وإعلاميا ، فلن يأتى عام 1970 - كما قال الخبير فى إدارتكم السيد كيرميت روزفلت - وعرشنا ومصالحنا فى الوجود .....

لذلك فأننى أبارك ، ما سبق للخبراء الأمريكان فى مملكتنا ، أن اقترحوه ، لأتقدم بالاقتراحات التالية : -

- أن تقوم أمريكا بدعم إسرائيل بهجوم خاطف على مصر تستولى به على أهم الأماكن حيوية فى مصر، لتضطرها بذلك ، لا إلى سحب جيشها صاغرة من اليمن فقط ، بل لإشغال مصر بإسرائيل عنا مدة طويلة لن يرفع بعدها أى مصرى رأسه خلف القناة ، ليحاول إعادة مطامع محمد على وعبد الناصر فى وحدة عربية .

(145) المشروع القومي الذي لم يتم. دكتور ذوقان قرقوط. ص 508-505. مكتبة مدبولي القاهرة ط 2006.

بذلك نعطى لأنفسنا مهلة طويلة لتصفية أجساد المبادئ الهدامة، لا فى مملكتنا فحسب ، بل وفى البلاد العربية ومن ثم بعدها ، لا مانع لدينا من إعطاء المعونات لمصر وشبيهاتها من الدول العربية إقتداء بالقول (أرحموا شرير قوم ذل) وكذلك لإتقاء أصواتهم الكريهة فى الإعلام ..

– سوريا هى الثانية التى لا يجب ألا تسلم من هذا الهجوم ، مع إقتطاع جزء من أراضيها ، كيلا تتفرغ هى الأخرى فتندفع لسد الفراغ بعد سقوط مصر .

– لا بد أيضا من الاستيلاء على الضفة الغربية وقطاع غزة ، كيلا يبقى للفلسطينيين أي مجال للتحرك، وحتى لا تستغلهم أية دولة عربية بحجة تحرير فلسطين، وحينها ينقطع أمل الخارجين منهم بالعودة، كما يسهل توطين الباقى ف الدول العربية .

– نرى ضرورة تقوية الملا مصطفى البرازانى شمال العراق ، بغرض إقامة حكومة كردية مهمتها إشغال أى حكم فى بغداد يريد أن ينادى بالوحدة العربية شمال مملكتنا فى أرض العراق سواء فى الحاضر أو المستقبل،

علما بأننا بدأنا منذ العام الماضى (1965) بإمداد البرازانى بالمال و السلاح من داخل العراق ، أو عن طريق تركيا و إيران .

يا فخامة الرئيس .

إنكم ونحن متضامين جميعا سنضمن لمصالحنا المشتركة و لمصيرنا المعلق ، بتنفيذ هذه المقترحات أو عدم تنفيذها ، دوام البقاء أو عدمه ..

أخيرا .

أنتهز هذه الفرصة لأجدد الإعراب لفخامتكم عما أرجوه لكم من عزة ، و للولايات المتحدة من نصر وسؤدد ولمستقبل علاقتنا ببعض من نمو و ارتباط أوثق و ازدهار [146].

المخلص : فيصل بن عبد العزيز

ملك المملكة العربية السعودية

كما كتب أسامة غريب في جريدة المصري اليوم بتاريخ 2008-11-20 تحت عنوان

(146) http://arabtimes.com/portal/article_display.cfm?Action=&Preview=No&ArticleID=11875

(دور السعودية فى حث الامريكان على فعل شىء لضرب عبد الناصر)... .هل اخذ حقه من الدراسات التاريخية ..أم ان دورها فى 73 (مع التهويل لهذه الدور) ..هل اغفلت عيون المؤرخين عن تأليب الملك فيصل الغرب ضد عبد الناصر أم أن هيكل يكذب؟!.

ثم ينتقل هيكل إلى التركيز على اللقاء الذى دار فى لندن فى ٢٩مايو ٦٧ بجناح الملك فيصل بفندق «دورشستر» بين الملك السعودى و«ريتشارد هيلمز» مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وتقول الوثائق الإسرائيلية «وصل ريتشارد هيلمز إلى الفندق قبل الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٩مايو، وكان فى انتظاره مستشار الملك الخاص وشقيق زوجته الملكة «عفت» وهو مدير المخابرات السعودية السيد «كمال أدهم». ولم يكن مع الثلاثة رابع، واتصل اجتماعهم إلى قرب الساعة الثانية صباحاً، ثم خرج ريتشارد هيلمز متوجهاً إلى المطار عائداً إلى واشنطن.

ويعرج هيكل بعد ذلك على اللقاء الذى جمعه عام ٨٥ بالسيد كمال أدهم فى بيته بالعاصمة البريطانية. فى هذا اللقاء توجه هيكل إلى السيد أدهم بالسؤال عن لقاء الملك فيصل بمدير المخابرات الأمريكية قبل أسبوع من العدوان على مصر فى فندق دورشستر ليل ٢٩مايو ١٩٦٧.قال هيكل: «وعاد السيد كمال أدهم يسألنى: هل تريد أن تتهم الملك فيصل بأنه تواطأ مع الأمريكان مباشرة، ومع الإسرائيليين بالوساطة ضد مصر.

وقلت: «إننى لا أتهم الملك بشىء ولكنى أسألك».. ويورد هيكل إجابة كمال أدهم كما يلى: «صديقك الرئيس (جمال) كان فى مواجهة مفتوحة وعنيفة ضد المملكة، والملك فيصل مسؤول عن مملكته. مسؤول أمام أسرته. مسؤول أمام إخوته وأبنائه يُسلّم لهم الأمانة كاملة كما استلمها. واجبه واضح أمام العرش والأسرة، وعليه أن يتصرف بما يحقق «المصلحة». لا تستطيع أن تسائل الملك فيصل إلا فيما هو مسؤول عنه: العرش والأسرة، وهل نجح فى حمايتهما طوال حكمه أم لم ينجح؟ وهل كانت المملكة أقل أو أكثر استقراراً، عندما تركها، عما كانت عليه عندما تسلمها؟ هذا هو المحك. كان الخطر الأكبر علينا هو صديقك الرئيس جمال. وبالنسبة لنا فى المملكة فإن فيصل انتصر فى

التهديد الذى مثّله علينا الرئيس جمال» [147].

ربما يتساءل البعض عن مصداقية هذه الوثائق وإمكانية تزويرها بغرض الوقيعة، وردنا على ذلك أننا نتحدث عن وثائق ضمن سياق الحدث، أي أنها وثائق تفسر لنا ما حدث ولا تنشيء تصورا من العدم وكأننا لم نسمع عن الصدام بين مصر وآل وسعود ولا عن تداعياته إلا عندما رأينا هذه الوثائق.

الأمر الثاني وهو أن هذا النوع من التآمر هو دأب آل سعود مع كل من اصطدموا معه في عالم السياسة، وإلا فليشرح لنا البعض ما هو الفارق بين التحريض على مصر الشقيق العربي المسلم وتحريض أمريكا على ضرب إيران وفق الوثيقة (**Sunday**، 20 **April** 2008، 08:47

(**S E C R E T SECTION** 01 **OF** 03 **RIYADH** 000649

والمنشورة في الجارديان البريطانية بتاريخ 28 نوفمبر 2010، والتي طالب فيها الملك السعودي عبد الله بقطع ما أسماه (رأس الأفعى الإيرانية)؟!.

في اعتقادنا ألا فارق على الإطلاق بين الحالين.

فكلا البلدين مصر وإيران بلدان مسلمان وليس ثمة منطق أو مبرر أخلاقي للتحريض عليهما، خاصة أن أي منهما لم يعتد على دولة آل سعود والمبرر الوحيد لهذا الهياج والتهييج هو الحقد والكراهية التي امتلأت به نفوس آل سعود ورغبتهم العارمة في العلو والهيمنة على رقاب كل من لم يخضع لهم ويلتزم برغباتهم الشاذة والفاجرة.

أما الدليل القاطع على أن السعار الملكي السعودي الراغب في تمزيق الدول العربية وليس فقط إيران الفارسية فهو تحريضهم للولايات المتحدة على غزو سوريا والنقل عن جيفري جولدبرج في مقاله الشهير (عقيدة أوباما):

في اجتماعات الأبيض في ذلك الأسبوع المفصلي (نهاية أغسطس 2013)، جادل بايدن -الذي يشارك أوباما بشكل كبير قلقه من التوسع الأمريكي- بشدة أن «الدول الكبرى لا تخادع». أقرب حلفاء أمريكا في أوروبا وعبر الشرق الأوسط اعتقدت أن أوباما كان

(146) http://www.almasry-alyoum.com/articl...9&IssueID=1230

يهدد بالعمل العسكري، وحتى مستشاروه اعتقدوا ذلك. في مؤتمر مشترك مع أوباما في البيت الأبيض، في أيار/ مايو، الذي سبق ذلك الاجتماع، قال رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون إن «تاريخ سوريا يكتب بدماء شعبها، وهذا يحصل على مرأى منا»، في تصريح كان يهدف لتشجيع أوباما لأخذ إجراء أكثر حزما، بحسب أحد مستشاري كاميرون، الذي قال لي إن «رئيس الوزراء كان يشعر أن الرئيس أوباما يجب أن يفرض الخط الأحمر». سفير السعودية في واشنطن، في ذلك الحين، عادل الجبير، قال لأصدقائه ومسؤوليه في الرياض أن الرئيس كان مستعدا أخيرا ليضرب، قائلا إن «أوباما شعر أهمية ذلك»، كما أكد الجبير، الذي أصبح الآن وزير خارجية السعودية، أن «أوباما سيضرب بلا شك».

وبالفعل، أمر أوباما البنتاغون بإعداد قائمة أهداف، وكانت خمسة مدمرات أمريكا من نوع «أرلي بورك» في البحر المتوسط مستعدة لإطلاق صواريخ عابرة للقارات على مواقع النظام، كما كان الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند، أكثر المتحمسين للتدخل من بين زعماء أوروبا، يستعد للضرب كذلك. وطوال الأسبوع، أظهر مسؤولو البيت الأبيض بشكل علني أن الأسد ارتكب جريمة ضد الإنسانية، ليمثل خطاب كيري ذروة هذه الحملة.

لكن الرئيس بدأ يشعر بالتوجس، فبعد الأيام التي تبعت قصف الغوطة بالكيماوي، سيقول لي أوباما لاحقا، إنه وجد نفسه يتراجع عن فكرة هجوم غير مدعوم بقرار دولي أو من الكونجرس. الشعب الأمريكي بدى غير متعاطف مع التدخل.

أحد الزعماء القلائل الذين يحترمهم أوباما، المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، أخبرته أن بلده لن تشارك في حملة سوريا. وبتطور مذهل، الخميس، ٢٩ آب/ أغسطس، نفى البرلمان البريطاني مباركته لأي هجوم، وأخبرني كيري عندما سمع ذلك: «بيني وبين نفسي، لقد أخطأنا».

أوباما كان يعلم أن قراره بعدم قصف سوريا سيغضب حلفاء أمريكا، إذ أخبرني رئيس وزراء فرنسا مانويل فالس أن حكومته كانت قلقة من تبعات عدم التدخل

المبكر في سوريا عندما ظهرت كلمة «التنحي»، فقد أخبرني فالس: «عندما لم نتدخل مبكرا، خلقنا وحشا»، مضيفا: «كنا متأكدين أن إدارة الولايات المتحدة ستوافق، وقد وضعنا قائمة بالأهداف مع الأمريكيين، وكانت هذه مفاجئة كبيرة. إذا قصفنا كما كان مخططا، فإن الأمور ستكون مختلفة اليوم». ولي عهد أبو ظبي، محمد بن زايد آل نهيان، كانت غاضبا من أوباما لـ «تخليه» عن حسني مبارك، الرئيس المصري المخلوع، وأظهر لزواره الأمريكيين أن أمريكا يقودها رئيس «غير جدير بالثقة». العاهل الأردني عبد الله الثاني، الذي يشعر بالفزع مما رآه من رغبة أوباما غير المنطقية بإبعاد أمريكا عن حلفائها التقليديين السنة العرب في المنطقة، وإنشاء تحالف جديد مع إيران، داعمة الأسد الشيعية، اعترض بشكل خاص، قائلا: «أظن أنني أؤمن بالقوة الأمريكية أكثر من أوباما نفسه». السعوديون كانوا غاضبين كذلك، فهم لم يثقوا يوما بأوباما، فهو وصفهم قبل أن يصبح رئيسا بكثير بأنهم «المدعوون بحلفاء الولايات المتحدة»، إذ أبلغ الجبير زعماءه في الرياض بأن «إيران هي القوة العظمى الجديدة في الشرق الأوسط، والولايات المتحدة هي القديمة» (148).

السؤال الموجه للذين يستهولون اتهام آل سعود بالتحريض على ضرب مصر عام 1967: ما هو الفارق بين مصر وسوريا؟!.

هل يمكننا أن نصدق أن آل سعود يؤمنون حقا بأخوة الدين الذي يحرم عليهم سفك دماء أخوانهم في الإسلام؟!.

هل حقا يؤمنون بالعروبة أو أن موقفهم المناهض لإيران والقائل أليس من حقها التدخل في الشأن العربي بينما هم يحرضون أمريكا على ما هو أكثر من التدخل وهو الفتك بسوريا وتدميرها؟!.

(148) http://www.theatlantic.com/magazine/archive/2016/04/the-obama-doctrine/471525/

مصر وآل سعود التحالف المستحيل

لم يكن الهدف من هذا العرض استقصاء كامل ملف العلاقة بين مصر وما بات يعرف منذ أوائل القرن الماضي بالمملكة العربية السعودية، بل لبيان حقيقة التناقض الجذري بين كيانين أحدهما تاريخي وطني مر بأدوار حضارية متعاقبة منذ عصر الفراعنة ثم البطالمة مرورا بالحقبة الحضارية الفاطمية الأهم في تاريخ مصر والتي يتنكر الجميع لها خوفا وهلعا من اتهامهم بالتشيع لأهل البيت وما يتبع ذلك من تعرض لشتى صنوف القصف، وكيان مختلق هو الكيان الوهابي يتكون من أشتات لم يجمعها إلا القهر والسيف والزعم الفاجر أنها بلاد التوحيد الوهابي.

لا يتعلق الأمر بتناقض في التصورات والأسس الفكرية بل بصدام تاريخي وقفت فيه مصر محمد علي ممثلة للإسلام الحضاري مقابل (الإسلام) الوهابي الذي يمثل واحدة من أخطر محاولات الاستيلاء الجاهلي على الحضارة الإسلامية ودمغها بالإرهاب وهو ما يضج العالم منه الآن.

لا تملك الدول أن تغير طبائعها ومن باب أولى تاريخها فهو ليس شيئا يقبل التعديل والتغيير.

السلاجقة العثمانيون لم يغيروا طبعهم فدولتهم قامت على أنقاض بلاد الروم، دولة قامت على السلب والنهب دولة لا يمكنها النهوض إلا بخراب الآخرين.

أما الدولة السعودية فهي أعجوبة التاريخ.

دولة قامت على اعتقاد مخترع تزعم أنه وحده الإسلام الصحيح وكل ما عداه شرك

ومروق من الدين والأخطر من هذا أنها قامت على تسيد أسرة على أمة من البشر أصبحت لتجد نفسها ملكا لهذه الأسرة.

الدولة العثمانية قامت على تسيد عرق من البرابرة على الأمة بأسرها ومن ثم فالحال السعودي الوهابي أكثر سوءا من حال الهمج السلاجقة!!.

الأساس الأول الذي يستند إليه الكيان السعودي الوهابي هو (العقيدة الوهابية) التي منحت آل سعود (شرعية) قتال الناس حتى يذعنوا لها، سواء كان هؤلاء داخل حدود الكيان أو خارجه في الدول المجاورة ومن الطبيعي القول أن إقرار الكيان الوهابي بصيغة المواطنة يسلب منه شرعية الوجود كما أن قبوله بأننا جميعا شركاء وأخوة في الدين يقود إلى نفس النتيجة!!.

الطفرة الوهابية التي تحدثنا عنها سابقا والتي قادت قيادة عموم الوهابية للدخول في مغامرات توسعية في أفغانستان والآن في العراق والشام عبر أبنائها، تنظيم القاعدة و(الدولة الإسلامية في الشام والعراق داعش) يعني أن هذا المشروع مشروع طويل الأمد ذو مراحل لا يختلف عن المشروع الصهيوني الذي مر بأدوار ومراحل هجوم وتمدد يعقبها استراحة تعبوية يقنع أو يقتنع فيها خصومه الأغبياء بأنه شبع واكتفى أو تعب من التمدد وأنه اصبح كيانا طبيعيا يتصرف كسائر الكيانات ويسعى للسلام والاستقرار وكسب صداقات من قاوموه بالأمس ضمن إطار منظومة العلاقات الدولية والإقليمية وألا سبيل أمام المستهدفين من هذا المشروع سوى كسره وإجباره على التراجع أو تدميره نهائيا!!.

تآمر آل سعود على مصر وسوريا

مهما اختلفنا مع عبد الناصر أو مع سياساته فليس هناك عربي أو مسلم يختلف حول أهمية الوحدة بين مصر وسوريا وأنها كانت إنجازا استعاد التاريخ إلى مساره الصحيح.

ما الذي أغضب آل سعود من هذه الوحدة ودفعهم لإنفاق أموال المسلمين المنهوبة من أجل تخريب هذه الوحدة.

لنقرأ الحقيقة الصادمة والمؤلمة علها تفسر لنا الحرب التي تواجهها سوريا والتي يمولها آل سعود بكل ما استطاعوا فعله.

قصة تآمر الملك سعود للحيلولة دون قيام الوحدة يرويها عبد الحميد السراج:

.... ونهض جمال عبد الناصر من فراشه وأخذ مقعدا في مواجهة عبد الحميد السراج طالبا منه أن يبدأ القصة من أولها وأن يطلعه على وثائقها ومستنداتها.

قال السراج:

إن حكاية الملك سعود مع الشعبة الثانية (مخابرات عسكرية ترأسها السراج طيلة السنوات الثلاث السابقة على الوحدة) قصة طويلة. ويظهر أنهم كانوا يعتقدون أننا العقبة التي تقف أمام مخططاتهم وتقوم بكشفها. ولذا فإنهم بعد أن يئسوا من محاولاتهم توجهوا مباشرة إلى الشعبة الثانية.

دعاني الملك سعود لمقابلته حينما زار دمشق قادما بادن في طريقه إلى بيروت وقال لي إنه

يعتبرني مثل إبنه وسألني إن كنت أريد شيئا ووجدتها فرصة ملائمة لأقول له، يا جلالة الملك سامحني إن أخطأت في حديثي إليك.

هذه أول مرة أتحدث إلى ملك وطلبي منك، أرجوك ألا تصدق كلام الذين يذهبون إليكم ويقولون لكم أنهم يستطيعون أن يفعلوا كذا وكذا في سوريا، هؤلاء لا يقدرون على شيء وأنتم تدفعون لهم أموالا طائلة ولدي كشف بأسمائهم جميعا، كما أن لدي بيانا بالمبالغ التي حصلوا عليها منكم. إن هؤلاء الناس يضحكون عليكم وهم لا يقدمون ولا يؤخرون. أفهم أنك تريد أن تحارب الهاشميين وإن كنت تريد ذلك فضمانتك هي الجيش السوري فهو الذي يحمي سوريا والشعب السوري فقير لا يستطيع أن يعطي جيشه كل ما يحتاج إليه فإن كنت تريد أن تساعد حقيقة فما نتمناه منك هو أن تقدم مساعدة للجيش، كتيبة دبابات أو سرب طائرات أفيد من كل هذه الأموال التي تصرفونها في السر على الذينيقولون لكم أنهم يمنعون تحقيق أحلام الهاشميين في دمشق.

فوجئ الملك سعود وقال لي: إنني كنت أسألك عما إذا كنت تريد شيئا لنفسك ولم أسألك عن الجيش السوري، فقلت له يا جلالة الملك إن الجيش السوري هو الذي يهمني، ونحن مستعدون أن نقيم لك تمثالا في كل معسكر إذا ساعدت.

لم يبد الملك ارتياحا لما قلت ولم يسفر لقاؤنا عن شيء، لكنه دعاني لزيارته في الرياض في يوم من الأيام وقلت له أنا مستعد أن أستجيب لدعوتك في أي وقت تتفضل بتوجيهها.

بعد شهور وفي ذروة أزمة الحشود التركية ضد سوريا فوجئنا برسالة من الملك يدعوني فيها أنا واللواء عفيف البزري (رئيس أركان الجيش السوري) لمقابلته في الرياض واستغربنا من توقيت الدعوة وطلب منا شكري القوتلي أن نذهب ولو لليلة واحدة واتصل اللواء البزري بسلاح الطيران لتخصيص طائرة لسفرنا وكان أن تأخرنا عن الموعد المقررثم تحدد موعد السفر بعد منتصف الليل وقبل أن أتوجه للمطار أبلغت أن وكالات الأنباء العالمية نقلت خبر زيارة مفاجئة لرئيس وزراء تركيا (فطين زورلو) للرياض وانكشف المستور أمامنا وهو أن هدفهم هو الجمع بيننا وبين الأتراك تحت رعاية الملك سعود وألغيت الرحلة ولم نذهب.

بعد إعلان الاتفاق على إقامة الوحدة بين مصر وسوريا طلب النائب عزيز عياد مقابلتي وقال لي إن صهر الملك سعود، اسعد إبراهيم يريد أن يلتقيني فأحلته إلى ضابط في الشعبة الثانية ليستطلع ما عنده بينما طلبت معلومات عنده فعرفت أنه والد زوجة الملك المعروفة بأم خالد وأن الرجل أصبح من أصحاب الملايين وأن الرجل قبل أن يزوج ابنته للملك كام محكوما عليه في قضية سرقة حمار.

التقيته بعد ذلك وراح يتكلم في أمور عامة ثم خلص إلى أن الملك سعود يعتمد جدا على سوريا والشعب السوري عزيز عليه وسأل عن إمكانية زيارتي للرياض ولو سرا لمقابلة الملك لأنه يريد أن يفضي إلي –وهو يعتبرني إبنا له– باشياء هامة، فقلت له: إن الظروف لا تسمح لي بمغادرة دمشق، فاذهب أنت واسأل الملك عما يريد فنحن نقدر له نصائحه ونقدر حرصه على سوريا وشعبها فذهب الرجل وعاد قبل أيام قليلة من الاستفتاء والتقيت به ورحت أستدرجه لأعرف ما عنده، وبدأ يحدثني عن حرص الملك على سوريا وشعبها مرة أخرى وأن الاستقلال الذيتحقق لهما جاء بعد جهاد مرير وأنه لا يسمح بالتفريط فيه بسهولة وأن هذا الذي يجري تحت اسم الوحدة هو محاولة من عبد الناصر لإقامة إمبراطورية مصرية وقلت له (شو قلت بيريد الملك؟) وشرح لي ما يريد الملك وقلت له إن الأمور بأيدينا وليست بيد غيرنا ولكن أي عمل يقتضي ترتيبات. فقال لي أن الملك على استعداد لتقديم مساعدة ماليا وسياسيا من أجل تحقيق الهدف، فعرض مائة مليون جنيه استرليني يسلم لنا منها عشرين مقدما والباقي بعد نجاح الانقلاب على الوحدة.

ثم أضاف أن الملك يضمن لنا أن السفير الأمريكي سوف يعترف بنظامنا فور إعلان الانقلاب وكذلك اعتراف كل الدول الصديقة للولايات المتحدة.

بعد يومين عاد أسعد إبراهيم وسلمني شيكا بمبلغ مليون جنيه استرليني مسحوبا من البنك العربي المحدود في الرياض على بنك ميدلاند في لندن ثم عاد بشيك آخر بمبلغ 700 ألف ثم شيك بمبلغ 200 ألف جنيه استرليني وسألت أسعد إبراهيم عن بقية المبالغ فقال هذه 2مليون جنيه استرليني والباقي عندما يحدث شيء. ولم تكن الشيكات

التي سلمها لي ب2 مليون بل تنقص مائة ألف جنيه وكان علي أن أفهم أنه اختصم لنفسه هذا المبلغ كعمولة. وقلت له إننا لا نستطيع أن نتحرك الآن لأن الاستفتاء سوف يجري غدا والجيش مستنفر وهذا أسوأ وقت يمكن أن نتحرك فيه. وعلى أي حال لا بد أن تثقوا بنا وأنتم تعرفون أن الشعبة الثانية بيدها كل شيء في أي وقت. وأخرج من جيبه رسالة قال لي أنها موجهة من الملك إلي وكان مضمونها أن الملك في كل الظروف لن يتخلى عنا إذا مشينا معه كما لم يتخلى والده عبد العزيز عن شكري القوتلي. ثم سألني عما إذا كنا نستطيع فور الإنقلاب أن نسلمهم عددا من اللاجئين السياسيين السعوديين وأعطاني قائمة بأسمائهم ثم عاد ليكرر أن السفير الأمريكي سيكون جاهزا لتقديم اعتراف بلاده بالانقلاب فور حدوثه.

وتوقف عبد الحميد السراج ليسلم جمال عبد الناصر مجموعتين من الوثائق:

صور الشيكات وأذونات الدفع المتعلقة بها.

مجموعة من إشارات تحركات الطائر الملكية الاتي وضعت تحت تصرف أسعد إبراهيم وتنتقل بين دمشق والرياض.

ثم قدم إليه إيصالات بإتمام الإيداع في حساب باسمه في البنك العربي المحدود في سويسرا ثم سأله عبد الناصر: هل يعرف شكري القوتلي؟ وطلب ناصر منه أن يروي القصة له وأبدى السراج تحفظه من أن يقوم بإبلاغ السعوديين باانكشاف المؤامرة إلا أنه رد عليه قائلا أن القوتلي رجل عاقل وأنت تسيء الظن به وعلى أي حال فإنه سيجيء في الصباح وسوف أطلب منك أن تحكي له كل شيء أمامي.

لم يكن هذا هو كل ما لدى عبد الحميد السراج بل كان معه بعض تفاصيل مؤامرة أخرى أعدها أسعد إبراهيم بالاتصال مع أحد ضباط الطيران وقد وعده بنصف مليون جنيه إذا قام بضرب طائرة جمال عبد الناصر إذا جاء إلى دمشق بعد الاستفتاء.

بعد أقل من ساعة كان عبد الناصر في شرفة قصر الضيافة في دمشق يروي للجماهير المحتشدة تفاصيل القصة التي وصلت إلى جماهير الأمة بما فيها السعودية [149].

(149) د. زوقان قرقوط. المشروع القومي الذي لم يكتمل. ص 489-485. مكتبة مدبولي القاهرة.

العلاقة بين عبد الناصر وآل سعود

اكتسبت دولة آل سعود (حصانة دولية) لعدة أسباب يوردها الكاتب السعودي (فوزي نقيطي): لولا الحرمين الشريفين فضلا عن وجود البترول بكميات هائلة مكنت الأسرة السعودية من دفع الهبات والرشاوي للكتاب والصحفيين للدعاية لها والتغطية على سوءاتها وارتكاباتها التي جاوزت كل الحدود.

أمامنا كتاب ألفه الأمير طلال بن عبد العزيز عام 1962 وقت أن كان وزيرا للمالية تحدث فيه عن أوضاع المملكة ووصفها بالسيئة والشاذة والعجيبة ثم قال: إن من يتأمل أوضاعنا يكاد يعتقد أننا شعب عقيم وأن أضرنا حكم عليها بالتخلف والجهل وأننا لم نخلق لندلي بدلونا في حضارة أو معرفة أو تقدم وأنه مقضي علينا بالجمود في عالم دائم الحركة سريع التطور وحمل أسرته مسئولية تلك الأضواع بقوله «لا شيء يعيق تطورنا نحو الإصلاح السياسي والخير الاجتماعي أصعب مراسا من تلك العقلية البدائية التي تتصور أن بقاءها رهن ببقاء الجهل والتبعية واستمرار الظلم والبطش والحرمان».

ونواصل النقل عن فوزي أسعد نقيطي: ونظرا لأن الولايات المتحدة هي المسئولة عن حماية المملكة فإن الجيش حسب الأمير طلال (ظل قليلا في عدده ضعيفا في عدته وأن مئات ملايين الدولارات التي صرفت من الخزينة لتسليح الجيش ضاعت في صفقات غامضة مريبة وترتيبا على ما سبق فإن الاقتصاد السعودي واهن الأساس ضعيف البنيان حتى ليتهدد ذلك مجتمعنا وكياننا بأخطار كثيرة).

وأشار الأمير أيضا (أن أفراد الأسرة المالكة يتقاضون مخصصات مالية طائلة ترهق

خزانة الدولة، وبينما انغمس البعض في الترف نزل الأكثرون إلى أدنى مستويات العيش وذاقوا ذل الحاجة ومرارة الحرمان. لقد من الله على بلدنا بالخير واختارها مهبطا للوحي كما من الله علينا بمصادر الثروة الطبيعية الهائلة المتمثلة في النفط فبددنا كلتا الثروتين الروحية والمادية فلم نرع حرمة مركزنا الديني وبددنا ثروتنا المادية فلم نسخرها للخير العام، بل جعلناها وقفا على فئة مترفة من الناس وحراما على سواد الشعب إلا صدقة وإحسانا).

يقول فوزي نقيطي: وكان السفير الأمريكي قد نبه حكومته لسوء الوضع الاقتصادي وافتقار البلاد إلى نظم مالية وتابع في مذكراته بتاريخ 14 فبراير 1953 (أن البلاد ليست عصرية ولا شبه عصرية وتسير كيفما اتفق وهي تعاني من التخلف في كافة المجالات فلا صناعة ولا مواصلات) وفي هذا الصدد نشرت جريدة المدينة عنوانا بارزا (حلم الشعب السعودي تعبيد الطرق بالمملكة).

ولأن الاقتصاد السعودي كان ولا زال يعتمد على البترول كمورد رئيسي فقد جعل كل بناء أو إنجاز مهددا بالخطر، فعندما كانت عوائد البترول تمثل ٪85 من موارد الاقتصاد كانت الأسرة الحاكمة تستنزف أكثر من ٪50 منها.

وظل الحال على ما هو عليه حتى اشتعلت الثورة اليمنية عام 1962 حيث اشترط الرئيس كينيدي وضع برنامج للتحديث في السعودية مقابل تعهده بالدفاع عنها خشية سقوط المصالح الأمريكية بانهيار النظام السعودي ذاته [150] .

نمضي مع فوزي نقيطي وهو يكمل روايته:

لم يهتم الرئيس عبد الناصر ببلد اهتمامه بالعربية السعودية حيث زارها خمس مرات كما كان صريحا للغاية عندما زار الملك سعود في أغسطس 1954 حيث تحدث معه عن ضرورة صيانة أموال البترول من التبذير وحدثه عن ضرورة إعداد برنامج إصلاحي يحقق رفاهية الشعب السعودي وقال: أن مصر على استعداد أن تضع خبراتها تحت تصرف المملكة دون تحفظات.

(150) فوزي أسعد نقيطي، جمال عبد الناصر وعصره. ص 404-403 ط دار المعارف مصر.

لم تبخل مصر الثورة على السعودية بأي جهد لوضع البدايات والأسس لبناء دولة حديثة فاستقبلت مئات الطلاب الذين التحقوا بمدارسها وجامعاتها وكلياتها العسكرية بل وتفخر الكلية البحرية أن خريجيها هم الذين أوجدوا سلاح البحرية السعودية من العدم والمعنى أن مصر الثورة هي التي أوجدت نواة الجيش السعودي.

كما أرسلت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية في يناير 1955مـ بعثة مؤلفة من 40 ضابطا للتدريس في الكلية الحربية السعودية التي أنشئت في الرياض حيث أنشأ العقيد «الزغبي» أول وحدة سعودية منقولة جوا، كما أنشأ مدرسة للمظلات.

كما أخذت كلية الشرطة في القاهرة تستقبل أعدادا من الطلبة السعوديين بدءا من سنة 1954، كما جاء إلى مصر عشرات من الموظفين السعوديين للتدريب في شتى المجالات.

ولكن رغم كل هذه الجهد فقد باءت كل محاولات الإصلاح بالفشل كما قال الأمير طلال بسبب (إصرار المسؤولين على بقاء الأوضاع البالية واستمرار النظم البدائية القائمة على اعتقاد منهم أن بقاءهم مرهون ببقاء الجهل والتبعية واستمرار الظلم والبطش والحرمان)، لذا فإن اشتعال الثورة اليمنية جعل السعوديين يرتعدون خوفا اعتقادا منهم أن البيت السعودي سيكون الهدف التالي للناصرية.

كان الملك سعود (يعتبر النظام الثوري الموالي لعبد الناصر في اليمن تهديدا مميتا لوضعه بسبب الامتداد الجغرافي وإمكانية انتقال العدوى إليه بسبب التماثل بين النظامين).

أما الأمير فيصل الذي ذهب إلى نيويورك لحضور جلسات الأمم المتحدة فقد ذهب إلى واشنطن وطلب لقاء الرئيس كينيدي لمعرفة مدى التزام أمريكا بمساندة النظام السعودي حيث حاول إقناعه (أن هدف عبد الناصر هو سحق الحكومة السعودية وأنه ما لم تتخذ الإجراءات ضد النظام الجديد وتعود أوضاع اليمن إلى ما كانت عليه فإن اليمن سوف يصبح قاعدة للشيوعية ومركزا للنشاط الهدام)، إلا أن الرئيس كيندي نصحه بإعداد برنامج للإصلاح والقيام بأعمال مدنية في المملكة وإقامة طرق ومبان ومنشآت حكومية مع وعد بإرسال عناصر من سلاح المهندسين للاشتراك مع الجيش السعودي لتنفيذ تلك الأعمال موضحا (أن برنامجا كهذا سوف يظهر مدى حرص الولايات المتحدة على تقدم

المملكة وازدهارها.

ما أن التقى تالبوت مساعد وزير الخارجية الأمريكية بفيصل يوم 9 أكتوبر حتى نصحه بالتالي:

أولا: تشكيل قيادة حازمة مستنيرة تتولى إدارة شئون البلاد التي اهتزت وأمست بلا ضابط بسبب أحداث اليمن.

ثانيا: إدخال بعض النظم المطلوبة لتقوية البنية الداخلية للنظام والتعجيل ببرنامج تطوير الاقتصاد مع إقامة حكومة دستورية.

ثالثا: البدء في تبني سياسة خارجية ديناميكية جديدة.

كما اقترح تكليف السفير في جدة (حث السلطات السعودية على دفع عملية الإصلاح والتقدم في المملكة باعتبار ذلك أفضل الوسائل الدفاعية لمواجهة الأحداث في اليمن ولتكون بمثابة الرد على رسالة ناصر الثورية). وبالفعل فقد بعث نائب وزير الخارجية إلى السفير في جدة برقية قال فيها: إن اهتمام الولايات المتحدة بالاستقرار في المملكة العربية السعودية وحماية المصالح الأمريكية فيها صار أمر معلوما لدى القاهرة، إلا أن ما نخشاه أن يفسر فيصل ضمان حمايتنا للمملكة واستقرارها تفسيرا خاطئا أو أن هذا يشمل الحفاظ على الأسرة السعودية بأي ثمن مطالبا (أن يبدأ فيصل على الفور وضع برنامج للإصلاح والتحديث وسوف يجد منا كل عون مادي ومعنوي).

ولقد أكد على ذلك الرئيس كينيدي بأن أرسل خطابا للأمير فيصل قال فيه (أن الحماية الأمريكية للسعودية مشروطة بتحديثها).

ثم أرسل وزير الخارجية الأمريكية ببرنامج متكامل للإصلاح إلى السفير يتضمن 10 نقاط هي:

1 – الحد من إسراف العائلة السعودية الحاكمة.

2 – زيادة المشاركة الشعبية في الحكومة.

3 – التخلص من (.....) الموظفين المدنيين.

4 – الإسراع في وضع آليات لصنع القرار.

5 – إزالة العقبات أمام البرنامج الاقتصادي ليواصل انطلاقه.
6 – الحد من الرشاوى ووسائل الكسب غير المشروع في الحكومة.
7 – تحسين وضع القضاء وتحقيق العدالة.
8 – تحسين النظام التعليمي.
9 – الحد من العبودية.
10 – إلغاء الرق.

ويمكن القول أن الإدارة الأمريكية وهي تتحرك نحو عملية الإصلاح في السعودية كانت تدرك جيدا أن الناصرية شكلت تحديا مباشرا لنظام الحكم السعودي وأنها مست الحياة الاجتماعية والسياسية في المملكة مساً عميقا [151] .

الذي نخلص إليه من العرض السابق أن عبد الناصر لم يكن سباقا لمعادة آل سعود وما سرده فوزي نقيطي يكفي لإثبات هذه الحقيقة وأن معضلة آل سعود تجاه عبد الناصر تمثلت في رؤيتهم لسياساته ليس فقط كتهديد مستقبلي لهم (تهديد بالنموذج) بل كخطر داهم ينبغي القضاء عليه قبل أن يتمدد ويستفحل.

حتى ولو غير عبد الناصر من أساليبه ولجأ إلى دعم دعاة الإصلاح والتغيير بشكل غير مباشر وهو ما نعتقد نحن أنه كان الخيار الأفضل لما تغير موقف آل سعود منه على الإطلاق.

أن تكون المطالبات الأمريكية لآل سعود بالإصلاح مرفقة بلائحة إجمالية وأخرى تفصيلية مقبولة لا لشيء إلا لأن الولايات المتحدة تضمن خلود الملك السعودي، بينما تُرفض نصائح عبد الناصر رغم محاولاته للتقارب معهم وتقديم الدعم لهم بل ويعتبر العدو الأول الذي تعد له المكائد والفخاخ فهذا هو الخزي والعار بنفسه.

الملاحظ أن مجموعات المطالبات الأمريكية لآل سعود بالإصلاح منذ عهد كينيدي لا تختلف كثيرا عن ذات المطالب في عهد باراك أوباما.

الخلاف الأهم، أنه في عهد كينيدي كان منطلق مطالب الإصلاح يرتكز إلى أن عبد

(151) المصدر السابق ص 413-409.

الناصر ليس هو العدو وأن العدو هو الفساد كما هو مدون فيما سبق.

أما في عهد أوباما فالمرتكز الأساس أن الخطر على نظام آل سعود ليس آتيا من إيران بل من الداخل ربما مع اختلاف طفيف في التفاصيل، ليبقى آل سعود على ذات النمط السلوكي في التعامل مع قضايا الداخل والخارج هو هو يرفض الإصلاح ويعانده أما الأسوأ من هذا أنه قرر في الأعوام الأخيرة غزو العالم وفرض ذات النمط التخريبي في الدول المبتلاة بالسرطان الوهابي.

يمكننا القول إذا أن (الانتصار الوهابي) على عبد الناصر دفع آل سعود إلى حافة الجنون وهو قرار جرى اتخاذه عشية انتهاء تلك الحرب المشئومة عام 1967.

التآمر على مصر وعبد الناصر
إنهم يريدون اصطيادك!!

لم يمارس آل سعود ما يسمى بالاستقلال طيلة حكمهم فهم تحت حماية بريطانيا أولا والآن تحت حماية أمريكا وعدوهم يتغير بين الفينة والأخرى وفق مقتضيات وطبيعة التحدي التحرري الذي يواجههم.

في العصر الناصري كان العدو رقم واحد هو القومية العربية والآن أصبح الخطر الشيعي.

عندما كان العدو هو القومي الناصري التحرري لأنه لا ينفذ 101٪ من أوامرهم حسب ذو الفقار علي بوتو وكان شاه إيران حليفا لهم وكان (التضامن الإسلامي) هو الشعار المرفوع أي قميص عثمان.

عندما قامت الثورة الإسلامية في إيران وخرج هذا البلد من دائرة النفوذ الأمريكي رفع شعار الخطر الإيراني والمد الشيعي.

بوتو في القاهرة

في شهر يوليو 1966 تلقى جمال عبد الناصر رسالة عاجلة من السيد ذو الفقار علي بوتو وزير خارجية باكستان في حكومة الجنرال (أيوب خان) ثم أصبح فيما بعد رئيسا لوزراء باكستان حتى قام الجنرال ضياء الحق بانقلاب عسكري (بدعم سعودي) [152] أطاح به ونفذ فيه حكم الإعدام يوم 4 أبريل 1978 رغم نداءات ومناشدات عالمية لوقف تنفيذ الإعدام.

كان ذو الفقار علي بوتو قد ترك منصبه كوزير للخارجية وذهب لاجئا إلى جنيف في سويسرا.

التقى بوتو بعبد الناصر يوم 20 يوليو سنة 1966 لمدة ساعة ونصف.

بدأ عبد الناصر المقابلة بقوله لبوتو: إني سعيد لرؤيتك ورد بوتو: شكرا كيف أنت سيدي ثم قال بوتو: إنني كما تعلم تركت منصبي كوزير للخارجية منذ أسابيع ثم ذهبت للعمرة وقررت أن أسكن في جنيف مبتعدا لبعض الوقت عن أي عمل سياسي ثم شعرت أن من واجبي أن أجيئ إليك لأضع تحت تصرفك بعض ما أعرفه عن الأوضاع التي ستؤثر في مصائر كل المعتقدين بإمكانية الحرية والتنمية في أفريقيا وآسيا، فأنت الوحيد الباقي على المسرح من الزعماء الكبار لحركة التحرر الآسيوي- الأفريقي.

وحتى لو كان نهرو لا زال موجودا على قيد الحياة كان ممكنا من الناحية النظرية أن أتوجه إليه بأفكاري ومخاوفي لكن هذا كان مستحيلا بحكم طبيعة العلاقات الهندية الباكستانية.

كان يمكن أن أفكر في سوكارنو لكنه في أيامه الأخيرة وهم يسقطونه ببطء وأنا حزين لما يجري له وإن كنت أظن أنه شارك في صنع مصائبه بنفسه.

سيدي الرئيس أرجوك أن تسمع مني فأنا لا أريد أن أتحدث علنا كما شرحت لك. في

(152) ما بين قوسين من عندنا وليس من النص الأصلي.

نفس الوقت فإن لدي ما أفضي به إلى من يستطيع أن يتصرف إزاءه خصوصا إن كان هو نفسه في دائرة الخطر الشديد واستطرد بوتو وقد ارتفعت نبرة صوته (أرجو أن تعرف سيدي أنهم خارجون لاصطيادك).

إن السياسة الأمريكية قد بدأت تدخل في مرحلة نشيطة جدا في آسيا وأفريقيا وقد حصلت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على توجيهات من الرئيس جونسون باتباع سياسة هجومية في كل مكان، ورغم مأزقهم العسكري في فييتنام فهم يعتقدون أن الموقف الدولي ملائم فهناك من وجهة نظرهم فرصا سانحة في أكثر من موقع من العالم.

• فهم يعتبرون أن القيادة السوفييتية الحالية أظهرت رغبة في التراضي معه بأي ثمن وهذه فرصة سانحة.

• وهم يعتقدون أن النزاع الصيني السوفييني يقسم العالم الشيوعي إلى معسكرين متخاصمين وهذه فرصة أخرى.

• وهم يعتقدون أن الحرب الهندية الباكستانية الأخيرة قسمت شبه القارة الهندية وهذ فرصة ثالثة.

• وهم يعتقدون أن العالم العربي قد انقسم إلى جبهتين فهناك دعاة القومية العربية في مواجهة فكرة المؤتمر الإسلامي وهذه فرصة رابعة سانحة.

وقد باتوا يعتقدون أنه لا يحق لهم أن ينتظروا نهاية حرب فييتنام كي يسووا أمورهم في العالم وإلا ضاعت كل هذه الفرص.

ولقد ترسب لدي شعور أنهم قرروا مواصلة السعي لتحقيق هدفين في نفس الوقت، تحقيق انتصار عسكري في فييتنام وتحقيق انتصارات سياسية في أي مكان في العالم الثالث يشعرون فيه أن مصالحهم مهددة من قبل أي حركات سياسية أو زعامات لها وضع خاص، والأسلوب الذي قرروه لذلك هو الاعتماد على طرف محلي يساعدونه بكل الوسائل الظاهرة والخفية ويحقق لهم بالوكالة ما يطلبونه لأنفسهم.

واصل بوتو كلامه شارحا الضغوط الأمريكية في مساعدة تأسيس المؤتمر الإسلامي كبديل لحركة القومية العربية قائلا (كنا نسمع عن فكرة مؤتمر إسلامي يشجعه الملك

فيصل ومعه اصدقاؤه من ضمنهم شاه إيران وقد كنت في اجتماع وزراء خارجية الحلف المركزي في اسطنبول حينما جاء أول إعلان عن إقامة المؤتمر وكان دين راسك وزير الخارجية الأمريكي متحمسا للفكرة وقد تحدث محبذا لها مع الأتراك والإيرانيين ومعي وقد لاحظت أنه لم يكن قادرا على كتم مشاعره حيث قال لوزير الخارجية التركي إن هذا العمل هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينجح في محاصرة نفوذ الجمهورية العربية المتحدة وقد ناقشته في حضور وزير خارجية تركيا وإيران وقلت: أفهم أن يعقد بين وقت وآخر اجتماع عام للمسلمين ولكن أن يتحول ذلك إلى مؤسسة دائمة فهذا سوف يؤدي إلى مشاكل كثيرة.

هل يمكن لكم في الغرب أن تجتمعوا كمسيحيين؟ إنم هذا سيحدث دهشة في العالم لأن هذا يعني العودة لتقسيمه على أسساس ديني، فقال راسك أمام زميلاي من تركيا وإيران إنه يستغرب صدور هذا الكلام من وزير خارجية باكستان وهي دولة قامت على أساس ديني، فرددت عليه أن هذا حدث في دولة واحدة ولظرف خاص، لكنه إن حدث على مستوى العالم دون داع يقتضيه فإنني أخشى عواقبه.

وانتقل بوتو إلى تجربته الشخصية مع الأمريكيين فقال: إنني ذهبت إلى الرئيس أيوب خان محاولا إقناعه أن تتخذ باكستان سياسة مستقلة تحتفظ بمسافة محترمة بينها وبين السياسة الأمريكية وفي بعض الأحيان أحسست أنه يتخذ سياسة متأرجحة بين آرائي وبين الضغوط الأمريكية وقد ذهب لزيارة واشنطن وكنت معه وكان طلبه الرئيس زيادة المعونة لباكستان ثم التقى بمفرده مع الرئيس جونسون وعندما عاد قال لي: إنهم قد يفكرون في زيادة المعونة لباكستان بشرط واحد وسألته عن الشرط فرد (التخلص منك).

دهش عبد الناصر وسأل: من الذي قال هذا، فرد بوتو: الرئيس جونسون شخصيا في ديسمبر ولقد زاد غضبهم عليّ بعد أن نجحنا في مؤتمر طشقند بدعوة من الرئيس كوسيجين في تهدئة الأمور بين الهند وباكستان بمشاركة رئيس وزراء الهند شاستري وكانت السياسة الأمريكية ضد هذا الاتفاق تماما.

كانت السياسة الأمريكية ضد هذا الاتفاق تماما لكن لم يكن في وسعهم معارضته صراحة وإلا ظهروا بمظهر من يريد استمرار الحرب بين القوتين الكبيرتين في شبه القارة الهندية فشن أصدقاؤهم حملة ضدي بدعوى أنني فرطت في مصالح باكستان وقد ذهبت للرئيس أيوب خان وقلت له أنني مستعد لترك الحكومة فرفض بادئ الأمر ثم ذهبت إليه ووجدته يقول لي: لقد حاولت أن أحتفظ بك إلى جانبي لكنني أعتقد أأنه جاء الوقت لنفترق فقدمت له استقالتي وذهبت إى لاهور وفوجئت بمظاهرات كبيرة مؤيدة لي وعندما وصلت إلى كراتشي كانت المظاهرات أشد. واتصل بي الرئيس أيوب وقال لي: بعد ما حدث أرى من الأفضل أن تسافر خارج باكستان لشهر أو شهرين حتى تهدأ الأمور فقلت له أني سأسافر غدا إلى أوربا ورد علي بقوله: لا تتصور أن دورك السياسي قد انتهى وقلت له إن شاء الله. ثم قلت للرئيس أيوب إنني ما زلت شابا وأثق أن مستقبلي لا زال أمامي فسأله عبد الناصر كم عمرك الآن سبعة وثلاثون عاما فقال له عبد الناصر: بالفعل ما زال مستقبلك فرد بوتو: لكنهم لن يتركوني ولا أعتقد أن هدفهم هو مجرد إخراجي من وزارة الخارجية بل تصفيتي تماما فتلك هي سياستهم مع أي شخص لا يطيعهم في ٪101 من طلباتهم [153].

(153) محمد حسنين هيكل. حرب الثلاثين سنة 1967 الانفجار. مركز الأهرام للترجمة والنشر الطبعة الأولى 1990.

التحالف الأمريكي السعودي ضد ناصر

والنقل عن محمد حسنين هيكل

كان الرئيس جونسون يتصرف في موضوع صفقات السلاح لإسرائيل دون أي حذر فقد كان العالم العربي بالنسبة له ساحة مفتوحة لكل محاولات التأثير والضغط كما أن عناصر عربية عديدة كانت على استعداد لأن تعرتف أن العدو هو الجمهورية العربية المتحدة وليست إسرائيل.

بعد إعلان أمريكا عن صفقات الأسلحة لإسرائيل كان الملك فيصل في طريقه للقيام بزيارة رسمية للولايات المتحدة وقبلها بأيام أذاعت الخارجية الأمريكية نص تعهد سري قدمه الرئيس الأمريكي الراحل جون كينيدي للأمير فيصل بتاريخ 25 ديسمبر 1962 وقت أن كان وليا للعهد.

كان نص التعهد (أود أن يصبح مفهوما بوضوح أن بإمكان المملكة العربية السعودية أن تعتمد على صداقة الولايات المتحدة وتعاونها في كل ما يمس سلامتها وأمنها) وأضافت الخارجية الأمريكية (إن كل حكومة أمريكية منذ عهد ترومان قدمت مثل هذا التعهد للمملكة العربية السعودية).

أوضحت مجموعة المقدمة في اتصالاتها الأولى أن إسرائيل ليست هي المشكلة بالنسبة للمملكة وربما بالنسبة لغيرها من دول البترول وأن الخطر الحقيقي في رأيهم جميعا هو حركة القومية العربية كما تمثلها القاهرة، كذلك أوضحت مجموعة المقدمة أن

السعودية ماضية في تنفذي فكرة المؤتمر الإسلامي كبديل يمكن الالتفاف به من حول الجامعة العربية، والمدهش أن عدنان خاشقجي في إطار مجموعة المقدمة طرح لأول مرة فكرة حلف مارشال الشرق الأوسط يمول من فوائض البترول وينفذ لصالح المنطقة كلها بما فيها إسرائيل بعد تسوية الأمور أو تهدئتها في المنطقة [154] .

عندما وصل فيصل إلى واشنطن التقى بالرئيس جونسون على انفراد ليصدر بعدها تصريح على لسان المتحدث باسم الخارجية الأمريكية قال فيه: إن تدهور الأوضاع في اليمن بعد تعثر اتفاق جدة وفشله قد جرى بحثه بين الملك والرئيس وأن الرئيس قدم للملك تعهد الولايات المتحدة أن السعودية تستطيع الاعتماد على صداقة الولايات المتحدة مهما كانت تطورات الأوضاع في اليمن [155] .

محاولة ناصر الخروج من المستنقع اليمني

في عام 1965 لم يكن جمال عبد الناصر مطمئنا للمجرى العام للأحداث وكانت معركة القمح ترخي بظلالها على المشهد.

كانت هناك ثغرتين في الموقف:

الأولى هي القمح.

والثانية هي اليمن واستمرار القتال الذي كان يكلف الخزينة المصرية سنويا ما بين أربعين إلى خمسين مليون جنيه (100 مليون دولار وقتها) وهو مبلغ يكفي لشراء كل احتياجات مصر من القمح.

وهكذا بدا ضروريا ضرورة بذل المزيد من الجهد لسد الثغرتين [156] .

---

(154) كان عدنان خاشقجي باعترافه أثناء تحقيقات قضية إيران كونترا قد التقى ابتداء من سنة 1964 أكثر من مرة بشيمون بيريز في باريس وغيرها من عواصم أوربا وكان هذا الوقت الذي طرحت فيه إسرائي فعلا مشروع التنمية على مستوى المنطقة كوسيلة لتحقيق السلام بترابط وتكامل المصالح بين جميع الفرقاء.

(155) محمد حسنين هيكل. حرب الثلاثين عاما 1967 الانفجار. مركز الأهرام للترجمة والنشر 1990. ص 347-349.

(156) محمد حسنين هيكل. حرب الثلاثين عاما 1967 الانفجار. مركز الأهرام للترجمة والنشر 1990. ص 185.

توجه عبد الناصر يوم 21 أغسطس إلى جدة عبر ميناء برنيس على البحر الأحمر.

وفي يوم 24 أغسطس 1965 تم التوصل إلى (اتفاقية جدة) المكونة من ثلاث بنود:

1 – يقرر الشعب اليمني رأيه في نوع الحكم الذي يرتضيه لنفسه في استفتاء شعبي في موعد أقصاه 23 نوفمبر 1966.

2 – تعتبر المدة الباقية حتى تاريخ الاستفتاء فترة انتقالية بقصد الإعداد للاستفتاء المذكور.

3 – تتعاون المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة في تشكيل مؤتمر انتقالي يتكون من خمسين عضوا ويمثل القوى الوطنية وأهل الحل والعقد في اليمن بعد التشاور مع الفئات اليمنية المختلفة حسبما يتم عليه الاتفاق (157).

المعنى أن ذهاب عبد الناصر للتفاوض مع الملك السعودي فيصل ينفي تماما أنه كان يخطط أو يتآمر على آل سعود، لكنه لا ينفي قطعا أن وجود الجيش المصري في اليمن ودعم الحكم (الثوري) الجديد شكل تهديدا بعيد المدى للنظام الوهابي القبلي وقدرته على بسط نفوذه وهيمنته على كامل الجزيرة العربية.

الأمر الآخر أن نظام آل سعود شكل جزءا من منظومة التآمر الدولي على حركات التحرر العالمي التي تشكلت آنئذ تحت راية (عدم الانحياز) التي اعتبرتها الإمبريالية الأمريكية تحديا لنفوذها وسعت لهزيمتها وكسرها من أقصى الشرق في فييتنام إلى أقصى الغرب في كوبا وأمريكا اللاتينية.

في هذا الوقت جهد آل سعود جهدهم في دعم مشاريع الغرب الاستكباري وتفتيت أي كتلة وازنة يمكن أن تصطف في مواجهة هؤلاء من خلال توظيف مكانتها (الدينية) المغتصبة باعتبارها أرض الوحي والمكان الذي تتواجد فيه قبلة المسلمين الكعبة المشرفة للمشاغبة والتشويش على أي نهضة تواجه الاستكبار العالمي، تارة باعتبار القومية العربية نقيضا للإسلام والآن عبر رفع شعار المواجهة بين المذاهب الإسلامية المتنوعة.

(157) المصدر السابق ص 194.

بعد أن كانت القومية العربية هي العدو الأول وإسرائيل الغاصبة لفلسطين هي العدو الثانوي حلت إيران والشيعة محل مصر والقومية العربية والله وحده ما ستأتي به الأيام لو بقيت دولة آل سعود على قيد الحياة تتلون وتتغير كالحرباء لتبقى إسرائيل هي (العدو) الثانوي أو كما قال أنور عشقي (عدو عاقل «إسرائيل» خير من صديق جاهل «إيران«)!!!.

أمن الخليج خط أحمر أم تركواز أم فوشيا تفتشي!!

في أعقاب حرب الخليج الثانية (حرب الكويت) تم التوقيع في دمشق وتحديدا يوم 6 مارس 1991م على قيام منظومة أمنية تحت اسم دول إعلان دمشق.

تلك المنظومة التي ضمت وقتها دول الخليج الست إضافة لمصر وسوريا حيث تم وضع مبادئ للتنسيق والتعاون في المجال الاقتصادي والثقافي وفي مجال مؤسسات العمل العربي المشترك و في المجالَين السياسي والأمني حيث جاء في الوثيقة (تؤكد الأطراف المشاركة احترامها لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية، والتزامها بمعاهدة الدفاع المشترك. وإذ تشير، على وجه الخصوص، إلى المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية، ترى أن وجود القوات المصرية والسورية على أرض المملكة العربية السعودية، ودول عربية أخرى في منطقة الخليج، تلبية لرغبة حكوماتها، بهدف الدفاع عن أراضيها، يمثل نواة لقوة سلام عربية، تعد لضمان أمن وسلامة الدول العربية في منطقة الخليج، ونموذجاً يحقق ضمان فاعلية النظام الأمني العربي الدفاعي الشامل).

رحم الله (إعلان دمشق) رحمة واسعة وأسكنه فسيح أرشيفه حيث توفي الفقيد بعد أقل من ثلاثة أعوام من ميلاده دون تشييع رسمي ولا شعبي لجنازته ودون أن يعرف مكان دفنه فلا الإعلان بقي ولولا صمود الشعب السوري بدعم من إيران وحزب الله لم يكن حتى هنالك دمشق التي أنفق شركاء الإعلان كل ما لديهم لمحوها من خارطة الكرة الأرضية والحمد لله أن بقيت دمشق من دون إعلان ولا أهل الإعلان.

الدرس الأول من وفاة إعلان دمشق هو أن هذه الدويلات ليس لديها صديق ولا عزيز

ولا تعرف شيئا اسمه (وفاء) التي ماتت يوم موت السموأل ليلحق بها شقيقها الأصغر (تضامن العربي)

ورحم الله تلك الشعارات ولا رحم من رفعها!!.

الدرس الثاني هو أن هؤلاء لا يملكون شيئا من أمر أنفسهم وأن الأمر كله لأمريكا (مد الله في عمرها وبسط في نفوذها) حسب رأي هؤلاء أو أخذها الله أخذ عزيز مقتدر حسب رأينا!!.

والرأي الأول ما زال هو الأرجح!!.

ولأن المرحوم (إعلان دمشق) مات أو قتل في ظروف غامضة فلا أحد يعرف من طلب سحب القوات السورية والمصرية من هذه الدول، وهل كان هذا بناء على طلب من اصحاب القوات (ردا على عدم الاستجابة لمطالبهم المبالغ فيها) حسب قول أهل الهوى يا ليل، أم بناء على طلب هذه الدول في رواية ثانية، أما الرواية الراجحة فيقول أن هذا السحب كان بطلب صاحب هذه الدول وهو أمريكا، أخذها الله من منطقتنا أخذ عزيز مقتدر!!.

من الطبيعي أن التعاون الاقتصادي والثقافي ووو كل هذا ذهب مع الريح وعاد عرب الخليج ليدوروا في فلك الحماية الأمريكية وحدها لا شريك لها وهذا (هو التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) إذ لا يمكن للعبد أن يخدم سيدين!!.

نقول هذا الكلام للذين ما زالوا يرددون أن (أمن الخليج خط أحمر) وفي رواية خط تركواز وفي رواية ثالثة فوشيا تفتشي.

أمن الخليج في حقيقة الأمر، أمن إمدادات الطاقة والنفط وهو حاجة أمريكية أوروبية بحتة فما بالك بعد أن قررت السعودية بيعه لهؤلاء بصورة شبه مجانية، وبعد أن ضحى القوم باقتصاديات بلدانهم لا فارق بينهم ومن يحرقون الدولارات لإشعال السجائر في ملاهي أوروبا باعتبارها من حر مالهم!!.

الوجه الآخر لهيعة (أمن الخليج) هو إبقاؤه في مواجهة مع إيران رغم أن عقلاء هذه الدول يعرفون جيدا ألا تهديد إيراني يواجههم وأن إبقاءهم في هذا الحال لا يعني خوفا

أمريكيا عليهم بل توظيفا لهم في معركة لا ناقة لهم فيها ولا جمل ولا لكزس أو حتى رولز رويس.

لو كان هناك من يحرص على (أمن الخليج) فلينصح هؤلاء بإقامة منظومة أمن إقليمي تضمن مصالح الجميع وتضمن ألا تتحول بعض هذه الدول إلى دول راعية ومصدرة للإرهاب كما هو الآن.

يمكننا أن نطمئن وقتها على صحة إخواننا الخلايجة المرفهين وأنهم يعيشون أحلى أوقاتهم بالطريقة التي تحلو لهم ويمكننا عندها أن ننشغل نحن بمعالجة همومنا ومصائبنا، خاصة وأن اللي فينا مكفينا!!.

د أحمد راسم النفيس

2015/01/17

نشر هذا المقال في موقع النفيس حسب التاريخ المدون وهو مقال يكشف أحد أوجه الحقيقة التائهة بين التصريحات الوردية.

تدين دويلات الخليج بالفضل في بقائها على قيد الحياة بعد الغزو الصدامي للكويت للدول العربية المشاركة في (عاصفة الصحراء) ومن أهمها مصر وسوريا.

ولأن الغدر ونكران الجميل سمة غالبة لدى المشيخات الحاكمة فقد تنكر هؤلاء للاتفاق المبرم الذي بني على قواعد من الأحلام الوردية، وما إن أحس هؤلاء بالاستغناء حتى داسوا اتفاقاتهم بأقدامهم!!.

ليس فقط داسوا تواقيعهم بالأقدام بل هم يشنون الآن أقذر حرب عرفها التاريخ ضد سوريا التي أنقذتهم من محنتهم وحمت وجودهم!!.

هل يمكن أن تكون نواياهم تجاه مصر مختلفة عن نواياهم تجاه سوريا؟!.

أخيرا

نحن لا نتحدث عن الإدارة اليومية للعلاقات بين مصر وشعب الجزيرة العربية ولا ندعو لقطعها ولا لكراهية الغالبية العظمى من هؤلاء بل نكشف الخلفية الحاكمة لسلوك آل سعود ورؤيتهم لمصر وتربصهم بها ومحاولة تركيعها وتحويلها إلى جرم صغير

يدور في فلك آل سعود.

بتاريخ 9 يناير 2016 كتب المهرطق الرسمي باسم آل سعود، جمال خاشقجي مقالا بعنوان (إما أن إما أن تكونوا معنا أو ضدنا)، حدد فيه (للدول التابعة) ما يتعين عليهم تنفيذه والالتزام به وإلا!!.

من الجيد أن توضح المملكة بعبارات صريحة ما يسمونه «نهاية اللعبة» التي تريد، وأحسب أن عادل الجبير ما فتئ يوضحها خلال مؤتمراته الصحافية وتعليقاته لوكالات الأنباء، وسأتطوع بفعل ذلك مستفيداً من تصريحاته وسلفه الراحل الأمير سعود الفيصل «المملكة لا تريد ولن تسمح بأن يكون لإيران موطئ قدم في الدول العربية، وبخاصة المحيطة بها، في شكل حزب سياسي موال لها، أو ميليشيا مسلحة، ولا قاعدة عسكرية، وبالتأكيد سترفض قيام حكومة عميلة تابعة لها مثل تلك التي خطط لها الحوثيون في اليمن، أو التي سيكون عليها نظام بشار الأسد فيما لو انتصر في سورية، ولكنها لن تمانع في علاقات صداقة عادية، كأن تمول إيران وتتبرع بمستشفى أو مدرسة أو طريق، كما تفعل أية دولة متحضرة، وعبر الأجهزة الرسمية القائمة في ذلك البلد، أي تأتي البيوت من أبوابها، لا عبر أحزاب وأفراد يتبعون وليّها وفقيهها».

أجزم بأن كل الدول العربية والإسلامية تتفق مع الرؤية السابقة، لذلك يجب أن تدعم السعودية وهي تحارب اليوم من أجل كل الأمة، فبقدر ما أن المملكة متضررة من «سورية الإيرانية» فإن تركيا ومصر والأردن لا تقل تضرراً، لذلك يجب أن تصطف بوضوح مع المملكة [207].

ليس فقط يعتقد آل سعود أن من حقهم تقرير السياسة الخارجية للنظم التابعة بل أيضا سياستهم الداخلية ومن يتعين السماح له بتأسيس حزب أو جمعية أو حتى تلقي تبرعات يرى المهرطق الرسمي أن من الضروري أن تسمح بها إدارة عموم التبرعات الوهابية الكائنة في الرياض، بينما يبقى حق مملكة الوهابية في إمداد أزلامها بالمال والسلاح الفتاك وغير الفتاك مطلقا!!.

اختاروا لأنفسكم!!.

مصر وآل سعود
من الحب المستحيل إلى الانفصال المحتوم

الآن خرج المكتوم وانكشف السر وذهب التحالف الموهوم أدراج الريح.

عتبنا كبير على الذين أخروا خروج مصر من ذل التبعية للتحالف الصهيوهابي.

عتبنا كبير على الذين وضعوا أيديهم في أيدي رعاة الإرهاب الكوني وتصوروا أن ممالئتهم وتطييب خواطرهم يمكن أن تكف شرهم وتردع أذاهم من دون طائل ولا جدوى!!.

ما تعرضت له مصر من أذى وإهانة خلال الأشهر القليلة الماضية كان كبيرا وهائلا لكنه لم يكن أبدا هو بداية الحقد والتجاوز!!.

قبل أيام قليلة نشر موقع **AWD News** أن الرئيس السوري بوتين يعد العدة لضرب كل من السعودية وقطر عقابا لهما على إسقاط الطائرة الروسية في سيناء نهاية عام 2015 والتي وجهت ضربة قاصمة للسياحة في مصر فالخطب جلل والحديث عن تحالف بين مصر وآل سعود يصبح ضربا من التخريف والهذيان [158]!!.

نعود إلى تجربتنا ومشاهداتنا.

في نهاية عام 2009 كنت متوجها إلى قم في إيران لحضور مؤتمر وكان أن جرى إيقافي في مطار القاهرة ليسمح لي بالسفر إلى (بلاد الأعداء) في اليوم التالي، وهناك التقيت

(158) http://www.awdnews.com/political/revelation-putin-appears-preparing-to-attack-saudi-arabia-and-qatar-next

بصديق دبلوماسي إيراني وتجاذبنا أطراف الحديث.

أخبرني صديقي أن الحملة البوليسية التي تعرض لها الشيعة في مصر هذا العام جاءت ثمرة صفقة بين مبارك والملك عبد الله لتهدئة الخلاف بين الفريقين على خلفية (التقارب المزعوم) بين عبد الله وبشار الأسد وهو ما شكل تقاربا كاذبا مهد للهجمة الوهابية على سوريا بعد عام ونيف لا غير.

كان المتكلس حسني رافضا لأي تقارب مع بشار بسبب الخلاف الشخصي بينهما، بينما كان (عميق القاع) عبد الله يرتب لانتقام أبعد من مجرد الثأر الشخصي!!.

قرر حسني البقاء (مقموصا) حتى جرى التخلص منه بداية 2011 وهو ما لا نرى أيدي السعودية الملطخة بدماء العالم بعيدة عنه.

التقى حسني مبارك وعبد الله في شرم الشيخ يوم 30 يونيو 2009 سبقها لقاء في جدة يوم 2009-6-28 وأبرما اتفاقا قيل أنه لدعم المصالحة العربية بينما كانت النتيجة الأهم هي الاتفاق أن يبطئ عبد الله من وتيرة المصالحة المزعومة مقابل أن يقوم حسني بضرب شيعة مصر ولا بأس (برشة استثمارات) تخفف من أزمة مصر الاقتصادية ولا تنهيها!!.

وحسب جريدة الرياض السعودية (عقد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وأخوه الرئيس حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية لقاء قمة بعد ظهر أمس بمنتجع شرم الشيخ تناول تطورات الأوضاع العربية والإقليمية والدولية وخاصة القضية الفلسطينية والأوضاع في العراق ولبنان والسودان ومنطقة الخليج العربي) [159].

ترى ما هو الداعي لعقد لقائين في أسبوع واحد بين حسني وعبد الله وما هي المكاسب (الاستراتيجية) التي حصل عليها مبارك من آل سعود بينما كان الرجل آنئذ يقدم دون خجل ولا وجل على تقديم خدمات استراتيجية للكيان الصهيوني (عندما سمح بعبور الغواصة النووية الإسرائيلية المتوجهة نحو الخليج) دون أي مقابل اللهم إلا رسوم عبور قناة السويس.

اعتبر ديفيد شينكر في معهد دراسات الشرق الأدنى أن الانتشار البحري الأخير يشير

(159) http://www.alriyadh.com/441551

إلى أن التحذير الموجه إلى إيران لا يقف فقط عند الإسرائيليين. فمن خلال منح السفن الحربية حرية المرور عبر القناة الآن، تعبر القاهرة أيضاً عن قلقها. وفي الحقيقة، أظهر نظام مبارك في مصر في الآونة الأخيرة توافقاً علنياً متزايداً مع التحالف الناشئ ضد طهران. فعلى مدار سنوات، التزمت القاهرة الصمت في الوقت الذي كانت فيه طهران المتشددة والجريئة تنتزع الدور القيادي الإقليمي التقليدي من القاهرة، غير أن التطورات الأخيرة – بما فيها التعاون الإستراتيجي العلني الذي لم يسبق له مثيل مع إسرائيل – تشير إلى انضمام القاهرة أخيراً إلى الحملة ضد طهران) [160].

المقابل الاستراتيجي الذي حصل عليه حسني لا يمكن أن يزيد عن بعض شحنات من المشتقات النفطية!!.

كما تطرقت القمة إلى العلاقات الأخوية بين المملكة ومصر وسبل تنميتها في مختلف المجالات.

لم تسر الأمور بعد ذلك بصورة جيدة وتعطل الاتفاق، إلا أن العبد لله عاش من قبلها ومن بعدها تحت قصف إعلام (كباريهات داعش هي الحل) من يومها وحتى يوم سميرة الدغيدي الأغبر!!.

من حق القارئ أن يسأل عن أدلة حدوث هذه الصفقة والجواب عند الويكيليكس.

في مارس 2009 قامت المملكة المغربية بقطع علاقاتها بإيران متذرعة بالاحتجاج على «عبارات غير مناسبة» لإيران بشأن دعم الرباط للبحرين، وأشار بلاغ الخارجية المغربية إلى أن «المملكة طلبت توضيحات من السلطات الإيرانية التي سمحت لنفسها بالتعامل بطريقة متفردة وغير ودية ونشر بيان تضمن تعبيرات غير مقبولة في حق المغرب أثر تضامنه مع مملكة البحرين على غرار العديد من الدول بشأن رفض المساس بسيادة هذا البلد ووحدته الترابية».

وتابع «بعد انقضاء أجل أسبوع لم تتوصل المملكة لأي تفسير عن هذه التصرفات».

وأشار البلاغ الذي أوردته وكالة الأنباء المغربية أن «هذا الموقف المرفوض والموجه

(160) http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/cairo-joins-the-battle-against-tehran

حصرا ضد المغرب، أضيف إلى نشاطات ثابتة للسلطات الإيرانية وبخاصة من طرف البعثة الدبلوماسية بالرباط تستهدف الإساءة للمقومات الدينية الجوهرية للمملكة والمس بالهوية الراسخة للشعب المغربي ووحدة عقيدته ومذهبه السني المالكي».

كما شدد بلاغ الخارجية المغربية على أن «هذه الأعمال تعد تدخلا سافرا في الشؤون الداخلية للمملكة وتعارض قواعد وأخلاقيات العمل الدبلوماسي»، وختم بالقول إنه «لجميع هذه الاعتبارات فإن المملكة المغربية قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية ابتداء من الجمعة 6 مارس 2009 مع جمهورية إيران الإسلامية». انتهى.

تبع هذا الإعلان حملة تضييق أمنية تعرض لها شيعة المغرب بذريعة التدخل الإيراني في الشأن المغربي!!.

القارئ لما أوردته الخارجية المغربية عن أسباب قطع العلاقات مع إيران يدرك بسهولة أن كاتب البيان قد أجهد نفسه لتقديم تبرير شبه معقول لهذا القرار الذي شكل مفاجأة له ولوزارته فكان أن قدم للرأي العام هذا السيناريو المفكك.

الحقيقة وراء هذا القرار توردها الويكيليكس التي سلطت الضوء على دور سعودي في دفع الملك محمد السادس إلى قطع علاقة الرباط بإيران، وإطلاق حملة ضد مواطنيه من أتباع المذهب الشيعي.

والنقل عن جريدة الأخبار اللبنانية بتاريخ 3 ديسمبر 2010:

وفقاً لمعلومات كشفها دبلوماسي مصري للسفارة الأميركية في الرباط، كان هناك تواصل شبه يومي بين قصر الملك والرياض. وأعرب عن اعتقاد سفارة بلاده بأن السعودية حثّت الملك محمد السادس شخصياً، لا حكومته، على اتباع استراتيجيه لمواجهة النفوذ الإيراني. ولفت إلى أنه مقابل الدعم المغربي للسعودية في وجه إيران، فإن السعودية ستنظّم مواصلة تدفق المشتقات النفطية إلى المغرب، وربما تعوّض الفارق في ميزان الاستثمارات الخارجية المباشرة، بعدما انسحب الخليجيون من مشاريع رئيسية في المغرب على خلفية الأزمة المالية العالمية.

ووفقاً للدبلوماسي المصري، فإن الأقلية الشيعية في المغرب كانت (ثمناً صغيراً يدفعه

المغرب، مقابل استراتيجية سيكون لها فوائد جوهرية) [161].

المثير للسخرية والاستهزاء أن أساليب الخداع السعودي لا تتغير ولا تتبدل وهي هي منذ أن عرف العالم المشتقات النفطية والريال السعودي وساعات الرولكس والرغبة في الاستحواذ على المال مقابل التضييق على الشيعة باعتبارهم مجرد ثمن بسيط يدفعه (المغرب) أو (مصر) مقابل (استراتيجية) الخيبة والفشل التي أدمنها حكام هذه البلدان من الفاشلين والفاشلات!!.

لو كان التضييق على الشيعة (مجرد ثمن تكتيكي بسيط) فلماذا يدفع آل سعود من أجل تحقيقه (أثمانا استراتيجية) يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ؟!.

في رأينا أن الأمر يتجاوز الأثمان الاستراتيجية التي تتقاضاها دولة ما لقاء التخلي عن ضميرها وأخلاقها، لتبيع أبناءها في سوق النخاسة السياسي فالأهم في هذه الحالات هو ما يذهب إلى جيوب الطبقة الحاكمة التي تتصرف في شعبها وأرضها باعتباره منفعة خاصة.

من حقنا أيضا أن نسأل عن مضمون الاتفاقات التي أبرمها ابن سلمان نهاية عام 2015 مع مصر وهل كان من ضمنها تلك (الأثمان البسيطة) التي تعد جزءا لا يتجزأ من أي اتفاقات يبرمها مع النظم التابعة، فضلا عن تسليم جزيرتي تيران وصنافير للأسرة الحاكمة التي لم تطأ أرضها يوما ما الأقدام النجسة لتلك السلالة الهمجية المتوحشة؟!.

استشعارنا لما جرى قبل وبعد زيارة ابن سلمان التي تبعتها زيارة ملك الاستخراء في أبريل 2016 تشير إلى هذا الاحتمال خاصة منذ مارس 2015 –مع دخول مصر فيما يسمى بالتحالف العربي– وصولا إلى منع المصريين من زيارة إيران إلا بتصريح من أجهزة الأمن التي ترحب دائما بدفع هذه الأثمان (البسيطة) ولا تقيم وزنا لحقوق البشر ولا لمصلحة مصر الاستراتيجية، خاصة أن آل سعود تعهدوا بتزويد مصر بالمشتقات النفطية كما تعهدوا للمغرب قبل أن ينقضوا عهدهم لأن شروطهم المعلنة والخفية لم

(161) http://www.al-akhbar.com/node/36142

تلب كما يريدون!!.

المهم أن المغرب قبل أسابيع من الآن أعاد علاقاته الدبلوماسية الكاملة مع طهران، أما مصر فما تزال عاجزة عن التحرك ولو خطوة واحدة في هذا الاتجاه.

ماذا يريد آل سعود؟!

بينا في الفصول السابقة حجم التناقض الجوهري بين مصر الدولة والشعب والنظام فضلا عن الحضارة وبين آل سعود.

الخل والعسل لا يجتمعان.

العلاقة بين مصر الكيان وآل سعود القبيلة لا يمكن أن تقوم إلا على أساس اتخاذ أقصى درجات الحيطة والحذر.

يبقى السؤال: كيف وجد آل سعود أنفسهم في هذا المأزق وما الذي دفعهم لدخول ميدان الحرب هذه المرة (بأنفسهم) بدلا من الاكتفاء بتحريك جماعاتهم الإرهابية؟!.

السؤال السابق ليس دقيقا فهم لم يدخلوا الحرب بمفردهم بل دخول ومن ورائهم ومن خلفهم قطعانهم الإرهابية بنوعيها، الإخواني والسلفي بتفرعاته وهما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة صدئة ومتعفنة!!.

القراءة المتمعنة تقول: أن الحرب لا تعطي ثمارها إلا لمن شارك فيها باسمه ورسمه، فلا يمكن أن يجلس آل سعود على طاولة المفاوضات لحصد ثمار (انتصار) حققه أي من هؤلاء.

السعودية قررت دخول الحرب في اليمن ومعها أذرعها الإرهابية لتجلس وتقرر وتنال حصة (المنتصر).

لهذا لوحت بدخول الحرب في سوريا بعد (إنهاء) غزوة اليمن أو تجريدة الحمير التي قادها ابن سلمان.

لم يفكر آل سعود ولو للحظة في إمكانية الهزيمة التي ستطيح بكيانهم الهش والتي تكاد الآن (لحظة كتابة هذه السطور) تصبح حقيقة واقعة.

سنقدم لكم نموذجين من نماذج التفكير الأخرق لهذه العصابة.

الأول ما كتبه خاشقجي غير المأسوف على اختفاء حماقاته من صفحات إعلام آل سعود الذي كتب تحت عنوان (إما أن تكونوا معنا وإما ضدنا) قبل عام واحد من الآن.

(أخطاء بوش لا تلغي وجاهة منطق «إما أن تكون معي وإلا فأنت ضدي» إنها «حال ولاء وبراء» سياسية ضرورية في زمن المواجهات المصيرية الكبرى التي بها «نكون أو لا نكون» مثل ما يجري حالياً في المنطقة.

إنها مواجهة كبرى بين مشروع إيراني طائفي ومشروع شعوب حرة، وليس صراعاً بين السعودية وإيران، ولا بين سنّة وشيعة، وإنما بين الحق في الحرية والاختيار، أو الرضوخ تحت نظام «الولي الفقيه»، ولكنها رؤية غير مجمع عليها بعد، بل إن بعض حلفاء المملكة غير مقتنعين بها، هم معها ضد إيران، ولكنهم ليسوا ضد «المشروع الإيراني» لأنهم لا يرونه كذلك بعد.

إنه ليس صراع حدود، ولا على حقول نفطية أو غاز، ليته كان كذلك، لأتينا بالخرائط وجيش المحامين وخبراء التحكيم لحسم المعركة لأحدنا، ولا صراع نفوذ، فما الذي يعنيه نفوذ سعودي في اليمن أو نفوذ إيراني في سورية؟ لا يوجد في علم السياسة «نفوذ» يستحق الموت لأجله، والإيرانيون مستعدون للموت والقتل في سورية والعراق ولبنان، ولو سمح لهم لكانت اليمن ساحة رابعة لآلة موتهم، وإن كان الحوثيون ينوبون عنهم باقتدار قبيح، فلماذا يموت الإيرانيون ويقتلون أهلنا في عالمنا؟ إنهم يفعلون ذلك لأن لديهم «مشروعاً توسعياً» وحان الوقت لأن نقنع حلفاءنا بذلك. ما حصل الأسبوع الماضي ليس مجرد اعتداء على سفارة يمكن إصلاحه باعتذار، هو أعظم من قطع علاقات ديبلوماسية، إنه قشة قصمت ظهر علاقات سيئة، وكشفت عن حجم الغضب السعودي الكامن من السياسة العدوانية الإيرانية، كما وصفها وزير الخارجية السعودي عادل الجبير.

لم تتحرك الرياض لتشكيل تحالف إسلامي عسكري، ولا رممت علاقاتها مع كل طرف إسلامي وعربي قادر لأنها تريد دعمهم حتى تحسّن إيران خطابها الإعلامي أو تتعهد بعدم الاعتداء على سفارتها مرة أخرى. إنها ضد مشروع ومخطط وتريد من بقية المسلمين

أن يصطفوا معها ضدهما.

الديبلوماسية السعودية الحصيفة لن تقول عبارة «إن لم تكونوا معنا فأنتم ضدنا»، ولكن أرجو أن تجعلها مقياساً نعرف به من هو معنا ومن هو ضدنا. لكل الدول حساباتها ومصالحها وظروفها الداخلية، ولكن في المعارك الكبرى لا تُقبل المواقف الرمادية.

ولكن من الجيد أن توضح المملكة بعبارات صريحة ما يسمونه «نهاية اللعبة» التي تريد، وأحسب أن عادل الجبير ما فتئ يوضحها خلال مؤتمراته الصحافية وتعليقاته لوكالات الأنباء، وسأتطوع بفعل ذلك مستفيداً من تصريحاته وسلفه الراحل الأمير سعود الفيصل «المملكة لا تريد ولن تسمح بأن يكون لإيران موطئ قدم في الدول العربية، وبخاصة المحيطة بها، في شكل حزب سياسي موال لها، أو ميليشيا مسلحة، ولا قاعدة عسكرية، وبالتأكيد سترفض قيام حكومة عميلة تابعة لها مثل تلك التي خطط لها الحوثيون في اليمن، أو التي سيكون عليها نظام بشار الأسد فيما لو انتصر في سورية، ولكنها لن تمانع في علاقات صداقة عادية، كأن تمول إيران وتتبرع بمستشفى أو مدرسة أو طريق، كما تفعل أية دولة متحضرة، وعبر الأجهزة الرسمية القائمة في ذلك البلد، أي تأتي البيوت من أبوابها، لا عبر أحزاب وأفراد يتبعون وليّها وفقيهها».

أجزم بأن كل الدول العربية والإسلامية تتفق مع الرؤية السابقة، لذلك يجب أن تدعم السعودية وهي تحارب اليوم من أجل كل الأمة، فبقدر ما أن المملكة متضررة من «سورية الإيرانية» فإن تركيا ومصر والأردن لا تقل تضرراً، لذلك يجب أن تصطف بوضوح مع المملكة.

أصدقاؤنا من حولنا يقولون إنهم لا يريدون صراعاً طائفياً. لقد تأخر الوقت، نحن جميعاً في خضم هذا الصراع، ليس باختيارنا ولا رغباتنا، فقد دفعتنا إيران إليه، هي لا تتحدث بطائفية، ولكنها تقاتل وتقتل وتمارس السياسة بطائفية. انظروا إلى الخريطة، وتأملوا أين ومع من تقاتل إيران؟ في سورية تحارب ضد الشعب السوري منذ اليوم الأول للثورة، إنها ضد الحرية ومع طاغية، لماذا؟ وفي اليمن موّلت الحوثيين ودربتهم من دون أي حزب آخر، لماذا؟ في لبنان والعراق لا تجدهم مصطفين مع أي حزب أو تيار

أو ميليشيا غير المحسوب عليها طائفياً. لأجل مشروعها تموت الحرية والديموقراطية وكل القيم والحقوق، ايران مستعدة أن تقبل بتطهير عرقي في الزبداني، ومحاصرة 40 ألف إنسان ليموتوا جوعاً في مضايا، وقصف مستشفى في تعز مع تجويعها هي الأخرى، فمصلحة المشروع الطائفي هي التي تحرك السياسة الإيرانية وليس أي شيء آخر.

الأصل في مصلحة إيران الدولة، أن تكون علاقاتها جيدة مع جيرانها، «صفر مشكلات» مثل ما كان الأتراك يتمنون قبيل انفجار الثورة السورية، وهو الموقف الصحيح للبناء الداخلي، ولكنها ليست إيران الوطنية التي تفكر في طهران، وإنما إيران الأصولية، والأصوليات دوماً ضيقة الأفق، تنظر بعقلية الأسود والأبيض. لنقل إن الذي يصطدم الآن ليس الشيعة والسنّة، وإنما الأصولية الشيعية ضد أصولية سنية متعصبة يمثلها «داعش».

نحن في السعودية نعاني من الاثنين، وكلاهما كان هدف سيف العقاب السعودي في 2 كانون الثاني (يناير) الجاري بإعدام 47 مداناً بالإرهاب. لا نواجه إيران لأننا أصوليون مثلها، بل لأنها توسعية عدوانية، أما إيران الوطنية وغير الموجودة حالياً فهي ما نأمل بأن تعود إليه، وحينها يمكن أن تكون حتى شريكة للمملكة.

نحن نعيش أجواء أوروبا 1939. عندما غزا هتلر بولندا، بدا وكأن السيل النازي بلغ الزبى، ولم يعد هناك مجال للصبر لدى أوروبا التي تريد أن تبقى حرة. من اتخذ قرار الحرب لم يردها بالتأكيد، ولكنه أيضاً لا يريد أن يكون الضحية الثالثة أو الرابعة لهتلر، الذي انفتحت شهيته لابتلاع أوروبا ونشر مشروعه الفاشي، لم تكن كل أوروبا مع بريطانيا وفرنسا في قرارهما الصعب بالمواجهة، لم يقولا لأحد «إن لم تكونوا معنا فأنتم ضدنا» ولكن في النهاية اصطف العالم كله، إما في صف الحرية وإما في صف الفاشية.

اليوم أمام العالم الإسلامي اختيار مماثل، فإما أن يختاروا الانتصار للحرية وحق المسلم في الانقياد لرب رحيم بكامل حريته ووفق مذهبه واعتقاده، وإما أن نستسلم واحداً تلو الآخر لولي فقيه في طهران يزعم أنه وحده يمثل الحق، ويتكلم باسم الله. فأي اختيار نريد؟) [162].

(162) http://www.alhayat.com/Opinion/Jamal-Khashoggi/13312982/

تخيل أن آل سعود الذين تملكوا شعب الجزيرة العربية بالسيف ويحكمونه بلا دستور يريدون فرض إرادتهم على شعوب المنطقة وتحديد ما يجوز لهم وما لا يجوز!!.

النموذج الثاني لحالة الخبل السياسي الذي أصاب آل سعود ما كتبه (خالد الدخيل) في جريدة الحياة يوم الأحد، ١٢ أبريل ٢٠١٥ قائلا:

هناك ما يشبه الإجماع على أن انطلاق عاصفة الحزم قبل أيام من إعلان الاتفاق النووي مع إيران كان خطوة استباقية محسوبة للإمساك بتداعيات هذا الاتفاق في الجزيرة العربية والخليج العربي قبل أن تفرض مفاعيلها على دول المنطقة ككل. وهذا يؤكد أن القضية المركزية في الاتفاق هي قضية سياسية قبل أن تكون قضية تقنية. لماذا؟ لأسباب ثلاثة. الأول أن الاتفاق يمنع إيران من تصنيع سلاح نووي لمدة تتراوح بين 10 و15 سنة. وهذه فسحة زمنية كافية تسمح للدول العربية بالاندفاع لتطوير البنية التحتية وامتلاك المعرفة والتكنولوجيا النووية ليس فقط لأغراض سلمية، وإنما أيضاً لامتلاك القدرة على تصنيع سلاح نووي في حال تطلب الأمر ذلك. يمكن للدول العربية الاستفادة من النموذج الياباني بأن تكون عند حافة امتلاك خيار تصنيع السلاح النووي، وهو ما بات يعرف بـ «A Nuclear –Threshold State». طبعاً بإمكان السعودية ودول الخليج القبول بدلاً من ذلك بخيار «المظلة النووية» الأميركية. لكن هذا الخيار لم يعد متاحاً كما كان عليه قبل أكثر من ثلاثة عقود، فضلاً عن أنه سيضع قيوداً على حرية الإرادة السياسية للسعودية ودول الخليج، وعلى قدرتها على المناورة خارج إطار الحسابات والمصالح الأميركية. والاستقرار على أي من هذه الخيارات يتطلب قراراً سياسياً قبل أي شيء آخر.

أراد آل سعود من خلال اقتحامهم المهالك تحقيق وهم مستحيل وهو الهيمنة الكاملة على المنطقة هذا طبعا بالتفاهم مع الأتراك والإسرائيليين واستلحاق المشكوك في ولائهم خاصة مصر بحيث لا يبقى لهم إلا الخضوع المطلق أو الموت جوعا.

لا يتسع المجال في هذا الكتاب لشرح النهايات التي آل إليها هذا الاقتحام المجنون والتي بدت معالمها في الظهور الآن، مثل عقد اجتماع ثلاثي لبحث أوضاع سوريا بعد

استرداد حلب، ضم روسيا وإيران والأتراك وبقي آل سعود الذين عينوا أنفسهم قادة للمنطقة يراقبون عن بعد.

انشغل آل سعود خلال الفترة الماضية بعدة مشاريع تصوروا من خلالها أن بوسعهم بسط نفوذهم وسيطرتهم على كامل الإقليم ومن ضمنه مصر، منها العدوان على اليمن ومنها الاستيلاء على جزيرتي تيران وصنافير ومنها تعطيش مصر وتصعيد إثيوبيا لتصبح (مصر الجديدة) التي تهيمن على القرن الأفريقي بالتعاون مع العدو الصهيوني.

الآن عادت أزمة بناء السدود على منابع نهر النيل للبروز إلى الواجهة مرة أخرى، أما الجديد هذه المرة (2016) هو ظهور الدور السعودي خاصة والخليجي عامة إلى الواجهة.

في عام 2010 خرج هذا الملف إلى العلن وكان أن كتبت مقالا نشر في جريدة القاهرة بنوان (أبعد من مياه النيل) وإليكم نص المقال.

أبعد من مياه النيل!!

مصر هى المشكلة..... لن تستطيع مصر أن تمنعنا من بناء سدود على النهر، هذا تاريخ ولن يكون جزءا من الحل..... ليس في وسع مصر أن تحاول وقف ما لا يمكن وقفه.

هكذا تكلم رئيس الوزراء الإثيوبي معقبا على الأزمة التي اندلعت أخيرا حول تقاسم مياه النيل.

الطريقة المتغطرسة التي تحدث بها ميليس زيناوي عن (تاريخ عفا عليه الزمن) وعن (فصل بين المسارين المصري والسوداني) يشير إلى أمرين.

الأول هو أن مصر لا يحق لها أن تتكلم إلا باسمها وأن تقود نفسها فقط لا غير دون أن تتجاوز حدودها جنوبا إلى السودان الذي كنا وهو قبل نصف قرن دولة واحدة!!.

والثاني: الإعلان عن قيام قطب سياسي وقوة إقليمية كبرى جديدة تلغي دور مصر التاريخي في قيادة المنطقة!!.

ولأن (مصر هي المشكلة) فقد قررت إسرائيل بالتعاون مع الولايات المتحدة وبمساعدة بعض حلفائها العرب الذين ينفقون بسخاء على المشاريع الزراعية الضخمة في إثيوبيا ومن ثم على إنشاء شبكات جديدة للري تقلص حجم المياه المتدفقة إلى دول المصب، (إنشاء مصر الجديدة) أو إثيوبيا التي ألقي عليها عبء تقليص الحجم السياسي والدور الإفريقي (لمصر القديمة) وفقا لما ورد في تقرير السفارة الإثيوبية في تل أبيب والمنشور على مواقع الإنترنت.

يشير التقرير إلى المكانة الخاصة والمميزة لإثيوبيا في استراتيجية إسرائيل الدولية وأنها حالت من خلال موقعها (السابق) على البحر الأحمر دون تحويله إلى بحيرة إسلامية كما أنها تشكل عمودا رئيسا تقوم عليه السياسة التي أعلنها بن جوريون بتشكيل ما يسمى بدول الطوق المتحالف معها ضد العرب وهذه الدول هي (تركيا، إيران وإثيوبيا) وأن هذه الدول يجمعها (كان يجمعها) الخوف من التوسع العربي والإسلامي على حسابها.

يشير التقرير أيضا إلى تصريحات (حمامة السلام) شيمون بيريز في يونيو 1966 عن الأهداف الثمانية للسياسة الإسرائيلية ومن أهمها تحويل إثيوبيا إلى قوة إقليمية أو بناء (مصر ثانية) في أفريقيا تهدف لموازنة (مصر الأولى) فضلا عن (تحرير البحر الأحمر) اعتمادا على الموروث المشترك بين البلدين ومن ثم فقد تطور الدعم الإسرائيلي لإثيوبيا ليشمل الدعم العسكري إضافة للدعم الاقتصادي وصولا إلى اللحظة الراهنة حيث يأتي التواجد العسكري الإسرائيلي تاليا للتواجد الأمريكي.

العلاقة الإسرائيلية الإثيوبية حسب رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق (شارون) بدأت مع (الزيارة التي قامت بها بلقيس ملكة سبأ إلى نبي الله الملك سليمان في القدس في العصور السحيقة (؟!) وهي علاقة قائمة على التعاون في مجالات السياسة الخارجية والأمن والزراعة والثقافة والاقتصاد).

كما يستعرض التقرير (مفاخر) العلاقة الإثيوبية الإسرائيلية ومن بينها أن أكبر محطة للموساد في أفريقيا توجد الآن في أثيوبيا وهذه المحطة تعمل بالتنسيق مع تل أبيب كما أن هناك تواجد ثابت لضباط الأمن الصهيوني في مطار أديس أبابا الدولي.

من بين هذه (المفاخر) أيضا أن أديس أبابا كانت بين قلة من الدول التي عارضت القرار الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة القاضي بإدانة إنشاء الجدار الإسرائيلي العازل الذي جرى إنشاؤه في الأراضي الفلسطينية المحتلة يضاف إلى ذلك رفض أديس أبابا لقرار إدانة الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان أثناء العدوان على لبنان عام 2006 والأهم من ذلك الموقف الإثيوبي المؤيد ل(توحيد) القدس ومشاركة سفير هذه الدولة في الذكرى الأربعين لهذه المناسبة ضمن ست دول فقط لا غير في حين امتنعت أمريكا وبقية الدولة عن الحضور لرفضهم الاعتراف بشرعية اغتصاب القدس.

أخيرا وليس آخرا فالإثيوبيون واليهود يعتقدون أنهم أصدقاء وحلفاء وشركاء تجمعهم جذور مشتركة وأعداء مشتركون ولهذا السبب وقفوا وسيقفون مع الصهاينة ضد أعدائهم. انتهى.

القضية إذا أبعد من أن تكون مجرد نزاع على تقاسم حصص المياه بين دول المنبع ودول مصب نهر النيل ونحن نعتقد أن ما أوردناه من معلومات لا تعدو كونها رأسا لجبل الجليد وإذا كان هذا هو المعلن فما بالك بالمخفي؟!.

الوجه الآخر للمأساة هو مليارات الدولارات التي تصبها إحدى الدول العربية التي تدعي أنها شقيقة دعما للاقتصاد الإثيوبي أو بمعنى أدق من أجل تحويل هذه الدولة المتحالفة حتى العظم مع العدو الصهيوني إلى قوة إقليمية كبرى أو (مصر الجديدة) تحت غطاء توفير ما تحتاجه من منتجات زراعية في حين أن نفس هذه الدولة لم تقم بزراعة بضع مئات الآلاف من الأفدنة التي استلمتها وتعهدت بزراعتها في مشروع توشكى!!.

لا نعتقد أن الأزمة الراهنة هي مجرد أزمة تقاسم حصص للمياه بل هي جزء من أزمة المنطقة برمتها وهي أزمة مرشحة للتفاقم في ظل توحش الدور الصهيوني والتحالفات التي نجح في إبرامها سرا وعلنا من أجل حماية وجوده وإدامة بقائه مستفيدا من حالة الترهل التي أصابت دول المواجهة سابقا مع هذا العدو وركضها وراء أوهام السلام المستحيل.

الخروج من هذا النفق لن يكون عبر التوجه جنوبا ومواجهة الأزلام فهناك طريق

واحد للخروج عبر قطع رأس الفتنة هناك على بعد بضع مئات من الكيلومترات شرقا من حيث يطلع قرن الشيطان.

تلاحظون اللهجة الهادئة التي كتب بها المقال في عهد حسني مبارك، حيث كان نشر مقالاتي في جريدة القاهرة يشكل صداعا للأخ العزيز الأستاذ صلاح عيسى وسببا لمنع الجريدة من دخول مملكة آل سعود، إلا انه نشر وكالعادة جرى التعتيم عليه كأننا لم نقل شيئا أو أنه كان مقالا عن خناقة في حي من أحياء المدينة!.

لا بد من الإشارة لأن هناك آخرون كتبوا عن هذا الملف إلا أن كتاباتهم لقيت أعينا عميا وآذانا صماء!!.

الآن فوجئ فريق الضياع بالزيارات التي يقوم بها صهاينة الخليج لإثيوبيا، كلما خرج منها فوج دخل إليها فوج آخر، مما يكشف عن عمق وضخامة التآمر الصهيووهابي وحالى العمى الإرادي التي لزمها الإعلام المصري، كأنهم لا يعلمون!!.

أيضا عندما أعلن ابن سلمان عن رؤيته (2030) كان واضحا أن بناء السدود على منابع النيل يشكل مكونا واضحا للتخطيط الصهيوني السعودي لمستقبل المنطقة وما يراد لمصر من جوع وعطش، هذا أو البقاء الأبدي في ذل التبعية للوهابيين وكلاء الغرب في المنطقة!!.

مقال آخر يحذر من التآمر السعودي!!

رؤية (أوهام) ابن سلمان... مشروع الهيمنة على العالم

رغم قناعتي أن الكثير مما ورد في رؤية ابن سلمان المسماة بالسعودية 2030 هو مجرد أمنيات لا تختلف كثيرا عن الفنكوش الذي طرحه مرسي والشاطر بعنوان (مشروع النهضة)، إلا أن هناك ما يستدعي التأمل والانتباه، فهذه الدولة (ما تزال حية تسعى)... وتلدغ!!.

المملكة الوهابية بعد انتكاستها في اليمن وبعد أن ذبحت بقرة النفط الحلوب المصدر الأساس لثروتها تحس بالذعر والهلع، إلا أن شيئا من التواضع لم يتسرب حتى هذه اللحظة إلى نفوسهم المليئة بالكبر والغرور.

عندما يقول المانفيستو (لسنا قلقين على مستقبل المملكة، بل نتطلع إلى مستقبل أكثر إشراقاً، مستقبل المملكة مبشر وواعد، ما نطمح إليه ليس تعويض النقص في المداخيل فقط)، فالمعنى واضح وهو أنهم يعيشون حال الخوف والقلق من المجهول الآتي -مع تناقص المداخيل- ومع تكاثر التقارير التي تشير لهذا.

ولأن المملكة التكفيرية الوهابية ما تزال حية تسعى وترى نفسها قائدة العالم الإسلامي، فاقد الوعي والإرادة فقد جاء المانيفستو ليؤكد هذه الرغبة الجامحة (نريد أن نحول أرامكو من شركة لإنتاج النفط إلى عملاق صناعي يعمل في أنحاء العالم، ونحوّل صندوق الاستثمارات العامة إلى أكبر صندوق سيادي في العالم، لتكون كبريات شركاتنا عابرة للحدود ولاعبا أساسيا في أسواق العالم. ونشجع الشركات الواعدة لتكبر وتصبح عملاقة).

إنها رؤية للهيمنة على العالم، الأقرب ثم الأبعد وبديهي أن تكون نقطة الانطلاق المأمولة من الاستحواذ على مصر وتركيعها.

سنواصل تمويل بناء سد النهضة!!

يعرف المرتزقة الذين رفعوا العلم السعودي في قلب القاهرة جيدا من يمول بناء سد النهضة في أثيوبيا الذي سيحرم مصر من جزء أساس من حصتها الطبيعية في مياه النيل...

إنها المملكة الوهابية.

يقول المانيفستو: (فيما يخص الموارد الغذائية، سنواصل بناء مخزونات استراتيجية بمستويات آمنة وكافية لمعالجة الحالات الطارئة وسنبني شراكات زراعية استراتيجية مع الدول التي حباها الله موارد طبيعية من تربة خصبة ومياه وفيرة بما يحمي مواردنا المائية).

إنه اعتراف رسمي بوجود شراكة استراتيجية مع أثيوبيا لتحقيق هذا الهدف ولو كان

على حساب مصر وثروتها الزراعية وهي شراكة لا تقتصر على الماء بل تشمل قطعا تلك الحرب الدموية الظالمة التي يتعرض لها الشعب اليمني.

ليس موضوعنا هنا مدى قدرة هذا الفتى على تحقيق أهدافه التي يبدو واضحا أن هناك من يسانده في تحقيقها من الصهاينة، الذين يشكلون ركيزة وامتدادا لهذا (الحلف الاستراتيجي) لتبقى راية الوهابية العنصرية هي الأعلى، بل رفع درجة انتباه من بقي على قيد الحياة من أبناء مصر ممن لم تلوثهم الرشى الوهابية القذرة وحفزهم على التصدي للتآمر الصهيووهابي الذي ضرب وينوي أن يوجه المزيد من الضربات لمصرنا الغالية.

دكتور أحمد راسم النفيس

2016/04/27

خلاصة القول:

يسعى آل سعود جاهدين للهيمنة المطلقة على الإقليم وتحويله إلى ورقة بأيديهم يساومون بها العالم من حولهم.

العائق الأهم الذي واجه هؤلاء الأعراب، هو دول المركز الحضاري الحقيقي، مصر وإيران وسوريا والعراق ولذا سعوا لتدمير هذه الدول وموروثها الحضاري عبر داعش والنصرة والإخوان وكلاء آل سعود خلال الأعوام القليلة الماضية.

الابتزاز المالي هو أحد ركائز السياسة السعودية لتركيع الحلفاء أو من يعتقدون أنفسهم حلفاء لتركيعهم وإلقائهم في الحفر التي يحفرونها لهم ثم يركلونهم فيها ظنا منهم أن الله عهد إليهم عهدا أبديا وظنوا أنهم إليه لا يرجعون.

واهم وأحمق من يتصور أن من تآمر على مصر في خمسينات وستينات القرن الماضي ثم تآمر على إيران المسلمة وحرض الغرب على شن الحرب عليها لن يتآمر عليه لأن اسمه ليس (جمال عبد الناصر) أو لأنه تآمر عليهم مرات في القرن العشرين والآن نحن في

القرن الحادي والعشرين!!.

واهم وأحمق من تصور أن لهؤلاء أصدقاء عدا الصهاينة وإبليس اللعين!!.

ليس لآل سعود أصدقاء، بل لهم أتباع وعبيد يقبضون ويصفقون ويهللون ويسجدون ويركعون للشيطان المريد.

لائحة مؤلفات الدكتور أحمد راسم النفيس

1 – الطريق إلى مذهب أهل البيت.
2 – رحلتي مع الشيعة والتشيع في مصر.
3 – على خطى الحسين.
4 – المهدي المنتظر ومعركة تحرير القدس.
5 – الشيعة والثورة (ما بعد استشهاد الإمام الحسين).
6 – الجمل وفقه الطابور الخامس.
7 – التحكيم: قراءة في الفقه التاريخي للأمة الإسلامية.
8 – الجماعات الإسلامية – محاولة استمساخ الأمة الإسلامية. طبع
9 – الإخوان المسلمون: شعب الله المختار.
10 – المصريون والتشيع الممنوع.
11 – شرح دعاء السَحَر لأبي حمزة الثمالي.
12 – علي بن أبي طالب و أخلاقيات السياسة.
13 – المسلمون و الآخر.
14 – رسالة من أب لابنه (رسالة تربوية) مخطوط
15 – علي بن أبي طالب و العدالة الاجتماعية (مؤتمر الإمام علي بن أبي طالب طهران مارس 2001).
16 – الزهراء سيدة نساء العالمين.
17 – الشيعة والثورة الجزء الثاني.

18 – الشيعة في العراق.
19 – مقالات في الفكر والدين والسياسة.
20 – القرضاوي (وكيل الله أم وكيل بني أمية؟؟!!) ردا على كتابه تاريخنا المفترى عليه.
21 – الشيعة والتشيع لأهل البيت. طبع: مكتبة الشروق الدولية 2006
22 – الإرهاب لا يمكن أن يكون شيعيا.
23 – عندما يحكم العبيد.
24 – نقض الوهابية.
25 – النبوة في نهج البلاغة.
26 – مأساة الحج والأماكن المقدسة.
27 – أماكننا المقدسة.. المدنسة.
28 – الإمام علي بن أبي طالب مفسرا للقرآن.
29 – بيت العنكبوت.
30 – بين علي بن أبي طالب ومعاوية.
31 – التاريخ السياسي للرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله.
32 – الحاكم بأمر الله.
33 – الفاطميون والقدس.
34 – الدولة العثمانية: الوجه الآخر.
35 – المهدي المنتظر وفلسفة التاريخ.
36 – الداعشية الجزئية والشاملة.
37 – مصر وآل سعود: الحب المستحيل.
38 – مأساة الحج والأماكن المقدسة.
39 – المسلمون والإصلاح الديني.
40 – عقيدة التوحيد في مدرسة أهل البيت: رؤية معاصرة.

41 – العراق: صدمة التاريخ.

42 – فقه التغيير– دراسة مقارنة بين السيد محمد باقر الحكيم و سيد قطب. مقال منشور في مجلة المنهاج.

43 – الشهيد الصدر و دينامية الصراع الاجتماعي (مؤتمر الذكرى العشرين لاستشهاد السيد محمد باقر الصدر طهران يناير 2001).

44 – هل حقا أن ابن خلدون هو أول من أسس علم الاجتماع والعمران؟؟.

بالإضافة إلى عشرات المقالات السياسية و الدراسات الفكرية المنشورة في جريدة القاهرة القاهرية و مجلة البداية وجريدة نهضة مصر وصوت الأمة فضلا عن المقالات العلمية المنشورة بمجلة العربي الكويتية وآخرها (ساعة الأعمار) نوفمبر 2003 (أبناؤنا قاماتهم وقوامهم) مايو 2003 السكر المر يناير 2004 (مشكلة تأخر البلوغ عند المراهقين).

www.elnafis.net

arasem99@hotmail.com

فهرس المحتوى

- مقدمة لازمة 3
- مصر وآل سعود 5
- الوهابية السعودية: الصورة الحقيقية 31
- نماذج من الخطاب التكفيري الوهابي 35
- جرائم آل سعود 39
- الجيش المصري في الدرعية 61
- إبراهيم باشا 71
- إبراهيم باشا في جزيرة العرب 75
- مصر وآل سعود والصراع الإقليمي 83
- مصر تدفع ثمن تصديها للوهابية 91
- معاهدة لندره ومركز مصر الدولي 139
- الطفرة الوهابية 167
- مصر وآل سعود التحالف المستحيل 205
- تآمر آل سعود على مصر وسوريا 207
- العلاقة بين عبد الناصر وآل سعود 211
- التحالف الأمريكي السعودي ضد ناصر 221
-أمن الخليج خط أحمر أم تركواز أم فوشيا تفتشي!! 225
- مصر وآل سعود .. من الحب المستحيل 229

إلى الانفصال المحتوم

- لائحة مؤلفات الدكتور أحمد راسم النفيس 247

awraaq@live.com